

التفسير الموضوعي  
للقرآن الكريم

الفقه المقارن  
بين الكتاب والسنة  
حكومة قرآنية عالمية  
الحكومة - العلم والظن - التكليف  
الاجتهاد والتقليد والشورى

للفقيه المفسر المصلح القرآني  
سماحة آية الله العظمى  
محمد الصادقي الطهراني

حكومة قرآنية عالمية ... ٨
القرآن تبيان لكل شيء ... ٢٠
القرآن بيان لجميع الناس ... ٢٧
القرآن نور وكتاب مبين ... ٢٩
في كتمان بيان القرآن لعنة من الرحيم الرحمن ... ٤٢
الممسكون بالقرآن هم المصلحون ... ٤٨
تقوى الاعتصام بحبل الله: القرآن ... ٥٣
تدبرات في القرآن ... ٧٦
طاعة الله والرسول ... ٨٠
حاكمية وحي القرآن والسنة ... ٩٠
القرآن هو المرجع الاصيل ... ٩٥
علو في الارض ... ٩٩
اصل الملك لله ... ١٠٤
ولاية مطلقة شرعية للنبي على المؤمنين ... ١١٣
مثلث الولاية المنحصرة (١) ... ١٢٦
مثلث الولاية المنحصرة (٢) ... ١٣٩
ترك طاعة الله والرسول مبطل للأعمال ... ١٥٤
حول الإمامة ... ١٥٧
من يهدى الى الحق ...؟ ١٦٩
المصطفين السابقين بالخيرات ... ١٨٠
ولاية الكافرين - ١ - ... ١٨٦
ولاية الكافرين - ٢ - ... ١٩٠
ولاية الكافرين - ٣ - ... ١٩٦
(١) حرمة العمل بالظن ووجوب اتباع العلم ... ٢٠٨
(٢) حرمة اتباع الظن ومطاوعته ... ٢١٣
(٣) حرمة اتباع الظن وطاعته ... ٢٢٠
(٤) حرمة قفو غير العلم ... ٢٢٢
حجة الكتاب او اثاره من علم: وحي الكتاب، والسنة القطعية ... ٢٣١
وجوب تبين الأخبار ... ٢٣٥
التكليف على ضوء بلاغ الرسالة ... ٢٤١
البلوغ ودرجاته ... ٢٥١
التقليد الاعمى ... ٢٦٠
حول الاستنباط ... ٢٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.  
هذا هو الجزء الثاني من الحاكمة القرآنية، تضم بحثاً ظريفاً طريفاً حول القرآن في حاكميته العالية منذ البعثة المحمدية الى يوم الدين، بحثاً فيما يجب على كافة المكلفين حول الحكم، العلم والظن، التكليف، الاجتهاد والتقليد والشورى وما اشبهه من الأمور التي ترجع الى ما يتوجب عليهم تجاه القرآن العظيم، حيث تمحوره وتوصله في كافة الاحكام الربانية، إستأصالاً لغير القرآن مما يزعم كونه دليلاً تشريعياً أو شرعياً، إلا ما يوافق، والله من وراء القصد.

محمد الصادقي الطهراني

### حكومة قرآنية عالمية

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ  
وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا  
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> . (النور: ٢٤ : ٥٥ .

نرى إجمالاً من هذا الوعد الصدق في آية مكة حينما الأخطار حادقة والأشرار مسيطرة على عاصمة التوحيد، فدين الله في تقيه والديتوني في تخوف لا يامنون على أنفسهم شيئاً، والمشركون مسيطرون على بيت الله وعاصمة الإسلام، نراها تعد المضطرين المستضعفين الداعين خلافة الأرض: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون»<sup>١</sup> ولكنهم ما لمسوا في العهد المكي طرفاً من ذلك الوعد!

ثم نرى في هذه المدنية تفصيلاً لذلك الوعد، علّه يشير إلى الوعد المكي «وعد» على تبدل ل - «المضطر إذا دعاه» ب - «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وفيهما لمحة باهرة أن اضطراب المؤمنين العاملين الصالحات ينتهي إلى خلافة الأرض شرط «إذا دعاه» لا فقط في المقال، فإنه واقع لهم على أية حال دون واقع لوعدهم، بل وفي الحال والأعمال أن يصبوا دعاء: إيماناً حركياً وعملاً صالحاً حركياً يززع عروش الضلالة ويتبنى عرش الحكم الحق، فاستخلاقاً لهم في الأرض، وتمكيناً للدين المرتضى وأمناً بعد الخوف، وعبادة لله خالصة دون إشراك.

ذلك هو الإيمان النشيط البناء إذ يستغرق النشاطات الإنسانية بأسرها، إخراجاً لها عن أسرها وحصرها، وتحريراً لها، إعلاناً وإذاعة شاملة في مختلف صور الأعمال، جهاداً في سبيل الله، وتحقيقاً لخلافة الله على الأرض، دون إبقاء على ما تهوى الأنفس إلا هواه، متجهاً بكله إلى الله: بميول الفطرة وأشواق القلب ولفئات الروح قضاءً على كافة الفلتات.

لقد قضى المسلمون الأولون عهدي الرسول صلى الله عليه وآله مكة ومدنياً في تخوف وإضطراب وإضطراب، تصبراً على كل أذى ولظى في مكة، وخائفين في المدينة يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فصبوا على ذلك ما شاء الله، ثم إن رجلاً من الصحابة قال: يا رسول الله! أيد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم ليست فيه حديدة»! وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا فيه السلاح.<sup>٢</sup> و«لما نزلت قال صلى الله عليه وآله بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والدين

<sup>١</sup> . (النمل ٢٧ : ٦٢ .

<sup>٢</sup> . ( الدر المنثور ٥ : ٥٥ - اخرج عبد الحميد وابن ابي حاتم عن ابي العالية قال كان النبي صلى الله عليه وآله واصحابه بمكة نحو من عشر سنين يدعون الى الله وحده وعبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يأمرون بالقتال حتى امروا بالهجرة الى المدينة فقدموا المدينة فامرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين يمسون... وفيه اخرج ابن المنذر والطبراني في الاوسط والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضيء في المختارة عن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه المدينة وآوتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: اترون انا نعيش حتى نبني آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله فنزلت...

والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»<sup>١</sup>.  
فهل الآية تعني - فقط - تلك الفترة القصيرة بعد فتح مكة حيث وضعوا السلاح وأمنوا في الجزيرة العربية؟ وهي واعدة استخلافهم في الأرض، لا - فقط - في أرض الجزيرة!  
إنها تعنيها فيما تعنيه من خلافة المؤمنين على درجاتها، وتشهد له .كما استخلف الذين من قبلهم، إذ لم تسبق في الأرض كلها خلافة وسلطة إيمانية إلا زمن النبيين داود وسليمان ولم تشمل كل المعمورة، وخلافة ذي القرنين كذلك الأمر!

خلافة الإيمان وسلطته على أرض كلها فضلاً عن الأرض كلها تتطلب شروطاً ليست هي - فقط - الإيمان وعمل الصالحات، بل هي بشروطهما وشروط آفاقية لا تتحقق إلا بشرطي صلوح الإيمان والعمل الصالح الحركيين، وإجابة إلهية لهؤلاء المضطرين، ولا ظرف صالحا لهذه الإجابة إلا إكتمالاً في عِدَّة وعِدَّة لكتلة الإيمان: «وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى!»

إن وعد الله مذخور لكل قائم على شروط الإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة إلى يوم القيامة، وإنما يبطل النصر والاستخلاف والأمن والتمكين في الأرض لتخلف شرط أو شروط في جانب من جنباته الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء وجازت الإبتلاء وتطلبت مضطرة إلى الله - بعد توفية الشروط - فهناك الإجابة التامة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، تحقيقاً لمربع الوعد كقوائم أربع لعرش الحكومة الإسلامية العالمية!

ليس على الذين آمنوا إلا «طاعة معروفة» ف «إِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حَمَلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ»: على القادة المسلمين ما حملوا وعلى المسلمين ما حملوا، فإذا تحمل كلُّ ما حمل من فرائض الإيمان، فهناك يتحقق النصر بإذن الله وخسر هنالك المبطلون.

إن إرادة الله في وعده - هذه - المؤمنين، دائبة طيلة الرسالات وكتلات الإيمان: «وَنُرِيدُ أَنْ مَمَّنَّ عَلَيَّ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ»<sup>٢</sup>.

ولكننا المصدّق الأهم والأتم لذلك الوعد إنما يتم ويطمُّ في الأمة الإسلامية كما تعنيهم آية النور هذه، وآية الأنبياء: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون\*»<sup>٣</sup> إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ\* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ<sup>٤</sup> وآية الأعراف «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

<sup>١</sup> . الدر المنثور ٥ : ٥٥ - اخرج احمد وابن مردويه واللفظ له والبيهقي في الدلائل عن ابي بن كعب قال: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وعد الله الذين آمنوا.. قال: بشر...

<sup>٢</sup> . القصص ٢٨ : ٦ .

<sup>٣</sup> . الانبياء ٢١ : ١٠٥ - ١٠٧ .

والعاقبة للمتقين»<sup>١</sup>.

في طيَّات الرسالات الإلهية انتصارات بدرجاتها للمؤمنين حسب الفاعليات والقابليات، ولكننا الخلافة المطلقة في الأرض للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووراثتها وسلطتها وتحقيق أمنها وزوال خوفها بتمكين الدين المرتضى لم يتحقق لحد الآن، اللهم إلا في مستقبل منير حيث يقوم حفيد البشير النذير، فيحقق بالمؤمنين معه الصالحين البغية القصوى لهذه الرسالة والرحمة العالمية، فهنالكَ الحياةُ «العاقبة للمتقين» مهما كانت حياة السلطة قبلها لغير المتقين، وهنالكَ تتحقق رحمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله للعالمين في شاسعة عالم التكليف، وهنالكَ يرث الأرض عبادُ الله الصالحون، وهنالكَ تتم إرادة المن الشامل للذين استضعفوا في الأرض وتطم حين يجعلهم أمة الأرض ويجعلهم الوارثين!  
إن المصداق الصادق المكين الأمين لذلك الوعد ليس إلا في ذلك المستقبل المنير وكما استفاضت الرواية فيه عن الرسول صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام.

لقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي إسمه إسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

والخليفة عمر لما يستشير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لانطلاقه لقتال أهل الفارس حين تجمعوا للحرب يقول له: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلته وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود من الله تعالى حيث قال عز اسمه «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات...»<sup>٢</sup>.

ان الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليسوا هم - فقط - مؤمني زمن الرسول صلى الله عليه وآله ولا - فقط - الرسول صلى الله عليه وآله وخلفاءه المعصومين عليهم السلام فضلاً عن سواهم، فإن عموم اللفظ يابي الإختصاص! والتعبير عن الرسول صلى الله عليه وآله وذويه يفوق هكذا تعبير! وهكذا جزء لكامل الإيمان والعمل الصالح يعم كتلة الإيمان أياً كانت وأيان، فالوعد إذا يعم المجموعة المؤمنة<sup>٣</sup> لا المسلمين أجمع، فإن «منكم»

<sup>١</sup> . (الاعراف: ٧: ١٢٨).

<sup>٢</sup> . (نقله في نهج البلاغة عنه عليه السلام وتماهه بعد الآية: واللّه منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم في الإسلام مكان النظام من الحزب فان انقطع النظام تفرق وربّ متفرق لم يجتمع والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحي بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الأرض تنقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم اليك مما بين يديك وكان قد آن للأعجام ان ينظروا اليك غدا يقولون: هذا اصل العرب فاذا قطعتموه استرحم فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك، فاما ما ذكرت من عددهم فاننا لم نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.

<sup>٣</sup> . (ملحقات احقاق الحق ١٣: ٣٢٨ في تفسير العياشي ان علي بن الحسين قرأ آية «ليستخلفنهم في الارض» قال: واللّه هم محبوبون اهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة، وفيه عن اسحاق بن عبد الله عن الامام زين العابدين عليه السلام قال: هذه الآية نزلت في القائم المهدي عليه السلام وفيه عن العلامة

تبعُّض المخاطبين المسلمين إلى جميع «الذين آمنوا وعلموا الصالحات» دون سواهم، سواءً آمن ولم يعمل كما يصلح، أو عمل ولم يؤمن كما يصلح، أو ترك حقهما إلى ضئالة لا تتحرك أماذا؟ هذه المجموعة الصالحة لوراثة الأرض: «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». ولخلافة الأرض «ليستخلفنهم..» بمن يقودهم من الرسول وعترته المعصومين، ومن حذى حذوهم من الولاة الصالحين، هم جميعهم لا بد لهم من يوم تتحقق فيهم هذه الوعود الأربع، ففيه رجعة من محض الإيمان محضاً، ورجعة هؤلاء الأكارم لتحقيق القواعد الأربع لعرش الخلافة الإسلامية الكبرى:

١ - «لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» أتري ما هذه الخلافة؟ أهي خلافة الله فيها، أن يخلفوا الله في أرضه؟ ولا خليفة لله بهذا المعنى ولا نائب ينوبه فإنه دائم في ربوبيته في سماواته وأرضه! ولا بد بين الخليفة والمستخلف عنه من مسانخة في ذات أو صفات وأفعال، فيخلفه في شأن من شؤونه إذا مات أو عجز أو انزل أو عزل نفسه، ولا مسانخة بين الله وخلفه على أية حال، ولا عزل أو إنعزال لشأن من شؤون الألوهية حتى تصح الخلافة عنه لأي كان!

أم خلافة النبوة أو الإمامة إذ يقرر الله كلا منهما الخلف بعد سلفه، فكل رسول خليفة الله إذ جعله الله خليفة من سبقه، وكل إمام خليفة الله كذلك؟ وليس المؤمنون الموعودون خلفاء الله بهذا المعنى إلا الرسول والائمة المعصومين أصالة، والولاة الصالحين تحت إمرتهم! ولم تكن للرسول السابقين هذه السلطة العالمية حتى يخلفهم الرسول وعترته المعصومون!

إنها خلافة الأرض عمن سيطروا عليها طول الزمان وعرض المكان من سلطات الجور وولاته، سلباً لهذه السلطات الزور والغرور، وإثباتاً للسلطة الإيمانية للذين آمنوا وعملوا الصالحات كل على قدره وحده. فقيادة الرسول مكان مناوئي الرسالة، وقيادة الائمة من آل الرسول مكان المغتصبين طول حياتهم وزمن الغيبة، وسائر القيادات والمكانات لسائر المؤمنين الصالحين مكان سواهم، فلا تبقى سلطة جائرة إلا ويخلفها سلطة عادلة، فالمؤمنون - إذا - كلهم مستخلفون عمن سواهم، وكما هم يرثون الأرض عمن سواهم «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». فلا يبقى دور ولا كور إلا للصالحين، حسب القابليات والفاعليات، وحسب الضوابط دون الروابط، فالإمام المهدي عليه السلام بمن معه من أصحابه الخصوص من الثلاثمائة والثلاثة عشر، والعموم من العشرة آلاف، ومن سائر الصالحين معه، يستخلفهم الله في الأرض على درجاتهم وقابلياتهم لخلافة الأرض، فالمهدي (عج) يخلف كل زعماء التاريخ، وأصحاب ألويته يخلفون سائر أصحاب الالوية في التاريخ، وجنوده يخلفون كل الجنود في التاريخ، وكل ذي منصب حتى زمن المهدي عليه السلام يخلف مثيله الباطل في سائر الزمن.

وهل «كما استخلف الذين من قبلهم» تنظير لهم بمن قبلهم على سواء؟ ولم تسبق خلافة إيمانية عالمية قبلهم! إنه لا يعني إلا أصل الخلافة دون قدرها، فكما كان للذين آمنوا وعملوا الصالحات من قبلهم دور الخلافة الإيمانية، كذلك تكون لهم، ولكن أين خلافة من خلافة؟

٢ - «وَلْإِمَّاكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ» دينهم المرتضى لهم هو الإسلام: «ورضيت لكم الإسلام

---

الشيخ هاشم بن سليمان في المحجة على ما في الينابيع ص ٢٥ ط اسلامبول وروى عن الباقر والصادق عليهما السلام أنها نزلت في القائم واصحابه.

دينا<sup>١</sup> وتمكين الدين لا نراه إلا هنا دون سائر القرآن لسائر الأمم، فدين الله كله تام مكين ولكنما التمكين يعني تثبيته دون تزعزع، لا في أصله نسخا أو تحريفا، ولا في سلطته وتطبيقه، فمن مخلفات ذلك الإستخلاف للذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، تمكين دينهم المرتضى لهم ليحكموا به صارما قاطعا ثابتا لا يتخلف ولا يتخلف عنه.

وكما مطلق الإستخلاف في الأرض يقتضي الإستخلاف المطلق دون سلطة أخرى أمامه، كذلك تمكين الدين، لحد لا يبقى سواه دين، وكما وعده الرسول الأمين: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»<sup>٢</sup> و«... وكفى بالله شهيدا»<sup>٣</sup> فعند ذلك ترتفع فتنة الإختلاف في الدين وكل فتنة ولكنه بحاجة إلى جهاد ودفاع صارم ومقاتلة دائمة: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»<sup>٤</sup> وعند ذلك يكون «له الدين واصبا»<sup>٥</sup> «ألا لله الدين الخالص»<sup>٦</sup> وهناك يقام الدين دون تفرق عنه ولا فيه: «أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»<sup>٧</sup>.

٣ - «وَلَيَبْدُلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» أمن صارم بعد خوف عارم، وتقية دائمة طول الرسالات الإلهية، فبعد خوفٍ دائم على دين الله والدينين، داخل المجموعة المؤمنة من الذين يتربصون بهم دوائر السوء، نرى خلاف وتخلف هو لازم كل أمة، وخارج المجموعة المؤمنة من الذين يتربصون بهم دوائر السوء، نرى أمنا خالصا لا خوف فيه، حيث الخلافة الوحيدة الإيمانية، والدين الممكن المرتضى، صَيِّقا كَلِّ مجاله من مجالات التقية والتخوف، فهناك تزول التقية إلى مجالات التقوى المطلقة، فلا عذر لأي عاذر في

<sup>١</sup> . ( المائدة ٥ : ٦ .

<sup>٢</sup> . ( التوبة ٩ : ٣٣ .

<sup>٣</sup> . ( الصف ٦١ : ٩ .

<sup>٤</sup> . ( الفتح ٤٨ : ٢٨ .

<sup>٥</sup> . ( الانفال ٨ : ٣٩ .

<sup>٦</sup> . ( النحل ١٦ : ٥٢ .

<sup>٧</sup> . ( الزمر ٣٩ : ٣ .

<sup>٨</sup> . ( شورى ٤٢ : ١٣ .



تخلّفه عن دين الله من جهل، حيث العلم يحلّق على الأجواء، ومن خوف وتقية أماذا من عللٍ يلجأ إليها العاذرون!

هنالك يتبدل خوف الإيمان إلى أمنه، أمن الإيمان وخوف اللأ إيمان، ولا نجد الأمن المطلق إلى تمكين للدين مطلق وإلى استخلاف في الأرض مطلق إلا هنا دون سائر القرآن وسائر الأمم! ٤ - «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» عبادة خالصة لله ليس فيها أية شائبة من أي شرك، رغم سائر العصور إذ «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»<sup>١</sup> فمهما كان هناك ضروب من الشرك قصورا أو تقصيرا، إختيارا أو إضطرارا في عصور التقية، فلا شرك في ذلك العصر المنير، لا في حكم الله إذ لا حاكم فيه إلا كتاب الله، ولا في عبادة الله ولا أي تخضّع إلا لله وفي الله، توحيدا صارما يحلّق على كافة الجنبات وكافة الأجواء بمثلث الخلافة التمكين الأمن المطلقة!.. «ومن كفر» كفرانا ففسقا، أو نكرانا فكفرا، وأعلام الحق ظاهرة، وسلطته قاهرة! ف «ومن كفر» عن خالص التوحيد إلى سواه «بعد ذلك» الحكم الإلهي الوطيد الوحيد بزوال كل سلطة وكل دين وكل خوفا حين لا تبقى تقية ولا أية عاذرة في التخلف عن خالص التوحيد - «فأولئك هم الفاسقون» الخارجون عن طاعة الله، وبواعث خالص الإيمان كائنة، ودوافعه زائلة، وآيات الله بينة! فسق عارم لا يبرره أو يخفف عن وطأته أي مبرر، فهو الدرك الأسفل من الفسق.

فالناس إذا بين مؤمن مخلص وهم الأكثرية الساحقة المطلقة حينذاك، وبين فاسق أو كافر وهم القلة القليلة لا يقدرّون على شيء من الإفساد وتكدير الجو، إلا تقية عن خلافة الإيمان! نرى كلاً من الوعود الثلاثة الأول في بُعدين من التأكيد: لام التأكيد ونون التأكيد، ناحية منحى سيادة الدين الحق «يعبدونني لا يشركون بي شيئا» وعود أربع منقطعة النظير في تاريخ الرسالات، فمهما شاركهم في استخلافهم في الأرض الذين من قبلهم في أصله، فلا مشاركة في الثلاثة الباقية، وهذه الأربعة هي قواعد عرش الخلافة الإسلامية آخر الزمن بقيادة القائم المهدي من آل محمد عليهم آلاف الصلوات والتحية! وعلى حد قول الرسول صلى الله عليه وآله «زُويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمّتي ما زوي منها»<sup>٢</sup> ف «لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما أن يذلهم فيدينون بها»<sup>٣</sup>. ذلك اليوم ليس من أيام الرسول صلى الله عليه وآله ولا أيام علي عليه السلام فضلاً عن الثلاثة<sup>٤</sup> وإنما هو يوم المهدي

١ . ( يوسف ١٢ : ١٠٦ . )

٢ . ( نور الثقلين ٣ : ٦٢١ ح ٢٢٧ في جوامع الجامع قال صلى الله عليه وآله زويت ... (اي جمعت ..) . )

٣ . ( المصدر فيه روى المقداد عنه صلى الله عليه وآله قال : ... )

٤ . ( المصدر ص ١٦٧ ح ٢١٩ في كتاب كمال الدين وكمال النعمة باسناده الى سديد الصيرفي عند ابي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه ابطاء نوح وسببه ويقول فيه وكذلك القائم فانه تمتد ايام غيبته فيصرح الحق

المنتظر المنتصر حيث «يظهر الله دين نبيه على يديه على الدين كله ولو كره المشركون»<sup>١</sup> وهل يوجد في ذلك اليوم غير من أسلم؟ آيتا الإلقاء والإغراء<sup>٢</sup> تثبتان تداوم العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى إلى يوم القيامة، إذا فهم موجودون إلى يوم القيامة، إذا فهم موجودون يوم القائم دون سلطة، فإنهم - إذا - تحت السلطة الإسلامية، لا دور لهم إلا حالة الذمة والتقية، وهالة الذلة العارمة. ولا تدلنا آية الوعد إلا إلى سلطة عالمية إيمانية، دون زوال الكفر عن آخره، وانما زوال سلطته، فما دام الإختيار باقيا ودوافع الشهوات آفاقية وأنفسية باقية، ثم لا حمل وتسيير على الهدى، لا يُعقل اجتماع الناس جميعا على الهدى «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى...»<sup>٣</sup> إستحالة الجمع، إذ ليس الله ليحملهم على الهدى، ثم هم لا يهتدون جميعا ما دامت عوامل الضلالة باقية، مهما شملت عوامل

---

عن محضه ويصفوا الايمان من الكدر بارتداد من كانت طبيئته خبيثة من الشيعة الذين يختص عليهم النفاق اذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والامر المنتشر في عهد القائم قال الفضل فقلت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فان هذه النواصب تزعم ان هذه الآية نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام فقال: لا يهدي الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكنا بانتشار الامر في الامة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهد علي عليه السلام مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تثور في ايامهم والحروب التي كانت تنسب اليهم بين الكفار وبينهم.

<sup>١</sup> . المصدر ح ٢٢١ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه ... ويقترّب الوعد الحق الذي بينه الله في كتابه بقوله «وعد الله الذين آمنوا...» وذلك اذا لم يبق من الاسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه وغاب صاحب الامر بايضاح العذر له في ذلك لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون اقرب الناس اليه اشد عداوة له وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه...» وفي ملحقات الاحقاق ١٤ : ٧٣؛ عن ابن حيان الاصفهاني في اخلاق النبي ٢٠٧ قال ابو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد عن عبدالله بن مسعود قال اختص الولاية في القرآن بثلاث - الى قوله - وبعلي حيث قال: وعد الله الذين آمنوا... يعني آدم وداوود ولهم دينهم الذي ارتضى لهم يعني الاسلام وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعني اهل مكة امنا في المدينة يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك يعني بولاية علي بن ابي طالب وخلافته فاولئك هم الفاسقون، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٤١٢ باسناده عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في آل محمد صلى الله عليه وآله وعن القاسم بن عوف قال سمعت عبدالله بن محمد يقول: هي لنا اهل البيت.

<sup>٢</sup> . هما قوله تعالى: «وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة» (٥ : ٦٤) «وأغرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة» (٥ : ١٤).

<sup>٣</sup> . الأنعام ٦ : ٣٥.

الهداية الباهرة مشارق الأرض ومغاربها.

«اللهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك على عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلة، بقية الشجرة الطيبة الزاكية المباركة، وأعل كلمتهم وأفلح حجتهم، واكشف البلاء والالواء وحناس الأباطيل والغم عنهم وثبت قلوب شيعتهم وحزبك على طاعتهم ونصرتهم وموالاتهم، وأعنهم وامنهم الصبر على الأذى فيك، واجعل لهم أياما مشهودة وأوقاتا محمودة مسعودة توشك منها فرجهم، توجب فيها تمكينهم ونصرتهم، كما ضمنت لأولياك في كتابك المنزل فإنك قلت وقولك الحق: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا»<sup>١</sup>. وهنالك بشارات في كتابات النبيين بشأن الوعود الأربعة تحقيقا في القائم المهدي عليه السلام المذكورة بميزاته الخاصة ودولته المباركة، سردناها في «رسول الإسلام في الكتب السماوية»<sup>٢</sup> واليكم منها نماذج عدة: في كتاب صفيناه ٣: ٩ عن الاصل العبراني «كِي أَرَّ إهْبُوخُ إَلْ عَمِيم سَافَاهُ بَرُورَا لِيَقْرُوا كُولَامُ بِشَمَّ يَهُوَاهُ لَعَابُدُوا شَخِمَ إِحَادٌ».

(٩) «لأني أجعل للشعوب شفة نقية ليدعوا جميعهم باسم الرب وليعبدوه بكتف واحد». ولم يأت حتى الآن هكذا دور تجتمع فيه الأمم على عبادة الله، إلا في ذلك المستقبل المشرق حيث «أشرفت الأرض بنور ربها»!

ومثله ما في أشعياء ٢٢: ٢٢ - ٢٣ عن الاصل العبراني: «بَنُو إِيْلَى وَهِيُوا شَعُو كُلُّ أَفِصْ أَرْضُ كِي إِيْلَى إِيْلَ وَإِنْ عُوذِبِي نِيَشَعْنِي يَا صَابِي صَدَاقَاهُ دَابَارُ وَلايَا شُوبُ كِي لِي يَتَجَرَّعَ كُلُّ بَرِخُ يَتَشَابِعُ كُلُّ لَا شُونُ». «توجهوا إلي فأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض فإني أنا الله وليس آخر. بذاتي أقسمت ومن فمي خرج الصدق كلمة لا ترجع: أنها ستجتثوا كل رُكبة لي وبني سيقسم كل لسان».

وفي أشعياء ١١: ١ - ١٠ «ويخرج قضيب من جذر يَسِيٍّ وينمو فرع من أصوله ويستقر عليه روح الرب روح الحكمة والفهم وروح المشورة والقوة وروح العلم وتقوى الرب\* ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي- بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سماع أذنيه\* بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الأرض بإنصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه ويهلك المنافقين بنفس شفثيه\* ويكون العدل منطفة حقويه والحق حزام كشحيه\* فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معا وصبي صغير يسوقها\* ترعى البقرة والدُّب معا ويربض أولادهما معا والأسد ياكل التبن كالثور\* ويلعب المرضع على جُحْر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم\* لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر\* وفي ذلك اليوم أصل يَسِيٍّ القائم راية للشعوب إياه تترجى الأمم ويكون مثواه جيدا\*».

<sup>١</sup> . في مصباح شيخ الطائفة من زيارة الحسين المروية عن ابي عبد الله عليه السلام.

<sup>٢</sup> . ص ٢٠٥ - ٢٥٨، تحوي هذه الصفحات بشارات بمختلف اللغات عن مختلف كتابات السماء فراجع.

وهذه الآيات تحمل اختصاصات للقائم المهدي (عج) باسمه ولدولته دون حاجة إلى إيضاحات! وفي دانيال ١٢: ١ - ١٣ «في ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان وفي ذلك الزمان ينجوا شعبك كل من يوجد مكتوبا في الكتاب (١) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والردل الأبدي (٢) ويُضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين أبرارا كالكواكب إلى الدهر والأبد (٣) وأنت يا دانيال أغلق على الأقوال واختم على الكتاب إلى وقت الإنقضاء إن كثيرين يتصفحون ويزداد العلم (٤)... طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين يوما (١٣) وأنت إذهب إلى الإنقضاء وستستريح وتقوم في قرعتك إلى الأبد».

هنا «القائم» يقوم في أضيقات الأوقات التي مرت على البشرية منذ تكونها «وينجو من يوجد مكتوبا في الكتاب» من الصالحين. ويرجع عن الموت بعضهم للحياة وبعضهم للعار، وكما في أحاديثنا «يرجع من محض الإيمان محضا ومن محض الكفر محضا».

وفي «رؤيا يوحنا اللاهوتي كما في الأصل السرياني ٢: ٤٦ - ٢٨ «دَهَابٌ دِكَايْبٌ وَهَابٌ دِنَاطِرٌ هَلْ خَرْنَا لِبَلْحَنِي دِيَّ بَثْ يَيْنَ قَتُوهُ هُكَمَ هَلْ طايبي (٢٤) وَبَثْ مَارَعِي لُونُ بِخَطْرًا وَأَخْ مَنْ دِكُوزَ چي (٢٧) بَثْ طُوخَطْنِي أَخْ دَاوَبْ أَنَا فُوبَلِّي مِنْ بِي وَبَثْ يَيْنَ قَثِي لِكُوكَبْ دِمُورِسْ»:

«ومن غلب وحفظ أعماله إلى المنتهى فاني أوتيته سلطانا على الأمم. فيرعاهم بعضا من حديد وكآنية من خزف يتحطمون. كما أوتيته من خالقي وأعطيه كوكب الصبح. من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنايس». ف «يرعاهم بعضا من حديد» هو قيام صاحب الأمر بالسيف، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من أصحابه وانصاره.

## القرآن

### تبيان لكل شيء

«يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»<sup>١</sup>

«يوم» و«أمة» و«شاهد» هي طليقة، حيث يبعث يوم البعث من كل أمة شهيدا، وهو جنسه الشامل لعدد الشهداء، حيث يحمل الاعمال والنيات والأقوال والحالات القلبية عن حضور عندها

<sup>١</sup> . (النحل ١٦ : ٨٩).

باحضار الله تعالى، ام هو نفس الاعمال بقرياناتها.

ثم هنا زيادة منقطعة النظير في كل آيات الشهادة هي «من أنفسهم وجئنا بك - ونزلنا». «من» في «من أنفسهم» كما تحتمل الجنس، فالشهيد - اذا - من جنس المشهود عليهم، كذلك تحتمل النشوء والابتداء، فهو إذا ناشئ من أنفسهم، والمعنيان معنيان حيث تحملان كافة الشهادات المسرودة في الذكر الحكيم، فشهادة الأعضاء والأجواء والنبين والكرام الكاتبين كلها ناشئة من أنفس المشهود عليهم، دون اختلاق، ولا بينة قابلة للكذب او الخطأ، ولا استماع ام رؤية دون حيلة علمية بحق الاعمال، بل «من أنفسهم» طابق النعل بالنعل، دون زيادة ولا نقصان.

ومن الشهداء من هم من جنس المشهود عليهم كنبى كل امة او امامها، فالإنس للإنس والجن للجن، نبيا او اماما كما تدل عليه آية البقرة «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»<sup>١</sup> وآية الحج: «وليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس»<sup>٢</sup>.

ثم سائر الشهداء كالكرام الكاتبين وان لم يكونوا من جنس المشهود عليهم، ولكنهم ناشئون في شهاداتهم عن انفس المشهود عليهم دون اي وسيط يحتمل الخطأ، اللهم الا الوسيط الاصيل المعصوم العاصم وهو إلهاد الله وإحضاره لهم كل الحقائق الصادرة منهم دون إبقاء، وأفضل من مجرد السماع والرؤية وأمتن، حيث يحتملان الخطأ اذ قد يختلف المرئي والمبصر عن واقع الأمر، خطأ من السمع والبصر، ام خبا الحقيقة عن المسموع والمبصر.

فتلك الشهادة الإلهية بإلقاء الله وبعثه، هي بطبيعة الحال شهادة عاصمة كل ما يحصل، معصومة عما لم يحصل، وكلها مشمولة لاستنساخ الله: «وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تُجزون ما كنتم تعملون. هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون»<sup>٣</sup>.

اذ «وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»<sup>٤</sup>.

ثم بعث الشهداء يختلف حسب نوعيتهم، فشهد الاعضاء والأرض والفضاء، هو صورة الاعمال وصوت الاقوال، وحالة الاحوال قلبيا وفي النية، وبعثها هو اظهارها بعد خفاءها حيث كانت مستنسخة مسجلة: «وكل انسان الزمان طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ

<sup>١</sup> . (البقرة ٢: ١٤٣).

<sup>٢</sup> . (الحج ٢٢: ٧٨).

<sup>٣</sup> . (الجاثية ٤٥: ٢٩).

<sup>٤</sup> . (يونس ١٠: ٦١).

كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسييا.<sup>١</sup> - «يومئذ تحدث اخبارها. بان ربك اوحى لها»<sup>٢</sup> فالاعمال المسجلة في الاعناق وفي الأرض بفضاءها تخرج يوم القيامة عن كمونها وتحضر حيث يحشر عاملوها: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا.<sup>٣</sup> وبعث الملائكة والانبيا والاولياء ليس كبعث المشهود عليهم، وانما هو انتقال من الحياة البرزخية قفزة دون موت عنها الى الحياة الأخرى، حيث ليسوا من المصعقين في قيامة الإماتة: «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون»<sup>٤</sup> وهم ممن شاء الله ألا يصعقوا بصعقة الموت الجماهيري. فالشهود إذا في مثلث من البعث يجمعها الحضور للشهادة كما تلقوا دون إبقاء ولا إخفاء «والله من ورائهم رقيب»... ثم:

«وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» و«هؤلاء» هنا لا تخص المشهود عليهم من امة الإسلام امّن هم من المكلفين منذ الرسالة الاسلامية الى يوم القيام، فان من المشهود عليهم شهداء على امم كما دلت آية البقرة والحج انهم هم امة الوسط: «وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»<sup>٥</sup> وعلّ الناس هنا هم كافة الناس طيلة التاريخ الرسالي، من الرسل والمرسل اليهم، فهم امة وسط بين هذا الرسول وكل الناس، ثم الرسول شهيد عليهم كما هو شهيد - وباحرى - على الناس.

إذا ف «هؤلاء» هنا هم كل امة بشهيدها، ومنهم امة الاسلام بشهداءها الأئمة، فهو صلى الله عليه وآله شهيد الشهداء، شهادة على اعمال الناس، واخرى على مقامات ومسئوليات رسالية أما هيه للشهداء عليهم، فهو في اعلى قمة من الشهادة يوم يقوم الأشهاد وذلك من مقامه المحمود: «عسى- ان يبعثك ربك مقاما محمودا».<sup>٦</sup> - «فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا»<sup>١</sup>

<sup>١</sup> . (الاسراء ٤٧ : ١٤ .)

<sup>٢</sup> . (الزلزال ٩٩ : ٥ .)

<sup>٣</sup> . (آل عمران ٣ : ٣٠ .)

<sup>٤</sup> . (الزمر ٣٩ : ٦٨ .)

<sup>٥</sup> . (البقرة ٢ : ١٤٣ .)

<sup>٦</sup> . (الاسراء ١٧ : ٧٩ .)

ثم ولا فحسب انك انت شهيد الشهداء، مما يبرهن على موقفك الرسالي القمة من الإمامة المطلقة على كافة الائمة رسلاً وسواهم، بل وكذلك كتابك القرآن العظيم، حيث يحلّق على كل كتابات السماء، كما تحلّق انت على كل رسالات السماء:

«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء..» ذلك الكتاب تبيان لكل شيء دون إبقاء، فكما «جئنا بك على هؤلاء شهيدا» فانت شهيد الشهداء، كذلك «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» فانت تعرف به كل شيء غير المختصة بالله تعالى.

فلك المقام المحمود في الاولى «تبيانا لكل شيء» ولك المقام المحمود في الاخرى «وجئنا بك على هؤلاء شهيدا»!

وقد يذكر الكتاب رَدَّف الشهداء بعد النبيين يوم يقوم الاشهاد: «وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووقيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون»<sup>١</sup> وان كان الكتاب هنا يعم كتاب الاعمال وكتاب الشريعة، ولكن القرآن هو المحور الاصيل، وهو الميزان الذي توزن به الاعمال، ويشهد على ميزانه الشهود، وترى ما هو كل شيء الذي يكون له القرآن تبيانا؟ وهنا شيء كثير لا نجد له في القرآن أثرا ولا بيانا!

انه - مناسبة الحكم والموضوع - هو الشيء الذي يناسب كتاب الشريعة والهدى، فهو - اذا - كل هدى من الله: آفاقيا وانفسيا، تكوينيا وتشريعيًا، فهو الشيء السبيل الى الله، لكل متحر عن سبيل الله، محلّقا على كافة سبل الهدى، معلقا على كافة سبل الردى، مستغرقا كل درجات السبيل الى الله، مجتثا كل دركات الضلالات الصادة عن سبيل الله.

«وكل شيء» هنا بين احتملات عدة صالحة وطالحة، ومن الثانية الشيء الغيب الخاص علمه بالله، المستحيل ان يعلمه او يعلمه غير الله، والشيء البين الذي لا يحتاج الى تبيان، فان تبيانه تحصيل للحاصل.

ولان الشيء هنا هو شيء الهدى فالمعني منه أصالته ما ليس للعالمين اليه سبيل لولا وحي الله، وعلى هامشه ما له سبيل ولكنه قليل سواء أكان من المعرفيات ام المخترعات والمكتشاف، فتبيان القرآن للهدى الاولى صريح، مهما كان بصورة ضابطة يرجع اليها في المتفرعات، وللثانية بين صريح وغير صريح، لكيلا يلزم تعطيل الطاقات المكتشفة عنها الهادية اليها.

فلو كان القرآن بيانا صريحا لما يتمكن الانسان من الحصول عليه بمحاولات ميسورة لديه لزم مستقبل طال ام قصر، لكان في ذلك تعطيل للطاقات الفكرية والمحاولات المندوب اليها، ولكنّه يشير ام يذكر اصولاً تُبنتى للحصول على تلك المعلومات المرغوبة للإنسان، ام يصرح ما سوف يصل اليه على ركب العلم الدائب في مسيره الى مصيره، وليعلموا انه كتاب الوحي وليس من اختلاق بشر-

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٤١ .

<sup>٢</sup> . (الزمر ٣٩ : ٦٩ - ٧٠ .

وسواه، ولا سيما في تلك الظروف القاحلة الجاهلة في الجزيرة العربية. ولأن القرآن هو الوحي الاصيل واصيل الوحي على خاتم رجالات الوحي، فهو الحاوي لاصول المعارف مبدأً ومعاداً وما بين المبدء والمعاد و«ما من امر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال»<sup>١</sup>، وأما يعرف تفريع الفروع على اصوله من خوطب به، وكما تلمح له «ونزلنا عليك» فكونه «تبياناً لكل شيء» لا يقتضي ان يكون تبياناً لكل احد، والقدر المتيقن المفروض انه تبيان لكل شيء لمن عليه بيان كل شيء وكما يروى «أما يعرف القرآن من خوطب به».

اجل، وكل شيء تحتاج اليه الأمة<sup>٢</sup> إلى يوم القيامة هو لا محالة في القرآن كائن، بين ظاهر وكامن بين بطون وتأويلات، ومآخذ الحقايق والأحكام، و«ان كتاب الله على اربعة اشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقائق للأنبياء»<sup>٣</sup>.

هناك التورات وهو اعظم كتب السماء بعد القرآن «وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء»<sup>٤</sup> - ثم الانجيل «.. جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه»<sup>٥</sup> وهنا القرآن

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ٣: ٧٥ في اصول الكافي عن المعلى بن خنيس قال قال ابو عبدالله عليه السلام: ... )

<sup>٢</sup> . ( المصدر في اصول الكافي عن مرام عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً تحتاج اليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن الا وقد انزله الله فيه، وفيه عن عمر بن قيس عن ابي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج اليه الأمة إلا انزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً، وفيه عن الكافي عن ابي الجارود قال قال ابو جعفر عليه السلام: اذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله قال في بعض حديثه: ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقليل له يابن رسول الله صلى الله عليه وآله اين هذا من كتاب الله؟ قال: ان الله عزوجل يقول: «لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس» وقال: «ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً» وقال: «لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم» .

<sup>٣</sup> . ( سفينة البحار عن الامام الحسين عليه السلام عن ابيه امير المؤمنين عليه السلام .

<sup>٤</sup> . ( الاعراف ٧: ١٤٥ .

<sup>٥</sup> . ( الزخرف ٤٣: ٦٣ .



«تبيانا لكل شيء»<sup>١</sup> وهذه قضية خلوده وخاتمته وهيمنته على كتابات الوحي كلها: «أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيما عليه»<sup>٢</sup>.  
 ومما يروى عن الإمام علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم.. فلو سألتموني لعلمتكم»<sup>٣</sup>  
 وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام: «لقد ولدني رسول الله وأنا اعلم كتاب الله... اعلم ذلك كما انظر الى كفي ان الله يقول: «فيه تبيان كل شيء»»<sup>٤</sup>.  
 ثم «كل شيء» وهو هنا شيء الهداية الإلهية، له اصول وفروع، فاصوله في وحي القرآن، وفروعه فيه وفي السنة، ام ان الكتاب هو مطلق كتاب الوحي الشامل للكتاب والسنة، ام ان الرسول صلى الله عليه وآله نبيء بالفروع حين ألقى اليه الاصول، لصق بعض وتلو بعض، مع العلم بالبطون والتأويل، وكذلك الأمة من آل الرسول عليهم السلام.  
 ف «تبيانا لكل شيء» يختص بمن عليه بيان كل شيء، دون كافة المسلمين ولا بعضهم حيث نصيبتهم على ضوء ذلك التبيان ببيان الرسول «هدى ورحمة وبشرى للمسلمين» - «هدى» على قدر تبيانه لهم «ورحمة» على قدر هداه «وبشرى» على قدر رحمته، ولكن كل هدى وكل رحمة وكل بشرى للنبي وسائر المعصومين، حيث المعروف على قدر المعرفة.

<sup>١</sup> . ( نورالثقلين ٣ : ٧٣ في تفسير العياشي من عبدالله بن الوليد قال قال ابو عبدالله عليه السلام قال الله لموسى «وكتبنا له في الألواح من كل شيء» فعلمنا انه لم يكتب لموسى الشيء كله، وقال الله لعيسى «ليبين لهم الذي يختلفون فيه» وقال الله لمحمد صلى الله عليه وآله: «وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء».

<sup>٢</sup> . ( المائدة ٥ : ٤٨ .

<sup>٣</sup> . ( المصدر في اصول الكافي عن مسعدة بن مسعدة عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام ايها الناس ان الله تبارك وتعالى ارسل اليكم الرسول - الى ان قال - فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم اخبركم عنه ان فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي الى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما اصبحتم فيه تختلفون فلو سألتموني عنه لعلمتكم.

<sup>٤</sup> . ( المصدر عن الكافي عن عبد الاعلى بن اعين قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا اعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن الى يوم القيامة وفيه خير السماء وخير الارض وخير الجنة وخير النار وخير ما هو كائن اعلم ذلك كما انظر الى كفي .  
 وفيه عن تفسير العياشي عن منصور عن حماد اللحام قال قال ابو عبدالله عليه السلام: نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك، قال: فبقيت انظر اليه فقال: يا حماد! ان ذلك في كتاب الله ثلاث مرات - قال: ثم تلا هذه الآية: «ويوم نبعث...» آية من كتاب الله فيه تبيان كل شيء.

ثم «تبيانا لكل شيء» تعم خصوص الرسول ﷺ وذويه المعصومين عليهم السلام، في شموليتها نضا وظاهرا وإشارة ولطيفة وحقيقة: بطونا وتاويلات، وكذلك سائر مَنْ بإمكانه تفهّم القرآن قبل إسلامه له وبعده.

ومن ثم «هدى ورحمة وبشرى للمسلمين» سواء البدائيين كالذين أقرّوا بالشهادتين ولمّا يؤمنوا قصورا دون تقصير: «وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»<sup>١</sup> أو الذين آمنوا ولمّا يسلموا تسليما بكمال الإيمان القمّة، فإنهم الوُسطاء في الإسلام، أو الذين أسلموا بعد الإيمان وهو نتاج قمّة الإيمان، دون الذين أسلموا منافقين فإنه ليس لهم لا هدى ولا رحمة ولا بشرى، بل ضلال ونقمة وإنذار.

ثم هذه الثلاث درجات حسب درجات الإسلام، فهدها للمسلم غير المؤمن قصورا هي هدى الإيمان بعد الإسلام، وللمؤمن مزيدٌ في هدى الإيمان: «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم» وللمسلم بعد الإيمان مزيد في هدى الإسلام.

ثم «ورحمة» تعم الرحمات في مثلث النشآت، كما البشرى تعم ما وعد الله للمسلمين. ويا له ملتقى عالية غالية ان يجتمع «تبيانا لكل شيء» القرآن، بيان كل شيء من القرآن لاهل بيت القرآن، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

## القرآن

### بيان لجميع الناس

«هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»<sup>٢</sup>

«هذا» القرآن، وهنا «هذا» البيان «بيان للناس» دون خفاء ولا غطاء «بيان» لهم كلهم، ثم «وهديّ وموعظة للمتقين» فمهما كان هدى دلالية للناس كلهم، فليس هدى واقعية إلا للمتقين، الذين إذا وقوا ببيان اتقوا وإذا هدوا اهتدوا. ومن الفارق بين البيان والهدى والموعظة، ان البيان ليس إلا عن خفاء، خفاء الجهل بالحق، أو خفاء

<sup>١</sup> . ( الحجرات ٤٩ : ١٤ .

<sup>٢</sup> . ( آل عمران ٣ : ١٣٨ .

التجاهل عنه، ام خفاء التصديق به، فالبيان أيا كان يفيد إزالة الشبهة، والهدى بيان لطريق الرشد، والموعظة بيان لمحاظير طريق الرشد، فالمتقي إنما يحتاج الى الهدى - حيث يتحرى عنها - فيتبعها، ثم إلى الموعظة فيتحرز عما يوعظ به، وغير المتقي يحتاج الى بيان حتى يجتاح جهله او تجاهله. فلا اثر للبيان ما لم يكن التقوى، إلا أن من البيان ما يبعث على التقوى، لأن غير المتقي جاهل بما يحرضه على التقوى.

فالقرآن بيان للناس ككل، لمن تبين به: «ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيء»<sup>١</sup> و«موعظة وشفاء لما في الصدور»<sup>٢</sup> ف«هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون»<sup>٣</sup> وإذا كان «هذا بيان للناس» فليكن تفهمه ميسورا لهم كناس، فالمعتذرون عن فهمه او تفهمه سواء في كونهم من النسناس الخناس، أم كانوا من المؤمنين به المغالين تقصيرا في تفهمه، وانه خاص بالمعصومين عليهم السلام، ام كانوا ممن «قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم»<sup>٤</sup> إنهم ليسوا عن فهمه بمعذورين. فالقرآن «بيان للناس» ما تبينوا، بيان في ظواهره ومظاهره، ثم في إشارات ولطائفه، مهما اختصت حقايقه تأويلاً لغير ما اختص بالرسول وعترته المعصومين عليهم السلام، ف«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها».

## القرآن

### نور وكتاب مبين

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ\* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ\*<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> . (النحل ١٦ : ٨٩ .

<sup>٢</sup> . (يونس ١٠ : ٥٧ .

<sup>٣</sup> . (الجاثية ٤٥ : ٢٠ .

<sup>٤</sup> . (المائدة ٥ : ١٥ و ١٦ .

«يا أهل الكتاب» والكتاب مفردا يلمح أولاً أن التوراة والإنجيل يحملان شرعة واحدة فلا مزيد في الإنجيل إلا أنظمة خُلِّقَت عالية تحتاجها اليهود القساة العصاة، ونزرا من تحليل ما حرم عليهم عقوبة وإبتلاءً.

وثانياً أن كتب السماء كرسالات السماء هي سلسلة واحدة بين الله والمرسل إليهم، وحدة في العمق والاتجاه مهما اختلفت فيها طقوس عملية قضية الإبتلاء والإكتمال، ومن ثم فالكتاب جنس يشمل كل كتاب.

«قد جاءكم رسولنا» جاءكم أولاً لأنكم أهل الكتاب، عارفون لغة الكتاب وطبيعته، فأنتم أحرى بتصديقه من الأميين الذين لا يعرفون وحي الكتاب.

وهنا «رسولنا» دون «رسولي» أو «الرسول» أو «محمد» تعبير قاصد إلى أمرين هامين يتبنيان كيان هذه الرسالة الأخيرة، ولذلك لم تأت هذه الصيغة إلا لرسولنا صلى الله عليه وآله<sup>١</sup>. فجمعية الصيغة تعني جمعية الصفات، فهذه الرسالة الأخيرة هي حصيلة الجمعية الربانية في صفاته الحسنى، فهي تحمل بلاغا جامعاً لجمعية الربانية الإلهية المنبثّة في سائر الرسالات وزيادة هي قضية خلودها.

ثم إفراد الرسول في هذه الجمعية يلمح بأنه هو الرسول فقط، فسائر الرسل هم يعبدون الطريق لهذه الرسالة السامية، كما و«رسوله» أيضاً تختصه دون سواه، ووحيه أمام سائر النبيين كأنه الوحي لا سواه حين يقرن بسائر الوحي، حيث أتت بصيغة الوصية وجاه وحيه صلى الله عليه وآله: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...»<sup>٢</sup>.

إذا ف «قد جاءكم رسولنا» قد تعني: قد جاءكم كل الرسالات الربانية مجيء هذا الرسول. «يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب» بيانا سلبيا لما حرّفتكم من كتابات الوحي، حيث السلب مقدم على الإيجاب في سلك الهداية وسائر التطهير. و«ما تخفون» يعم إخفاء أصل من الكتاب أم معنى منه، فقد أخفى النصارى توحيد الحق وحق التوحيد بسائر الكرامات الربانية والرسالية والأحكامية، وأخفى اليهود - كمزيد - شطرا من أحكام التوراة مصلحية الحفاظ على مصالحهم المادية أو الروحية!، وكما أخفوا جميعا يدا واحدة البشارات المحمدية في التوراة والإنجيل، تحريفا لفظيا أو تأويلاً معنويا إخفاءً لهذه الرسالة السامية.

فهو بقرانه المبين وبرهانه المتين يبين كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعف عن كثير مما كنتم تخفون من الكتاب، أو ومن ذنوبكم إذا آمنتم بهذه الرسالة، فإن الإيمان الصالح كفارة عما سلف قبل الإيمان.

<sup>١</sup> . لقد جاء «رسولنا» هنا وفي (٥ : ١٩ و ٩٢ و ٦٤ : ١٢) ثم لم تأت لغيره.

<sup>٢</sup> . الشورى ٤٢ : ١٣ .

فالعفو هنا يعم العفو عن ذنوب إن آمنوا إلى جانب عدم البيان لقسم من إخفاءهم من الكتاب. فالبشارات المخفية غير المبينة في هذه الرسالة نسا تتبين بمثل «الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل»<sup>١</sup> و«يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»<sup>٢</sup> فهما وأمثالهما كصورة عامة. ومن الخاصة «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره»<sup>٣</sup>. ومما أخفوه غير البشارات في شؤون التوحيد والنبوة والمعاد والأحكام، نجد في القرآن بيانا له تصريحا أو تلويحا، فالقرآن مهيمن على ما بين يديه من كتاب، يبين تحريفه ويبين واجب الشريعة والديانة الربانية بأصولها وشرط شطير من فروعها<sup>٤</sup>.

ذلك «ويعف عن كثير» عفوا بيانيا صراحا، لا عفوا عن ذنب إخفاء، فإنه ليس له أي عفو من هذا القبيل لا جليل ولا قليل، فبدلاً من أن يبين كل ما أخفوه، يبين كثيرا منه صراحا وكثيرا بسائر التلميح ككل الآيات التي تبين حقائق لا تتبدل فطريا أو عقليا أو واقعا أو علميا حفاظا على بيانه الرسالي عن تطويل دون طائل، ومن فضح أهل الكتاب بكل ما أخفوه، فقد تكفيهم حجة بيان كثير مما أخفوه، ثم تبيان غيره بتلميح ليعرفوا تصرفاتهم الخيانية في كتب الوحي فيرجعوا - ضروريا عن غيرهم - إلى هذا النور المبين.

أترى تضادا بين «كثيرا» هنا و«أكثر» في أخرى «إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون»<sup>٥</sup>.

كلّ لأمر شتى، منها التبيين هنا والقص هناك وهذا أعم من ذلك، ومنها أن الذي هم فيه مختلفون كثيران إثنان والمبين منهما أكثر مما عفي عنه تبيينا.

<sup>١</sup> . (الاعراف ٧: ١٥٧).

<sup>٢</sup> . (البقرة ٢: ١٤٦).

<sup>٣</sup> . (الفتح ٤٨: ٢٩).

<sup>٤</sup> . (الدر المنثور ٢: ٢٦٨ - أخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال لما أخبر الأعور سمويل بن سوريا الذي صدق النبي صلى الله عليه وآله على الرجم أنه في كتابهم وقال: لكننا كنا نخفيه فنزلت «يا أهل الكتاب...» وفيه أخرج ابن جرير عن عكرمة قال ان نبي الله صلى الله عليه وآله أتاه اليهود يسألونه عن الرجم فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن سوريا فنأشده بالذي أنزل التوراة على موسى والذي رفع الطور بالمواثيق التي أخذت عليهم هل تجدون الرجم في كتابكم؟ فقال: انه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكّم عليهم بالرجم فأنزل الله «يا أهل الكتاب...».

<sup>٥</sup> . (النمل ٢٧: ٦٧).

أم وترى تضادا بين بيان الكثير الأكثر وتطبيق التبيين لما اختلفوا فيه في الثالثة: «وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»<sup>١</sup>. كلا ثم كلاً! حيث الذي اختلفوا فيه هنا غير ما هناك، فهنا المختلف فيه بين المشركين وهو مادة الإشراك مهما شمل مواداً لأهل الكتاب، وهناك مختلفات أهل الكتاب، وقد بين القرآن أكثر الذي هم فيه يختلفون صراحة، ثم الكثير معروف من تبين حقائق ناصعة مسرودة في الذكر الحكيم، فالمتبين الأول يتبنى أهم المختلفات المختلفات من إخفاء الكتاب في مثل التحريف لفظياً بزيادة أو نقصان، والتحريف معنوياً بتفسير خلاف المقصود، والثاني يتبنى سائر ما أخفوه.

«قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» وقضية العطف هنا أن المعني من «نور» غير المعني من الكتاب، فهو «رسولنا» النور، كما وتدل عليه «سراجاً منيراً»<sup>٢</sup> مهما كان القرآن معه نورا. وأنزلنا إليكم نورا مبيناً<sup>٣</sup>. ولكنه مع القرآن نور كما القرآن معه نور «نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» فهما كالظرف والمجورور إذا اجتمعا إفتقراً وإذا إفتقرا إجتمعاً.

فلا أصدق تعبيراً عن قرآن محمد ومحمد القرآن من «نور» نور تشرق به كينونته فتشرف وتخف وترف ويشرق به كل شيء أمامه، وهكذا نجد وفقاً بين عديد ذكر النور والقرآن في القرآن وهو (٦٨) مرة!

ثم إن «رسولنا» هو «نور» كما أن «كتاب مبين» نور، نور في عقليته، نور في حاله ومقاله وفعاله، نور في إتجاهاته وتوجيهاته، فلذلك مثل به في آية النور:

«مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» فأين هو مثل نوره؟: في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...<sup>٤</sup>

ذلك، وقد تعني «نور» هنا كلا النورين، كما «كتاب مبين» قد تعني كلا الكتابين وهكذا «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين»<sup>٥</sup> فالرسول هنا قرآن مبين، مما يؤكد كون القرآن

<sup>١</sup> . (النحل ١٦ : ٦٤ .

<sup>٢</sup> . (الاحزاب ٣٣ : ٤٦ .

<sup>٣</sup> . (النساء ٤ : ١٧٤ .

<sup>٤</sup> . (النور ٢٤ : ٣٧ .

<sup>٥</sup> . (يس ٣٦ : ٦٩ .

الرسول مع القرآن الكتاب، وكون النور القرآن مع الرسول، فرقدان لا يتفارقان فيما يحويه القرآن إلا في خلود القرآن حاضرا دون الرسول.  
«نور وكتاب مبین» ومما يبينه ذلك الكتاب النور أن ما جاء به هو نور رسالي من خالق النور وباعثها، كما ويبين كل شرائع الدين دون إبقاء.  
ومن مواصفات «كتاب مبین»:

«يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام..» وهي سبل الإسلام الذي قضيته السلام، وكما أن «نور» تشمل الرسول النور والكتاب النور وكذلك الكتاب، كذلك «به» تعني بالرسول وبالكتاب، فالرسول يهدي بالكتاب والكتاب بالرسول، وكلاهما «بإذنه».

وهنا «من اتبع رضوانه» تحلّق على كل من يتحرى عن الحق وإن كان لمّا يصل إليه، فأولى مراحل إتباع رضوان الله التتبع عنه معرفيا ثم عقيديا وعمليا، فهي عبارة أخرى عن «هدى للمتقين». ثم «سبل السلام» هي السبل إلى الله في عديدها ومديدها في مختلف شؤون الحياة، ولأنها لا تخلوا عن ظلمات آفاقية وأنفسية، قصورا أو تقصيرا تتحمل الإنحراف أو الوقفة على حدّ ما، لذلك ويخرجهم من الظلمات إلى النور نور واحد ليست فيها ظلمات هذه السبل، ثم ويهديهم إلى صراط مستقيم. هو آخر المطاف للسالكين إلى الله، فإنه نور مطلق مطبق لا ظلام فيه مهما كان هو أيضا درجات، كما وهدى القرآن هنا في درجات يهدي به الله.. ويخرجهم.. ويهديهم إلى صراط مستقيم. زوايا ثلاث من هدى النور القرآن بإذن الرحيم الرحمن «فبأي آلاء ربكما تكذبان».

ثم هدى القرآن درجات، أولها طبيعة الهدى الدلالية «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» وثانيها واقع الهدى تحريا عنها فوصولاً إلى القرآن ف «هدى للمتقين» وثالثها واقعها المتكامل لمن اهتدى بالقرآن فهو هنا يهدي به الله من اتبع رضوانه.المسرود فيه، مبينا لسنة الرسول صلّى الله عليه وآله يهدي.. سبل السلام» ثم وهذه الأخيرة أيضا مثلثة الدرجات متتابعة تلو بعض ولصق بعض:

«يهدى.. ١ - سبل السلام و ٢ - يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ٣ - ويهديهم إلى صراط مستقيم» وهنا في هذا المثلث من «يهدى» «بإذنه» هي سيدة الموقف صلة لها، فلولا إذنه تكوينها استحالت الهدى، ولولاه تشريعا لم تصلح الدلالة إليها، فكما الرسول يهدي بالقرآن بإذن الله، كذلك - وبأحرى - غيره، فلا يسمح لاي كان أن يهدي بالقرآن إلا على ضوء العلم والعمل بالقرآن، أن يصبح هو بنفسه كأنه القرآن ثم يهدي به:

١ - فسبل السلام أولاً هي سبل الله «السلام» سلام من الله مسكوب في هذه السبل، سلام يحلّق على الحيوية الإيمانية كلها من سلام الفطرة والسجية والعقلية و سلام الصدر والقلب واللب والفؤاد، سلام في حياة فردية وأخرى جماعية، سلام في القول والحال والفعال، و سلام في كل شيء بيد من هدى القرآن علما وعملاً صالحا فالهدى إلى سبل السلام بحاجة إلى اتباع رضوان الله وهو الجهاد المعني من: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين»<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> . (العنكبوت ٢٩ : ٦٩ .)

ومن السلام الآتي ذكره في القرآن «دار السلام»<sup>١</sup> و«تحتيتهم فيها سلام»<sup>٢</sup> و«ادخلوها بسلام آمنين»<sup>٣</sup> والحياة السلام في الأولى هي حياة السلام في الأخرى، والجامع للسلام ككل هو «الإسلام» إسلام الوجه لله بكل الوجوه.

ومن المؤسف جدا أن القرآن البيان التبيين الهادي إلى سبل السلام أصبح متروكا بين الأمة الإسلامية، فقد تركه أهل السنة إذ تركوا قرينه المبيّن لرموزه: الثقل الأصغر، فأل إلى تركه نفسه، وتركه الشيعة مهما خيل إليهم أنهم تمسكوا بأهل البيت إذ تركوا الثقل الأكبر الذي هو مصدرهم فأل إلى ترك القرآن، ويكأنهم أجمعوا على رفض القرآن، و النتيجة أن العلوم الإسلامية انقطعت كثيرا عن القرآن، فقد نظمت بأيدي ائيمة وأخرى جاهلة تنظيما بحيث كأنه لا حاجة لها إلى القرآن، فبإمكان المتعلم علوم الدين أن يتعلمها جميعا ويتطلع فيها وهو لم يرجع إلى القرآن في أصل ولا فرع، فلم يبق للقرآن إلا التلاوة والإستخارة والإهداء إلى أرواح الأموات، وأرواح الأحياء منها خالية: «وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا».

٢ - ثم «ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه. إذن تشريعي حيث يهتدي بهدي الرسول ف «ذكر بالقرآن من يخاف وعيد» وإذن تكويني في ذلك الإهتداء وصولاً إلى حق النور، ففي سبل السلام ظلمات تُظلم على السالك سلوكه المسبّل، وهنا اليد الرحيمة تأخذ بأيدي هؤلاء السالكين سبّل السلام فتصبح السبل كلها نورا موصلاً إلى سليم السلام.

٣ - ومرحلة ثالثة «ويهديهم إلى صراط مستقيم، والصراط ما يبتلع السالك أو يبتلعه السالك فلا ينحرف عنه قيد شعرة أو ينحرف، وهو الصراط الذي نستدعي هديه في صلواتنا ليل نهار. «فإن تولوا» عن حق الوحي وعن حكمك بما أنزل الله إليك «فاعلم أنما يريد الله» ذلك التولي المخبر غير المسير «أن يصيبهم ببعض ذنوبهم» بتلك الإصابة، ذنبا يستجر ذنبا ثم الله لا يوفقهم لتركه. فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. وهنا «فاعلم» نبهة أن محاولاتهم الفاسقة وجاه ما أنزل الله إليه ليست خارجة عن حول الله وقوته، بل هو الذي يذرهم - هكذا - في طغيانهم يعمهون «ولا يحسن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون»<sup>٤</sup> فلا يحملنك توليهم عنك يا حامل الرسالة الأخيرة أن تحزن، ولا تجعل إعراضهم تغلبا لهم عليك أو على الله ربك! ولا أن يفتّ عضدك أو يحولك عن موقفك، فهم أولاء فقط الذين يصيبهم سوء بذلك الإعراض، لا أنت كرسول ولا ربك كمرسل، ولا الصف المسلم، فإنما عليك البلاغ

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ١٢٧ .

<sup>٢</sup> . ( يونس ١٠ : ١٠ .

<sup>٣</sup> . ( الحجر ١٥ : ٤٦ .

<sup>٤</sup> . ( الانفال ٨ : ٥٩ .



وعلينا الحساب.

وبذلك يخلق كل منافذ الشيطانات والعرقلات ومدخلها إلى النفوس المؤمنة.

ذلك، وقد يعني تكرر «أحكم بينهم بما أنزل الله» تكرر دعوهم إليه صلى الله عليه وآله حيث احتكموا إليه أولاً في زنى المحصن ثم احتكموا إليه في قتيل كان بينهم.<sup>١</sup>

ذلك «وان كثيراً من الناس لفاسقون» فلا يبقى إلا قليل «وقليل من عبادي الشكور» وذلك الكثير دركات حسب دركات الفسوق، فكما المؤمنون في الأصل قلة بين الكافرين، كذلك العدول فيما بينهم قلة بجنب فساقهم.

هذه هي المفصلة بين كتلتي الكفر والإيمان دون أية مواصلة، فالحكم إثنان: حكم الله وحكم الجاهلية دون وسط في البين بجعل البلد بلدين أو أخذ العصا من وسطها:

«أَحْكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»<sup>٢</sup>

ف «ان الحكم إلا لله»<sup>٣</sup> أصلاً وفصلاً، ردحا قصيرا من الزمن أو كثيرا، فكما أن أحكام الأهواء غير الصادرة عن الله هي من أحكام الجاهلية، كذلك أحكام الله السابقة المنسوخة بالأحقة، هي أحكام الجاهلية في الالتزام بها - لا في أصلها لزمناها - لتخلفها عما حدده الله ومدده نسخا لها ف «الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية»<sup>٤</sup> والقصد من حكم الله أمام حكم الجاهلية هو الحكم الفعلي لا السابق المنسوخ إذ لا يرضى به الله حاليا، فمن الجاهلية تطبيق حكم لا يرضى به الله.

أجل، فالحكم غير المصبوغ بصبغة الإسلام لله هو من حكم الجاهلية مهما كان من أحكام الله السابقة، لأنه تخلف عن حاضر حكم الله مهما كان هو حكم الله فيما مضى.

إذا فالتسليم لحاضر حكم الله المحكم على المكلفين هو خط المواصلة بين المؤمنين بالله، وعدم التسليم له مهما كان تسليما لغابر حكم الله فضلا عن حكم غير الله، هو خط المفصلة بين قبيلي الإسلام والكفر، مهما سمى الكافر نفسه يهوديا أو نصرانيا أو مسلما!!

فالإسلام لله في زمن الشريعة الأولى هو التسليم لها، ثم الإسلام الثاني الإبراهيمي والثالث الموسوي

<sup>١</sup> . (المجمع وهو المروى عن ابي جعفر عليهما السلام.

<sup>٢</sup> . (المائدة ٥ : ٥٠ .

<sup>٣</sup> . (الأنعام ٦ : ٥٧ .

<sup>٤</sup> . (نور الثقلين ١ : ٦٤٠ عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه رفعه عن ابي عبد الله عليه السلام

قال: وفيه عن أبي جعفر عليهما السلام مثله اسنادا إلى الآية بزيادة: واشهد على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض بحكم الجاهلية.

والرابع المسيحي، كلُّ محدّد بالشرعة الحاكمة في دورها الخاص، ومن ثم الإسلام منذ بزوغ الشرعة القرآنية هو التسليم لها إلى يوم الدين.

فهنا ثالث منحوس من حكم الجاهلية، قد تتمثل في وثنية الشرك وأخرى في انحراف كتابي وثالثة بين المسلمين، وقد تشملها «حكم الجاهلية» المناحرة لحكم الله. «ومن احسن من الله حكما لقوم يؤمنون»:

لقد نظر الله إلى كل الحاجيات الحاضرة والمستجدة لكل أمة فشرع لكل شرعة من دينه دون أية نقيصة جليلة أو قليلة، ثم نظر إلى كافة المكلفين إلى يوم الدين فحاسب حسابات كافة المستجدات والملابسات لهم جماعات وفرادى، فشرع شرعة القرآن من الدين، حافلة لكافة المستجدات، كافلة لكل الحاجات.

والغلطة الشهيرة بين الناس أن توالي الشرائع هي من قضايا تقدم المكلفين في تفهّم حقائق الدين، الفاسحة لمجال الخيال أن البشرية - وبعد أربعة عشر قرنا - بحاجة إلى شرعة جديدة تصلح للقمة العقلية والعلمية التقدمية لها!

إن هذه الغلطة تُرد إلى أصحابها بنص القرآن: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا.. ليلوكم فيما آتاكم» لا ليقدمكم فيما فيه تتقدمون وإلا لم يكن لتتابع الشرائع من أمد تقف عنده!.

ذلك، ولأن الجانب الأحكامي من الشرائع لا يفرق بين العالم والجاهل في تلقيها وتطبيقها، فليس التكامل العلمي والعقلي بالذي يسبب تكامل هذه الأحكام العملية.

ثم الجانب العقيدي موزع على كافة الاستعدادات، كلُّ قدره وإمكانته، وترى أن الفلاسفة الأولين قبل نزول الكتب الثلاثة وبينها وقبل نزول القرآن هم ما كانوا يأهلون لتفهم الجانب العقلي العقيدي من شرعة الله.

ذلك، والأصول الثلاثة العقيدية واضحة في أصولها، مسبلة في الحصول عليها ولا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها..

صحيح أن الشرعة القرآنية أكمل من كل شرائع الدين قبلها، ولكنها قضية خلودها، وكفالتها لكافة الحاجيات على مدار الزمن إلى يوم الدين، لا أن القوم اللد من العرب الجاهلي كانوا يستحقون ذلك الكمال الخالد من شرعة الله ولم يكن يستحقه النبيون من ذي قبل، ولا أمثال أفلاطون وأرسطو من أساطين العقل والعلم!.

فما ذلك القول في تكامل الشرائع إلاّ غولاً فاغتيالاً للشرعة القرآنية أنها لا يمكن أن تبقى خالدة في عصور التقدم والرقي التي لا نسبة بينها وبين القوم الذين نزل فيهم القرآن.

ذلك، فما هذا التوجيه غير الوجيه إلاّ من أحكام الجاهلية على شرائع الله، وما الحكم هنا كما في غيره إلاّ لله ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات.. أفحكم الجاهلية يبغون...؟ فالقوم الذين لا يوقنون بالله وبشرعته هم حكم الجاهلية يبغون، ثم الموقنون لا يبغون إلاّ حكم الله: «ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون». فما طنطنة تبديل بعض الأحكام الإسلامية إلى ما يناسب عصر - التقدم والرقي - كما يزعم - إلاّ من القوم الذين لا يوقنون، كما الأحكام المصلحية! المعارضة لأحكام الله الخالدة، هي أيضا من أحكام الجاهلية، مها نقبوها بنقاب المصالح الحكومية الإسلامية أمأهيه من أعطية، فإنها شرعة مختلفة خليعة تحكم على أصحابها بالكفر والفسق والظلم، ثالث منحوس يتبنى الحكم بغير ما

أنزل الله!

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»<sup>١</sup>

هنا نقف متسائلين أمام هذه والثلاث التالية لها، هل إنها نزلت في حجة الوداع كسائر المائدة؟ و«أن يأتي بالفتح» في التالية قد لا تناسبه حيث «الفتح» هو فتح مكة ولم يكن بعدُ فتح حتى يترجى! كما وأن شطرا مما ورد في أسباب النزول ينحي نزول هذه الأربع عن حجة الوداع إلى بداية العهد المدني حيث الحروب الأولية كبدر وأحد وما أشبهه!

ذلك، وكما أن «نخشى أن تصيبنا دائرة» لا تناسب بعد الفتح وقد اضمحلت كل الدوائر المترتبة بالمسلمين واكتسحت كل العراقيل.

فقد لا تتصل هذه الأربع - كآية التبليغ - نزولاً مع السابقة عليها واللاحقة بها، فأية التبليغ نازلة قبل آية إكمال الدين وإتمام النعمة ونراها بعدها بعشرات، مما يدل على إختلاف ترتيب التأليف في المائدة ترتيب تنزيها، ولكنه لا ينصدم به أن المائدة هي آخر ما نزلت، ناسخة غير منسوخة، حيث القصد الأصيل هنا إلى خصوص الآيات الأحكامية، ولكن «لا تتخذوا..» كذلك من الأحكامية، أو يقال: إن المائدة برمتها الأحكامية ناسخة فيما خالفت غيرها، غير منسوخة غيرها، حتى في آياتها التي نزلت قبل حجة الوداع.

وعلى أية حال فالأصل الدلالي بالنسبة لكيان الآيات هو الآيات أنفسها دون شؤون نزولها المتعارضة مع بعضها البعض أحيانا، وأنها من باب الجري والتطبيق أخرى.

فالفتح الموعود في التالية «أن يأتي بالفتح» هو فتح مكة حيث يستأصل كل دوائر السوء عن الكتلة المؤمنة الفاتحة للعاصمة، المستسلمة معهم جموع الكفار المعارضين.

إذا فهذه الآيات الأربع هي متصلة الأجزاء مع بعضها البعض، منقطعة عما احتفت بها من قبل ومن بعد، جعلت في التأليف هنا لهامة تقتضيه وكما في سائر التأليف القرآني.

ومن هذه الهامة صالح الصرخة الأخيرة القرآنية قرب إرتحال الرسول صلى الله عليه وآله إلى جوار رحمة ربه، حيث تحذر المسلمين عن بأس اليهود والنصارى وبؤسهم، وعدا لفتح أو أمر من عنده ليسا ليختصا بفتح مكة مهما كان هو الأول، بل وهناك فتوح متواترة للمسلمين ما قاموا بشرائط الإيمان دون خشية عن الدوائر السيئة كيفما كانت.

فهنا «لا تتخذوا اليهود والنصارى» تحمل صارم التحذير عن إتخاذهم أولياء كضابطة تحلّق على الطول التاريخي والعرض الجغرافي الإسلامي إلى يوم الدين.

والولاية المنهي عنها طليقة كأصل، تشمل ولاية السلطة وولاية التناصر والتحالف وولاية الحب، اللهم إلا ما يستثنى من ولاية دون الحب والسلطة عند التقية: «إلا أن تتقوا منهم تقاة» قدر قضية التقية في دوران الأمر بين الأهم والمهم، أم مع غير المحاربين منهم في ولاية لها جاذبية التوجيه إلى إيمانهم أم صد العداء المتطرف الجارف ف «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من

<sup>١</sup> . المائدة ٥ : ٥١ .

دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون.<sup>١</sup> فضابطة «لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء» تحلق على كل الأحوال ولا يستثنى منها فيهم إلا «الذين لم يقاتلوكم... وللمؤمنين» إلا أن تتقوا منهم تقاةً. ولا ثالث كأن: نخشى أن تصيبنا دائرة...: فلقد كانت ولاية المناصرة قضية المصالح والأوصار المتشابكة بينهم وبين أهل الكتاب في العهد المدني ولا سيما في بدايته، وكما كانت قبل الإسلام، فنهاهم الله عنها قضية الرزية العقيدية وما أشبه، نتيجة هذه الولاية.

صحيح أن الإسلام هو شرعة السماحة مع أهل الكتاب، بل ومع المشركين أيضا لحد ما، ولكنها ليست لحد الولاية حبا ومخالطة ومناصرة ومحالفة، إنما هي في حقل الملاطفة في العشرة مع غير المعاندين منهم.

ومن البساطة والغفلة أن نظن بهم مواصلة معنا في خط واحد أمام سائر الكفار والملحددين، ولقد جربناهم طول التاريخ إذا كانت المعركة ضد المسلمين أهم معهم أم مع سائر الكافرين. صحيح أن الله يأمرهم بالمواصلة في خط التوحيد الوحيد «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله...»<sup>٢</sup>.

ولكن هل وجدنا لهم أذنا صاغية اللهم إلا قليلاً منهم وفي لرعاية الحق فأمن أم كان على حياد، ولكن الضابطة في اليهود والنصارى، الثابتة معهم، أنهم لا يحبذون شرعة بعد الكتابين مهما تظاهروا بالمحابة، وإن كان النصارى أقرب مودة من اليهود حين المقايسة بينهما.

كيف وهم أولاء الذين يقولون للمشركين «هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً» وهم الذين كانوا يناصرون المشركين ضد المسلمين منذ البداية، ثم شتوا الحروب الصليبية طوال عامين، وارتكبوا فضائع الأندلس، وشردوا المسلمين أخيراً من فلسطين ومن كل مكان لهم بالامكان.

وهنا «بعضهم أولياء بعض» هي قضية حقيقية لا تختص بزمان دون زمان أو مكان دون مكان، أو

<sup>١</sup> . (المتنحة ٦٠ : ٨ - ٩ .

<sup>٢</sup> . (الدر المنثور ٢ : ٢٩٠ عن عبادة بن الوليد ان عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وآله تشبث بأمرهم عبدالله بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتبرء إلى الله ورسوله من حلفهم وكان أحد بني عوف بن الخزرج وله من حلفهم مثل الذي كان لهم من عبدالله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: اتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرء إلى الله ورسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، وفيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآيات في المائدة: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا - إلى قوله - فان حزب الله هم الغالبون».

<sup>٣</sup> . (آل عمران ٣ : ٦٤ .

جيل منهم دون جيل، إنها قضية المفصلة العقيدية منهم الخليطة بتحريفات وتجديفات، فهم منذ ولد الإسلام أصبحوا أول المحاربين إياه حتى نُهوا: «ولا تكونوا أول كافر به» فهم يلي بعضهم بعضاً ضد المسلمين في كل فجج الأرض، وقد تلمح إسمية الجملة «أولياء» - دون «يتولون» - على إسمية الجملة المتواصلة دوماً انقطاع، ورسميتها على مدار التاريخ.

ذلك «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» ضابطة عامة تحلق على تولي الخير إلى تولي الشر، ف «من تولي آل محمد صلى الله عليه وآله وقدمهم على جميع الناس بما قدمتهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من آل محمد بمنزلة آل محمد عليهم السلام» لا أنه من القوم بأعيانهم، وإنما هو منهم بتوليّه.

### في كتمان بيان القرآن لعنة من الرحيم الرحمن

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنَهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»<sup>١</sup>.

الكتمان هو الستر على ما يجب إفشائه أم هو فاش، سئل عنه أم لم يسأل، فإما هو هنا الأمر المنزل لكافة المكلفين، فانه لغويا: ستر الحديث، وهو يعم الحديث الفاشي المستور بعد الظهور او الذي لا يُظهر، وهو بصيغة أخرى: ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه وحصول الداعي إلى اظهاره، وهذا أخف مراحل الكتمان، ثم «ما أنزلنا» يعم نازل الوحي من كتاب، وسنة على ضوء الكتاب، و«البيّنات» هي الحجج الباهرة، سواءً أكانت بيّنات التوحيد او الرسالة والمعاد، أم بيّنات لمادة الرسالة، فهي على أية حال بيّنات للهدى فانها مادة الرسالة، حيث الشرعة مركبة - ككل - من بيّنات وهدى، والثانية ناتجة عن الأولى، فقد تُكتم البيّنات كإخفاء لآيات الهدى تكوينية أو تشريعية، أم تُكتم الهدى الناتجة عن تلكم البيّنات كتماناً لدلالاتها على هداها، تأويلاً لها إلى غير معناها.

ثم «من بعدما بيناه للناس» لها مرحلتان، من بيّنات وهدى بينت للناس أم لكل الناس ثم تُكتم بتدجيل وتجديف، وتلك هي الدرّة السفلى من الكتمان.

ومن بيّنات وهدى بينت لغرض أن تبيّن للناس، فانها ليست - ككل - مبيّنةً دون وسيط لكل الناس، لأنّ منهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى فكيف بينت لهم؟ ومنهم دارسون لا يقرؤون الكتاب فكيف بينت لهم؟ ومنهم من يتلون الكتاب ولا يعرفون كل بيّناته وهداه، وهم كلهم من ضمن

<sup>١</sup> .( البقرة ٢: ١٥٩ .

الناس الذين يقول الله عنهم «من بعد ما بيناه للناس»، فسواءً بيّن لناسٍ دون وسيط، أم بيّن بوسيط يحتمل تبيينه لسائر الناس، وكما تُقسّم الأرزاق قسمين ثانيهما ان يُرزق المرزوق بما يُنفق عليه المنفقون بإذن الله تكويناً وتشريعاً، فإنه أيضاً من رزق الله، فقد تشمل الآية الكتمانين، كما تشمل الكاتميين كتابياً ومسلماً، كتماناً لأصول من الدين أم فروع منه.<sup>١</sup>

فإنه بيّن ما أنزل من البينات والهدى للرسول بيانا للناس، والرسول يبينه لمن يأهل تعلموا لكل ما أنزل وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم يعلمون العلماء على مراتبهم، ثم يعلمون سائر الناس، لأن النازل من الله ليس - فقط - للرسول أو الأئمة أو العلماء، إنما «من بعد ما بيناه للناس»: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم»<sup>٢</sup> و«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»<sup>٣</sup>.

ف «شر خلق الله العلماء إذا فسدوا وهم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق» وفيهم قال الله «اولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون»<sup>٤</sup>.

وكما يحرم على علماء الكتاب كتمان ما أنزل الله، كذلك يحرم على الجهال كتمان انفسهم عن تعلم ما أنزل الله، والحق الأول هو على العلماء، فإن من الجهال من يجهل انه يجهل، أم يعلم جهله ولكنه لا يجد سبيلاً الى التعلم، فعلم الدين كاملاً يجب إرساله الى كل مكان لينتج نتاجه أيّاً كان وفي أيّ كان. وليس يجب تعليم الدين - فقط - لمن يسأل، بل ومن لا يسأل أم لا يعرف كيف يسأل، بل هما أخرى

---

<sup>١</sup> . (نور الثقلين ١ : ١٤٩ في احتجاج الطبرسي عن ابي محمد العسكري عليهما السلام حديث طويل وفيه: قيل لأمر المؤمنين عليه السلام من خير خلق الله بعد ائمة الهدى ومصابيح الدجى؟ قال: العلماء إذا صلحوا، قيل: فمن شر خلق الله بعد ابيس وفرعون وشمود وبعد المسمين بأسمائكم وبعد المتلقبين بألقابكم والآخذين لأمكتكم والمتأمرين في ممالككم؟ قال: العلماء اذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل...).

<sup>٢</sup> . (النحل ١٦ : ٤٤).

<sup>٣</sup> . (آل عمران ٣ : ١٣٨).

<sup>٤</sup> . (الدر المنثور ١ : ١٦٢ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ... وفي تفسير البرهان ١ : ١٧٠ العياشي عن زيد الشحام قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام عن عذاب القبر قال: ان ابا جعفر حدثنا ان رجلاً اتى سلمان الفارسي فقال: حدثني فسكت عنه ثم عاد فسكت فأدبر الرجل وهو يقول ويتلوا هذه الآية «إن الذين يكتُمون...» فقال له: أقبل - إنا لو وجدنا أميناً لحدثناه ولكن أعد لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرقة معهما تصير منه رمادا، فقلت له: ثم مه؟ قال: تعود ثم تعذب، قلت: وما منكر ونكير؟ قال: هما قعيدا القبر، قلت: أملكنا يعذبان الناس في قبورهم؟ قال: نعم.

ممن يسأل، والكتمان يشمل موارد السؤال وسواها، ف «من سئل من علم عنده فكتمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»، و«من كتم علما مما ينفخ الله به الناس في أمر الدين أجمه الله بلجام من نار»،<sup>١</sup> و«مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه».<sup>٢</sup> وقد تعني «ما أنزلنا» - فيما عنت - : «فطرت الله التي فطر الناس عليها»، والعقل، فانهما مما أنزل الله من البينات والهدى، مشمولة ل «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى». فمن الناس من يكتم فطرته وعقليته، صدا على نفسه منافذ الهدى، وآخرون يصدون على آخرين، وثالثة تجمع في الكتمان بين بينات نفسه وهداها، وما للآخرين فطريا وعقليا، ثم يكتم البينات الأخرى وهداها، فهو في ثالوث اللعنة العصيان!

إذا ف «ما أنزلنا» تشمل المنزل تكوينا وتشريعا، انفسيا كالفطرة والعقلية الإنسانية وآفاقيا ككل البينات الكونية والشرعية، والفرق بين البينات وهي الآيات الربانية الباهرة والهدى، ان الثانية هي نتيجة الأولى - فالآيات البينات هي دالات على الهدى في كل حقول الدلالات، فمن يكتم البينات عن دلالاتها، أو الهدى بعد واقعها بتلك البينات «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» فكذلك كتمان مهما اختلفت دركاته حسب مختلف درجات البينات والهدى، ومختلف دركات الكتمان قبل البيان وبعد البيان وصدا عن التبيان. ف «اولئك» الكاتمون «يلعنهم الله» إبعادا عن رحمته يوم الدنيا ويوم الدين «ويلعنهم اللاعنون» استبعادا لهم من الله عن رحمته، وقد يشمل «اللاعنون» - إلى جنب الملائكة والجنة والناس - الدواب.<sup>٣</sup>

وطبعا هم «اللاعنون» بحق، فان هناك لاعنين بغير حق، وغير لاعنين الكاتمين، ف «اللاعنون» هنا هم الذين يلعنون مع الله وبحكم الله وكما يلعن الله، فلأن اللعنة الناتجة عن كتمان ما أنزل الله تشمل المحرومين عنه، وتخلق جو البعد عن رحمة الله، فكأن الكاتمين تحولوا بذلك الكتمان الى ملعنة ينصب عليها اللعن من مصادره، ويتوجه إليها بعد الله من كل لاعن!

ثم «ويلعنهم» ليس - فقط - إخبارا عن واسع اللعن، بل وهو انشاءً أمرا لمن يأتمر أن يلعن الكاتمين، في مثل الجنان والفعال، خلقا لجو اللعنة عليهم حتى يحدوا عن غيهم أم يذبلوا بعِيهم، فانهم ألعن الناس وأظلم الناس، قلوبهم آتمة وفي بطونهم نار، فما أنزل الله للناس هو شهادة لله عند

<sup>١</sup> . المصدر عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... وفيه أخرج ابن ماجة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لعن آخر هذه الامة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما انزل الله.

<sup>٢</sup> . المصدر أخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ...

<sup>٣</sup> . الدر المنثور ١: ١٦٢ - أخرج ابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم عن البراء بن عازب قال: كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وآله فقال: ان الكافر يضرب ضربتين بين عينيه فيسمعه كل دابة غير الثقلين فتلعن كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله «ويلعنهم اللاعنون».

العالمين به: «ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله»<sup>١</sup> وهو من إثم القلب الذي هو قلب الإثم: «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه»<sup>٢</sup> وقد أخذ الله ميثاق العلماء على التبيين «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه»<sup>٣</sup> «إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثَمَنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار»<sup>٤</sup> «الذين ييخلون ويأمرُونَ الناس بالبخل ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله وأعدنا للكافرين عذابًا مهينًا»<sup>٥</sup>.

وبيان ما أنزل الله واجب كفاي ليس على أعيان العلماء ككل، ويكفيه برهانا أن ليس بعد بيان من فيه الكفاية أي خفاء فلا كتمان، ولكننا الكفاية قلما تتفق أم لا تكون إما لعدم قيام من فيهم الكفاية، أم عدم الكفاية في العلماء الحضور، فيجب التعلم قدر الكفاية حتى يمكن التعليم ممن فيه الكفاية، فما دام في العالم جهال، فالعلماء الساكتون - غير المعذورين - لا يُعذرون، وكذا الذين بإمكانهم التعلم حتى يعلموا ولا يتعلمون.

ثم البيان في كل عصر ومصر يتطور حسب الحاجة والإمكان، دون جمود على سنة خاصة متعوّدة، فلكل حال مقال، ولكل مجال حال، كما الأدوية تختلف حسب مختلف الحال.

فمن المجاهيل من هم بحاجة إلى كلتي البيئات والهدى، ومنهم من تنقصه البيئات وهو منجذب إلى الهدى، ومنهم من تنقصه الهدى دون البيئات، ف «أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين»<sup>٦</sup>.

«إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»<sup>٧</sup>.

هنا استثناء عن اللعنة الناتجة عن الكتمان بتوبة عنه، ولا فقط قلبية بينه وبين ربه، بل «وأصلحوا»

<sup>١</sup> . (البقرة ٢: ١٤٠).

<sup>٢</sup> . (البقرة ٢: ٢٨٣).

<sup>٣</sup> . (آل عمران ٣: ١٨٧).

<sup>٤</sup> . (بقره ٢: ١٧٤).

<sup>٥</sup> . (النساء ٤: ٣٧).

<sup>٦</sup> . (النحل ١٦: ١٢٥).

<sup>٧</sup> . (البقرة ٢: ١٦٠).



ما افسدوا بكتمانهم «وبَيَّنُوا» ما كتموا، ومنه كتمانهم كتمانهم، إذ كانوا كاتمين أنهم كانوا كاتمين، فكل من فسد وأفسد بكتمانهم لابد وأن يصلحوه معرفيا وعمليا، فمن كان حيا فأصلحه وبين له فله، ومن مات على فساد الكتمان فعليه، وتوبة الله عليه تختص بما أصلح وبين، دون سواه: قاصرا عنهما بموته أم مقصرا بتكاسله، فانه على أية حال مقصر في كتمانته ولا عفو كليا إلا إصلاحه.

فحين يتوب ويستطيع الإصلاح عما كتم والبيان لحدِّ يرجع المضلَّ عما ضل بكتمانه، فأولئك أتوب عليهم. وحين لا يتوب إطلاقا ف «اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» في الأولى والأخرى، وحين يتوب ولا يصلح او «يبين على مكنته مقصرا، أم لا يتمكن لسمود المضلَّ على ضلاله أم موته، فهو عوان بينهما، فالتوبة درجات كما الكتمان درجات و«كل امرئ بما كسب رهين»، ولأن قبول التوبة رحمة من الله وحنان، فهي غير مفروضة على الله إلا كما كتب على نفسه، فهنا يسقط السؤال انه حين لا يقدر على اصلاح ما افسد ولا البيان فما هو ذنبه في قصور، حيث الجواب انه معاقب على ما قصر- اللهم إلا فيما جبر، فهو بالنسبة لما لم يجبر من كتمانته مستحق اللعنة قصر أم قصر مهمما بان البون بينهما. وإذا لم يستطع هو على الإصلاح بنفسه والبيان فليحاول فيهما بعلماء ربانيين بإمكانهم ما هو عنه قاصر، حيث إن واجب الإصلاح لا يختص بنفسه دون وسيط.

فهؤلاء المصلحون الذين بينوا بعد ما أفسدوا بما كتموا، يفتح لهم القرآن هذه المنافذ المضيئة الثلاث، ذريعة الخلاص، يفتحها لهم فتتسم لهم نسمة الأمل على ضوء جاد العمل، في إعلان صارخ لكل التائبين المصلحين: «وأنا التواب الرحيم».

فأما المصرون على كتمانهم فلا يزدادون إلا لعنات على لعنات:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.<sup>١</sup>

الممسكون بالقرآن  
هم المصلحون

«وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> . ( البقرة ٢ : ١٦١ .

<sup>٢</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٧٠ .

هنا «الكتاب» هو كتاب الشريعة الربانية أيا كان وأيان، وكلما كان الكتاب أعلى محتداً وأعلى قدوة، كان التمسك به أوجب وأحرى كالقرآن العظيم. والتمسك الطليق هنا بطليق الكتاب يحلّق على كل تمسك لواجب الحق الحقيقي بالإتباع علمياً وعقيدياً وأخلاقياً وعملياً وما أشبهه. كما ويحلّق على التمسك به باجتهاد طليق، أو تقليد إجتهادي سليم، أم عوان بينهما لفيق. إذا ف «الذين» يشمل كافة المكلفين بكتاب الشريعة أن تكون لهم منه حظوة ممسّكة لكل محبور في شريعة الله، وعن كل محذور فيها. أجل، وعلى الورثة المجتهدين أن يجدوا السير في ذلك التمسك لأنفسهم ولسائر المكلفين، كما وعلى ورثة الكتاب: القرآن، المقلدين أن يجيدوا تقليدهم تبنيًا للكتاب كأصل أصيل، سائلين أهل الذكر بالبينات والزبر دون تقليد أعمى وكما يقول الله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون\*بالبينات والزبر»<sup>١</sup> سؤالاً بالبينات والزبر المعصومة الخالصة وحياً، وكما أن أهل الذكر لا أهلية لهم في تلك المسؤولية إلا بالبينات والزبر. وهنا «أقاموا الصلاة» بعد «يمسكون بالكتاب» إشارة إلى أن الصلاة وجه الدين حينما الدين هو الكتاب وكما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة فلا يشين أحدكم وجه دينه»<sup>٢</sup>. فكما أن الوجه يعرف به جملة الإنسان كذلك الصلاة يعرف بها جملة الدين المستفادة من الكتاب، لأنها أظهر العبادات وأشهر المفروضات. فورثة الكتاب، الدارسون ما فيه، الممسكون به كأصل أصيل بين كل الفروع والأصول، إنهم هم المصلحون، وكلما كان الكتاب الرباني أعلى محتداً، كان التمسك به أعلى، وتركه أنحى وأنكى، فإذا كان «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا»<sup>٣</sup> فماذا يكون - إذا - مثل الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه، أليس أشد وأمثل من مثل الحمار الحامل للأسفار؟! وهنا «يمسكون» تفعيلاً دون «يمسكون» فعلاً، يدلنا على أن واجب ورثة الكتاب أن يمسكوا أنفسهم وسائر الأمة - في حقل الإيمان بمواده الصادقة الأصيلية الصافية - يمسكون كل ذلك بالكتاب في كل حقول المعرفة والعقيدة دون إبقاء، تمسيكا مسيكا بوفرة وكثرة وتلاحق، دون ترك له أو إهمال إياه ولا لفترة قصيرة.

<sup>١</sup> . (النحل ١٦ : ٤٣ - ٤٤ .

<sup>٢</sup> . (المجازات النبوية للسيد الشريف الرضي (١٣٢) .

<sup>٣</sup> . (الجمعة ٦٢ : ٥ .

أجل، وبالكتاب يُمسك أهلوه في الحق عن كل زلة وصلّة، ومن أية تخلفه وعلّة واختلف، إلى كل تألّف وصحة وائتلاف.

وهنا يندد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بالذين اختلفوا عن القرآن وفي القرآن، وتركوه وراءهم ظهرياً، ممسكين بكل ممسك إلا الكتاب، إلا إذا فرس كما يهوون قائلًا: «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله - وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر - فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله طريدان منفيان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤوٍ - فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا -

فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا إسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره، ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كلّ مثله، وسموا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة، وإنما هلك من كان قبلهم بطول آمالهم، وتغيّب آجالهم، حتى نزل بهم الموعد الذي تُرد عنه المعذرة، وتُرفع عنه التوبة، وتحلّ معه القارعة والنقمة»<sup>١</sup>.

ذلك والقرآن هو الخليفة الوحيدة للرسول صلى الله عليه وآله أم هو الكبرى اعتباراً بالسنة وهي الصغرى وهي لا تعرف إلا بموافقته، فقد «قبضه صلى الله عليه وآله إليه كرمياً، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هُملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم - كتاب ربكم، مبيّن حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً جُملاً، ومبيّناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، وموسّع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخته (وهو نسخ العموم أو الاطلاق) واجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه (وهو بين منسوخ بأصله أم في عمومه وإطلاقه) وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه، وموسّع في أقصاه»<sup>٢</sup>.

ذلك، فالممسك بالكتاب ليس ليقبل ما يخالفه، فانه تمسيك بغير الكتاب لرفضه، وائل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً<sup>٣</sup>، وفاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على

١ . الخطبة ١٤٧ .

٢ . الخطبة ١ .

٣ . الكهف ١٨ : ٢٧ .

صراط مستقيم<sup>١</sup> وإن أتبع إلا ما يوحى إلي<sup>٢</sup>. واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين<sup>٣</sup>. وإنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً<sup>٤</sup>. وما أشبه، هذه من عساكر البراهين القرآنية الدالة على أصالة القرآن، وأنه لا ينسخ أو يخالف بأية مخالفة بالحديث مهما كان متواتراً.

فلا يقبل من أي حديث أن ينسخ الكتاب بتباين كلي أو جزئي مثل التعميم والتخصيص، والتطبيق والتقييد، سواء أكان العام والمطلق الكتابيان نصين في العموم والإطلاق أم ظاهرين فيهما، اللهم إلا إذا كانا مهملين في العموم والإطلاق، صريحين في الإهمال أو ظاهرين فيه، لحدّ يُعلم أن هناك في الكتاب أو السنة ما يخصّص أو يقيّد ذلك العام والمطلق المهمّلين، المذكورين كضابطة من الضوابط المرسلة، فهنا لا مخالفة بين مقطوع التخصيص أو التقييد، بل ونستقبل ما نعرف بإجمال من تخصيص أو تقييد شرطاً أن يكون معلوم الصدور عن مصدر الوحي، نقيه عن التقية أما هيه من موهنات. وهكذا لا نصدق حديثاً يطارد ظاهر الوجوب من الأمر وظاهر الحرمة من النهي، وسائر الظواهر البواهر في القرآن العظيم، ككل ما يخالف موضوعات الأحكام وسواها، توسيعاً لها، أو تضيقاً إياها، أم إلقاءً لخصوصياتها، زيادةً عليها أو نقيصة فيها. ذلك وهنا «أقاموا الصلاة» دون ما سواها مما في الكتاب، ليدل على أنها عمود الدين وعماد اليقين، فالذين يقيمون الصلاة حقاً هم المؤمنون حقاً ف «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»<sup>٥</sup>.

ثم هذه الصيغة السائغة «يمسكون بالكتاب» تصوّر لنا بالغ الصورة الصالحة للقبض على الكتاب بكل قوة وجدية وصرامة، خارجة عن كل هوة وعرامة في غير ما تعنّت ولا تزمت وتنتعج، إنما هو تطلّع على ما فيه بكل إتقان وإيقان، دون تحميل عليه رأياً، «إنا لا نضيع أجر المصلحين» فالممسكون بغير الكتاب رفضاً، أم فرضاً عليه ما ينافيه، أو تحميلاً عليه ما لا يوافيه، إنهم هم المفسدون مهما غربلوا آراء من روايات وشهرات وإجماعات أم أي دليل يزعم من غير الكتاب.

<sup>١</sup> . (الزخرف ٤٣ : ٤٣ .)

<sup>٢</sup> . (يونس ١٠ : ١٥ .)

<sup>٣</sup> . (يونس ١٠ : ١٠٩ .)

<sup>٤</sup> . (النساء ٤ : ١٠٥ .)

<sup>٥</sup> . (العنكبوت ٢٩ : ٤٥ .)

وفي الحق إن الحوزات العلمية المسماة بالإسلامية هي كلها منددة بها في الطامة الكبرى وههنا، إذ قال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا،<sup>١</sup> أو ليس القرآن مهجورا في حوزاتنا، فلا هو متن لها ولا هامش على متونها، لحد قد يفتى بخلاف نصه العلي أو ظاهره الجلي!

### تقوى الاعتصام بحبل الله: القرآن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.<sup>٢</sup>  
ركيزة أولى بعد الإيمان تقوم عليها الجماعة المسلمة تحقيقا لكيانها وتأدية لدورها، صمودا في وجه أعداءها الألداء، هي تقوى الله حق تقاته والموت مسلما، فبدون هذه الركيزة تكون الأمة فالتة في تجمُّع جاهل قاحل مهما ملكت من إدعاء آت وحملت من أسماء براءة مشرقة كـ «المؤمنون».  
«اتقوا الله» ولكن كيف وكم وإلى أين؟ «اتقوا الله حق تقاته» كما وكيف «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» مدى وغاية، أن تصبح حياة الإيمان تقوى حقة حقيقية بحذاويرها في كل صغيرة وكبيرة.  
وليس لـ «حق تقاته» حد يتصور، فكلما أوغل القلب في هذه السبيل تكشفت له آماذ وآفاق وجدت له أشواق، في تيقظ من شوقه الى درجات فوق ما ارتقى.  
وقد يروى عن أحق الأتقياء في «حق تقاته» - «ان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا يُنسى»<sup>٣</sup> و«لا يتقي الله

<sup>١</sup> . الفرقان ٢٥ : ٣٠ .

<sup>٢</sup> . آل عمران ٣ : ١٠٢ .

<sup>٣</sup> . نور الثقلين ١ : ٢٧٦ عن معاني الأخبار باسناده إلى أبي بصير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الآية قال: «يطاع ولا يعصى ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يكفر».  
وفي تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع عن عبد خير قال سألت علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...» قال: والله ما عمل بها غير بيت رسول الله صلى الله عليه وآله نحن ذكرناه فلا ننسائه ونحن شكرناه فلا نكفره ونحن اطعناه فلم نعصه فلما نزلت هذه الآية قال الصحابة لا نطيق ذلك فأُنزل الله: فاتقوا الله ما استطعتم.

اقول: لا نطيق، يعني تلك الدرجة المعصومة من التقوى، فالآية الثانية بيان لـ «حق تقاته» انه على قدر الاستطاعة فلا يكلف غير المعصوم بتقوى المعصوم.

عبد حق تقاته حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»<sup>١</sup>.  
 إذا «فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما  
 فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات أمس من العمر لم ترج اليوم رجعته، الرجاء مع  
 الجائي واليأس مع الماضي ف «اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»<sup>٢</sup>.  
 والتقى الحققة هي المحلقة على ظاهر التقي وباطنه علما واعتقادا وعملاً صالحا اسرارا وإعلانا ف  
 «الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم والعلم كله حجة إلا ما عمل به والعمل كله رياء إلا ما كان  
 مخلصا، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له»<sup>٣</sup>.  
 وترى كيف يؤمر المؤمنون ان يتقوا الله حق تقاته وهو غير مستطاع لأحد او مستحيل على كل أحد  
 حتى أول العابدين محمد صلى الله عليه وآله فضلا عن من بعده من المعصومين عليهم السلام وسائر المؤمنين؟  
 فهل إنها منسوخة بآية الإستطاعة: «فاتقوا الله ما استطعتم»؟ ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها<sup>٤</sup>، وإلا ما  
 آتاه<sup>٥</sup>! فكيف يكلفهم بغير ما يستطيعون، وما لم يؤتهم من الطاقة حتى يتقون «حق تقاته»؟  
 فرواية النسخ<sup>٦</sup> منسوخة - لأن فيها نسخا للمحال بالممكن - أو مأولة بمعنى التخصيص، أنها خصت  
 بآية الاستطاعة بقدر المستطاع فحق تقاته من الرعي الأعلى، غير المستطاع ممن دونهم، انه لا يكلف

<sup>١</sup> . المصدر اخرج الخطيب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ...

<sup>٢</sup> . نور الثقلين ١: ٢٧٦ عن نهج البلاغة قال عليه السلام: ...

<sup>٣</sup> . المصدر في عيون الأخبار باسناده إلى داود بن سليمان القاري عن ابي الحسن الرضا عن أبيه عن آباءه عن  
 أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ...

<sup>٤</sup> . التغابن ٦٤: ١٦ .

<sup>٥</sup> . البقرة ٢: ٢٨٦ .

<sup>٦</sup> . الطلاق ٦٥: ٧ .

<sup>٧</sup> . الدر المنثور ٢: ٥٩ - اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم  
 فقاموا حتى وردت عراقبيهم وتقرحت جباهم فأنزل الله تخفيفا على المسلمين «فاتقوا الله ما استطعتم» وفيه عن ابن  
 عباس قال: لم تنسخ ولكن حق تقاته ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله  
 بالقسط ولو على انفسهم وآباءهم وامهاتهم.

به من لا يستطيعه، فل «حق تقاته» درجات، لا يكلف منها أحد إلا قدر استطاعته، فقد تحلق «حق تقاته» على كل مدارج «تقاته» حسب المستطاع، و«ما استطعتم» بيان ل «حق تقاته» انه ليس الحق الاول للسابقين في «تقاته» فاين النسخ او التخصيص اللهم إلا التفسير والتوضيح.

ذلك، فل «حق تقاته» درجة مستحيلة على الكل وهي كما يحق لساحته تعالى، واخرى مستطاعة للرعي الأعلى غير مستطاعة لمن دونهم، وثالثة مستطاعة لمن دونهم، ولا تعني «حق تقاته» إلا الاخيرين كلاً في درجته حسب المستطاع.

فلا يعني «حق تقاته» إلا الحق المطلوب منهم، المستطاع لهم، كل على قدره وقدره، فكما الايمان درجات كذلك تقوى الايمان درجات من أعلاها كما لأول العابدين الى ادناها كما لآخر العابدين وبينهما عوان من المتقين.

وعلى الخطاب هنا في أعلاه موجه الى المعصومين عليهم السلام كما في «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم... ملة ابيكم ابراهيم»<sup>١</sup>.

ثم المستحيل على العباد هو معرفة الله حق معرفته وعبادته حق عبادته، واما تقواه حق تقاته فكما قال الرسول صلى الله عليه وآله «ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى» وهذا يطم في خضمه كل مراتب التقوى الحققة حسب مختلف القابليات والفاعليات، شاملة لحق العدالة والعصمة، ثم العصا المقصر خارج عن نطاق الآية، والمعصومون هم في قمتها العالية.

ولا يعني «يذكر فلا ينسى» أن المؤمن مأخوذ بذكره تعالى أبداً فانه غير مستطاع إلا للمعصومين حيث الغفلات المتأهة تخلله، والشهوات المباحة تتوسطه، والنوم والإغماء والتقية والمرض تحول دونه.

فانما امرؤ أن يتقوا الله حق تقاته كما يستطيعون، وليهابوا بلوغ أدنى حدود المعصية، ويقفوا عن اولى مراتب السيئة، فلا يقتربوها كيلا يقتربوها، فالمعاصي حمت الله ومن حامت حوم الحمى أو شك ان يوقع فيها، فاجعل بينك وبين الحرام حاجزاً من الحلال، فانك متى استوفيت جميع الحلال تاقت نفسك الى فعل الحرام، وكلما كثرت الزواجر كانت على المعاصي اردد، والى فعل الطاعات أحوش واجذب.

ذلك - فمن جانب جميع ما نهاه الله عنه دون مقارفة ولا مقاربة، وأتى بجميع ما امره الله به، وكل ذلك قدر المستطاع دون إهمال ولا تقصير، فقد اتقى الله حق تقاته.

وترى بعد كيف «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» والموت مسير لا مخير؟ وكما «ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون»<sup>٢</sup>.

هنا النهي موجه الى الموت دون إسلام، ناظراً الى عاقبة الأمر لمن اتقى الله حق تقاته، فلا تكفي هذه التقوى الحققة لفترة من حياة التكليف، بل والاستمرار فيها تكليف فوق تكليف، ومهما كان الموت مسيراً، فالموت حالة الإسلام مخير، أن يستمر التقى في تقواه، او تكون كل لاحقة منه خيراً من أولاه،

<sup>١</sup> . ( الحج ٢٢ : ٧٨ .

<sup>٢</sup> . ( البقرة ٢ : ١٣٢ .

تقدما على طول خط الحياة في تقوى الله، دون تنازل عن حدها المستطاعة ولا وقفة عليه. وفي صيغة أخرى إن الإنسان مكتوم عنه أجله ايا كان لما في كتمانها من مصلحة تربوية، فلا يعرف متى تكون منيته، وعلى أي جنب صرته، فحين ينهاه الله أن يموت إلا مسلما فقد ألزمه في كل حال على ذلك الاسلام، إذ لا يأمن على أية حال أن يموت عبطة او هرما.

ذلك ومن جملة كمال اسلام المؤمن التوبة واستدراك الذنوب الفارطة، فقد ألزمه سبحانه بما أمره ونهاه - مع التمسك بفرائض الأوقات وطاعاتها واجتناب محارمه ومقبحاته - ان يستدرك ماضيه بتوبته لكيلا يموت إلا وهو مقطوع باسلامه السليم.

ثم هنا خطاب المؤمنين ان يتقوا الله حق تقاته مما يشي بان التقوى أخص من الايمان، ومن ثم «إلا وأنتم مسلمون» غاية لتقوى المؤمنين مما يوضح أنه الإسلام بعد الإيمان بوسيط التقوى، فليس هو الإسلام قبل الايمان ولا مع الايمان وتقواه، بل هو الاسلام لله خالصا مخلصا نتيجة لتقوى الإيمان، إذا فالاسلام الأول وهو الاقرار باللسان ذريعة الايمان والايمان ذريعة التقوى والتقوى ذريعة للاسلام الثاني فهو ذروة الايمان والتقوى ونتيجة لهما.

«وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»<sup>١</sup>

إن ذلك الايمان والتقوى والاسلام لا تصح إلا أن تتبني اعتصاما بحبل الله جميعا، فبدونه ليست هي عاصمة لحاملها ولا معصومة عن الاخطاء الموجهة اليها الهاجمة عليها.

والحبل حبلان: مادي ومعنوي، سمي به لأن المتعلق به ينجوا مما يخافه كالمتمشيت بالحبل اذا وقع في غمرة او ارتكس في هوة، وكذلك الحبل العهد وثيقا حيث يُستأنس بها من المخاوف، والحبال يستنقذ بها من المتالف وهذا هو التشابه بينهما.

فكلما كان صاحب الحبل أعلم واقوى فحبله أعصم وانجى، فحبل الله ينجي المتمسك به من كل عَطَب وهوة ويعصمه عن كل خوفة.

لقد امر الله المؤمنين - ككل - ان يتقوا الله حق تقاته ولا يموتن ألا وهم مسلمون، فلا بد - إذا - من حبل رباني يعتصمون به في حق تقاته، فالتقوى دون حبل هي قد تكون طغوى فان الله يحب ان يُعبد كما يحب.

والإعتصام هو طلب العصمة وهي درجات ثلاث، عصمة بشرية دون حبل الله، وعصمة غير المعصومين بحبل الله، وعصمة المعصومين بحبل الله.

فلان العصمة البشرية بالفطرة والعقلية والفكرة لا تكفي لها هديا الى صراط مستقيم، ثم العصمة المطلقة خاصة بالمعصومين، لذلك يؤمر المؤمنون ان يعتصموا بحبل الله جميعا حتى يحصلوا على عصمة دون الطليقة، فكما المعصومون يُعصمون علميا بحبل الله، كذلك من دونهم، كل على قدره.

الإعتصام بحبل الله جميعا يعصم المعتصمين فطريا وعقليا وفكريا، علميا وعقيديا وحُلُقيا، سياسيا

<sup>١</sup> .( آل عمران ٣ : ١٠٣ .



وحربيا واقتصاديا وسلطويا، فهذه العشرة الكاملة من العصمة فردية وجماعية مضمونة للمعتصمين بحبل الله على أقدارهم «وأن ليس للانسان إلا ما سعى». وذلك الاعتصام يعتمد على أركان: المعتصم - المعتصم به - المعتصم عنه - والمعتصم لأجله. فالمعتصم هم المؤمنون على درجاتهم من أعلى الإيمان كما المحمديون عليهم السلام، وإلى أدناه وبينهما متوسطون في الإيمان، حيث الكل مأمورون بتقوى الله حق تقاته، ومن حقها التقوى الجماعية بعد الفردية.

والمعتصم به هو حبل الله، وهو وحي الله الأصيل غير الدخيل: القرآن العظيم. والمعتصم عنه هو كافة المزالق في الحياة الفردية والجماعية. والمعتصم لأجله الحصول على كامل مرضات الله في معرفته وطاعته وعبادته. وعلى هذه الأركان الأربع يبتنى عرش الإيمان الصالح الصامد. وللاعتصام بحبل الله شروط ثلاثة هي: الاعتصام جميعا - للمعتصمين جميعا - بحبل الله جميعا، فان «جميعا» تتعلق بهذه الثلاث جميعا واقله لغير المعصومين عليهم السلام العصمة العلمية الوجدانية. و«حبل الله» على وحدته تعم الحبل الرسولي الى الحبل الرسالي، وحدة ثنوية وثنوية وحدوية، فان محمدا هو القرآن والقرآن هو محمد، طالما كان القرآن بنفسه أطول وادوم واكمل واعظم من محمد صلى الله عليه وآله في نفسه، فهما وحدة متماسكة متجاوبة في كافة الحقول دونما اي أقول إلا شخص الرسول صلى الله عليه وآله ولكن سنته باقية كما القرآن، مهما لا تتبين إلا بالقرآن كما القرآن يتبين بها تفسيرها باطنيا وتأويلاً.

وكما المعصوم بالروح القدسي والعصمة الربانية يُعتصم علميا بالقرآن، كذلك سائر المعتصمين بالقرآن يُعتصمون به على درجاتهم في العصمة البشرية وفرقان من الله «ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا». فلان القرآن هو طليق النور من نور السماوات والارض، فالإستنارة به للمعتصمين به تعصمهم على أقدار أنوارهم البهية المرضية. ليس القرآن كتاب العلوم الرسمية التي تفتح أبوابها لكل شارد ومارد، إنما «أنزل بعلم الله» فلا تفتح ابوابه غير الظاهرية المعنية في عناية الله إلا لأهل الله. وخير المخارج عن المضايق هي مخارج الآيات «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.. قد جعل الله لكل شيء قدرا»<sup>1</sup>. فإتقان اللغة والأدب واتقان التدبر والتفكير في استفسار الآيات بعضها ببعض، إن ذلك كله راحلة لسفر القرآن، والزاد هو التقوى التي بها توصل إلى مرادات الله جل وعلا. ثم وجميعا في جمعية الاعتصام نفسه تعني جميع الطاقات والامكانيات التي تصلح لذلك الاعتصام حيث تُصلحه.

فعلى كل مؤمن بالرسالة الاسلامية تجميع كافة طاقاته في مهام اوقاته واحسنها وانضرها وانظرها، تكريسا لها كلها للإعتصام بحبل الله، تقديما له على سائر الحبال وكما قال: «وان هذا صراطي مستقيما

<sup>1</sup> . (الطلاق : ٦٥ : ٢ .)

فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله..  
 ذلك والى تدبر واسع حول آية الاعتصام بحول الله الملك العلام.  
 ولنعرف «حبل الله» جيداً جاداً لكي نتمكن من الاعتصام به جميعاً ولا نتفرق عنه او فيه؟ «حبل الله»  
 لا تحمله إلا هذه الآية اليتيمة، اللهم إلا «بحبل من الله وحبل من الناس»<sup>١</sup> وقد تعني «حبل من الله»  
 حبل الله هنا مهما اختلفا محتداً في شريعتي القرآن والتوراة.  
 فقد يخيل الى البسطاء انه غير مفسر في القرآن، والقرآن هو ككل حبل الله، إذ لا وسيط - منذ بزوغ  
 الاسلام حتى القيامة الكبرى - بين الله وبين المرسل اليهم إلا القرآن كأصل ثابت لا عوج له ولا حوّل  
 عنه ولا أقول لشمسه، ومن ثمّ الرسول وذووه المعصومون عليهم السلام تفسيرا له وتأويلاً، وحبل القرآن اتم  
 وادوم واكمل واعظم، والحبل الظاهر الدائم هو المحور الاصيل لواجب الاعتصام على مدار زمن  
 التكليف، كما انه الحبل للرسول صلى الله عليه وآله والائمة من آل الرسول عليهم السلام.  
 فهو الصراط المستقيم والنور المبين وحجة الله على الخلق اجمعين والشهيد لرب العالمين، فمواصفات  
 القرآن في نفسه بأسماءه وفي آيات منه تؤكد لنا انه حبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوج فيقام ولا  
 يزيغ فيستعتب، وكما يروى عن ثاني الحبلين رسول القرآن صلى الله عليه وآله قوله: «كتاب الله هو حبل الله  
 الممدود من السماء الى الارض»<sup>٢</sup> و«ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به  
 فانكم لن تضلوا ولن تضلوا بعده أبداً»<sup>٣</sup> و«اني تارك فيكم كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على  
 الهدى ومن تركه كان على الضلالة»<sup>٤</sup>.  
 ذلك حبل الله الاصيل، ومن ثمّ الرسول البديل الدليل على الله الجليل، ثم الذين يحملون ذلك الروح  
 الرسالي المعصوم، الذين يقال عنهم: «اولنا محمد - اوسطنا محمد - آخرنا محمد وكلنا محمد  
 صلى الله عليه وآله» فانهم هم الصادرون عن محمد كما محمد صادر عن الله في كتاب الله وسنته الشارحة  
 لكتاب الله في رموزه.  
 صحيح أن «حبل الله» بإفراده يعني حبلًا واحداً لا ثاني له، والإلقال حبلي الله أو حباله، ولكن محمداً

<sup>١</sup> . (آل عمران ٣: ١١٢).

<sup>٢</sup> . (الدر المنثور ٢: ٦٠ - اخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وآله: ...)

<sup>٣</sup> . (المصدر اخرج ابن أبي شيبة عن أبي شريح الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ...  
 وفي معاني الأخبار عن السجاد عليه السلام في حديث: وحبل الله هو القرآن).

<sup>٤</sup> . (المصدر اخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن زيد بن ارقم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اني ...)

صلى الله عليه وآله هو القرآن كما القرآن هو محمد صلى الله عليه وآله فرقدان لا يفترقان<sup>١</sup> وقد أشير اليهما قبل بعد  
«وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله» مما يبرهن ثبوتية الجبل حال وحدويته، وكذلك الآيات  
الأمرة باتباع الرسول صلى الله عليه وآله مصرحة بهذه التثنية الموحدة الموحدة.

لذلك لا يصدق أي حديث يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله او حملة علم الرسول صلى الله عليه وآله إلا إذا وافق  
كتاب الله - أم لأقل تقدير - لم يخالفه، شريطة اطمئنان بصدوره عنهم بوجه صالح دوماً تقيّة.  
فلذلك نجد في الحديث المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله ان جبل الله هما الثقلان، احدهما اطول - أكبر -  
افضل - اول - اعظم - وهو كتاب الله والآخر الأصغر هم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله رواه مخصم  
الافضلية للكتاب الفريقان في قمة التواتر من احاديث الإسلام عن زهاء ثلاثين من اصحاب الرسول  
صلى الله عليه وآله ونفر من الصحابييات عنه صلى الله عليه وآله<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٢٧٧ في كتاب معاني الأخبار باسناده إلى موسى بن جعفر عليهما السلام عن أبيه جعفر بن محمد  
عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: الامام منا لا يكون إلا معصوما وليس العصمة في  
ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون الا منصوصا، فقيل له يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى المعصوم؟  
فقال: هو معتمصم بجبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة والإمام يهدي الى القرآن والقرآن يهدي  
الى الإمام وذلك قول الله «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم».

<sup>٢</sup> . ( ففي الدر المنثور ٢ : ٦٠ - اخرج احمد عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم  
خليفتين كتاب الله عزوجل جبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي  
الحوض، وفيه اخرج الطبراني عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني فرط لكم وانكم واردون علي  
الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأكبر كتاب الله عزوجل  
سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا والأصغر عترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض  
وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ولا تعلموهما فانهما اعلم منكم، وفيه مثله أخرجه ابن سعد وأحمد  
الطبراني عن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله .

وفي جامع أحاديث الشيعة لاستاذنا الأقدم الأعلام المغفور له آية الله العظمى السيد البروجردي نقلاً عن العقبات انه  
روى حديث الثقلين نفر كبير من الصحابة ثم ذكر اسماء كل واحد منهم من المائة الأولى إلى الثالثة عشر، في كل  
مائة نحو من عشرين الى ثلاثين رجلاً من كبار أبحار الحديث واليكم نماذج من اسمائهم: منهم علي بن أبي طالب  
عليه السلام أخرجه عنه خمسة من الأعاظم مثل الطبري والسيوطي، ومنهم الحسن بن علي عليهما السلام وسلمان وأبو ذر رواه  
عنهم ثمانية، ومنهم ابن عباس وأبو سعيد الخدري رواه عنهما تسعة وأربعون رجلاً، ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري  
رواه عنه ثلاثون رجلاً، ومنهم ابو الهيثم بن التيهان رواه عنه خمسة وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وحذيفة بن  
اليمان وحذيفة بن السيد أخرجه عنه إحدى وعشرون رجلاً وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين روى عنه خمسة وزيد بن  
ثابت روى عنه ستة وعشرون رجلاً، وأبو هريرة روى عنه ستة وعبدالله بن حنطب ثلاثة، وجبير بن مطعم ثلاثة، وبراء  
بن عازب وانس بن مالك وطلحة بن عبيد الله التميمي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص

وسهل بن سعد الأنصاري خمسة، وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو ايوب الأنصاري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وضميرة الأسلمي، روى حديثهم الأجلة والأكابر من أئمة الحديث من إخواننا السنة وعامر بن ليلي بن حمزة تسعة، ومن هؤلاء الرواة صحابييات مثل الصديقة الطاهرة عليها السلام وأم سلمة رواه عنهما ستة وأم هاني أخت الإمام علي عليه السلام رواه عنها أربعة.

اقول: وقد ذكر المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في سفره العظيم «ملحقات أحقاق الحق» أسماء ممن أخرج عن هؤلاء في ج ٩ ص ٣٠٩ - ٢٧٦ ونختصرهم كالتالي:

١ - حديث أبو سعيد الخدري: روى عنه جماعة منهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ١٩٤) واحمد بن حنبل في المناقب والطبراني في المعجم الصغير (٧٢) والمعجم الكبير (١٢٧) وابن المغازلي في المناقب والنيسابوري في الرسالة القوامية في مناقب الصحابة (مخطوط) وموفق بن احمد في مقتل الحسين (١٠٤) ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى (١٥) والحموي في فرائد السمطين (المخطوط) والزرندي في نظم درر السمطين (٢٣٢) والهيتمي في مجمع الزوائد (٩: ١٦٢) والسيوطي في إحياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١١١) وفي الدر المنثور - كما نقلناه - والمتقي الهندي في كنز العمال (١: ٣٤٢) والعسقلاني في المواهب اللدنية (٧: ٧) والبدرخي في مفتاح النجا (المخطوط) ومحمد الصبان في اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار (١٢٢) والقندوزي في ينابيع المودة (٢١) وزيني دحلان في السيرة النبوية المطبوع بهامش السيرة الحلبية (٣: ٢٢٠) والنقشبندى في راموز الأحاديث (١٤٤) والأمرتسرى في أرجح المطالب (٢٢٦) والنبهاني في الأنوار المحمدية (٤٢٥).

٢ - حديث زيد بن ارقم رواه عنه جماعة منهم الدارمي في سننه (٢: ٤٣١) ومسلم في صحيحه (٧: ١٢٢) والبيهقي في الاعتقاد (١٦٤) والترمذي في صحيحه (١٣: ٢٠٠) والنيسابوري في مستدركه (٣: ١٤٨) واحمد بن حنبل في مناقبه (مخطوط) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١١٢) وابن المغازلي في مناقبه (مخطوط) والاندلسي في الجمع بين الصحيحين (المخطوط) والبغوي في مصابيح السنة (٢٠٥) والصغاني في مشارق الأنوار والجزري في جامع الأصول (١: ١٨٧) وابن الأثير في اسد الغابة (٢: ١٢) ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى (١٥) وابن حبان في المقتبس في احوال الاندلس (١٦٧) والحموي في فرائد السمطين (المخطوط) وابن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى (١٩٨) والخازن في تفسيره (١: ٤) وابن تيمية في منهاج السنة (٤: ١٠٤) والسيد خواجة الهندي: درر في علم الكتاب (٢٥٤) والزرندي في نظم درر السمطين (٢٣١) والذهبي في تلخيص المستدرک (٣: ١٤٨) وعبد القادر في منتخب تاريخ ابن عساكر (٥: ٤٢٦) والأزدي في تفسير التبيان (١٧٧) وابن كثير في تفسيره المطبوع بهامش فتح البيان (٩: ١١٤) والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٨) والمبيدي في شرح ديوان امير المؤمنين (١٨٨ المخطوط) والسيوطي في إحياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١١٠) وفي الخصائص الكبرى (٢: ٢٦٦) والدر المنثور (٢: ٦٠) والجامع الصغير (١١٢) والأكليل (١٩٠) ومحمد بن طولون في الشذورات الذهبية (٦٦) والكركي في نفحات اللاهوت (٥٥) وابن حجر في الصواعق المحرقة (٢٢٦) والشيباني في تيسير الوصول (١: ١٦) والمتقي الهندي في كنز العمال (١: ١٥٢) وفي منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند (٥: ٩٥) والشيخ سعدي الأبي الشافعي في ارجوزته (٢٠٧) والمفسر البغوي في معالم التنزيل (٥: ١٠١) والكشفي في المناقب المرتضوية (٩٧) والشيخ منصور بن علي المصري في التاج الجامع للاصول (٢: ٣٠٨)

- وابن حمزة الحنفي في البيان والتعريف (١: ١٦٤) والبدخشي في مفتاح النجا (٨) والناقلي في ذخائر الموارث (١: ٢١٥) والشراوي المصري في الاتحاف بحب الأشراف (٦) وشاه ولي الله الحنفي في ازالة الخفاء (٢: ٤٤٥) والصبان في اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار (١٢١) والسهودي المصري في جواهر العقدين على ما في ينابيع المودة (٢٦) والبلخي في ينابيع المودة (٣٠ و ٢٥ و ١٩١) والقندوسي الحنفي في سنن الهدى (٥٦٥) والدهلوي في تجهيز الجيش (المخطوط ١٤١ و ٣٠٤) وزيني دحلان الشافعي في السيرة النبوية المطبوع بهامش السيرة الحلبية (٣: ٢٢٠) والبهبالي في حسن الأسوة (٢٩٢) والإدريسي في رفع اللبس والشبهات (٥٢) والنبهاني في الفتح الكبير (١: ٢٥٢) وفي الأنوار المحمدية (٤٢٥) وفي الشرف المؤبد (١٧) وفي جواهر البحار في فضائل النبي المختار (١: ٢٦١) والحمزومي في رشفة الصادي (٧٠) والحداد في القول الفصل (٤٦٢) والأمرتسري في ارجح المطالب (٢٢٥) والقلندر في الروض الأزهر (٢٥٨) والفهري القاسي في رياض الجنة (١: ٢) والتونسي في السيف اليماني (١٠).
- ٣ - حديث حذيفة - ذكر ثمانية من المؤلفين أخرج عنه.
- ٤ - حديث زيد بن ثابت - عن عشرة منهم.
- ٥ - حديث جابر عن عشرين منهم.
- ٦ - حديث علي عليه السلام عن سبعة منهم.
- ٧ - حديث فاطمة عليها السلام وممن اخرجها عنها القندوزي في ينابيع المودة (٤٠).
- ٨ - حديث ابن عباس وممن اخرجها عنه ابن المغازلي في المناقب (١٥) والقندوزي في ينابيع المودة.
- ٩ - حديث الحسن بن علي عليهما السلام وممن اخرجها عنه القندوزي في ينابيع المودة (٢٠).
- ١٠ - حديث انس، اخرجها عنه في الينايع (١٩١).
- ١١ - حديث ابو رافع وممن اخرجها عنه الامرتسري في ارجح المطالب (٢٢٧).
- ١٢ - حديث ابن أبي الدنيا، وممن اخرجها عنه ابن المغازلي في مناقب امير المؤمنين عليه السلام.
- ١٣ - حديث جببر بن مطعم وممن اخرجها عنه القندوزي في الينايع (٣١ و ٢٤٦).
- ١٤ - حديث عبدالله بن حنطب وممن اخرجها عنه ابن الأثير في اسد الغابة (٣: ١٤٧) والسيوطي في احياء الميت وابن أبي بكر في مجمع الزوائد (٥: ١٩٥).
- ١٥ - حديث حمزة الأسلمي وممن اخرجها عنه القندوزي في ينايعه (٢٨) والامرتسري في ارجح المطالب (٥٦٢).
- ١٦ - حديث عبد بن حميد وممن اخرجها عنه القندوزي (٢٨).
- ١٧ - حديث ابي ذر وممن اخرجها عنه الامرتسري في ارجح المطالب (٢٢٧).
- ١٨ - حديث ابي هريرة وممن اخرجها عنه علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ٩: ١٦٢ والسيوطي في احياء الميت المطبوع بهامش الاتحاف (١٢٢) والقندوزي في ينايع المودة (٢٩) والامرتسري في ارجح المطالب (٢٢٧).
- ١٩ - حديث ام هاني وممن اخرجها عنها القندوزي في الينايع (٤٠) والامرتسري في الأرجح (٢٢٧).
- ٢٠ - حديث ام سلمة وممن اخرجها عنه الامرتسري في الأرجح (٢٢٨).
- ٢١ - حديث محمد بن فلاد... (٢٤١).
- والى عشرات ممن اخرجوه عن اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله بمختلف الألفاظ والمذكور في الجميع الثقلين كتاب

وقد يروى ان الخليفة عمر سأل الرسول صلى الله عليه وآله بعد ما يقول كتاب الله وعترتي - اما كتاب الله فقد عرفناه فمن عترتك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «عترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»<sup>١</sup>.

ولا ريب ان اهل بيته هم المعنيون معه في آية التطهير والمباهلة واولي الأمر وورثة الكتاب وأشباهاها، فهم الائمة الاثنى عشر المعصومون والصديقة الطاهرة سلام الله عليهم اجمعين. وعدم افتراقهم عن كتاب الله يعني انهم ليسوا حجة مضادة مفترقة عن كتاب الله فانهم صادرون عنه، فما يروى عنهم من خلاف للكتاب نصا أو ظاهرا مستقرا ليس ليصدق عليهم. وعدم افتراق كتاب الله عنهم عام في تأويله، خاص في تفسيره، فانهم معلموا الكتاب بعد الله ورسوله. والثقل الأصغر حسب ما يروى عن والدهم الأكبر علي امير المؤمنين عليه السلام «هم الدعاة وهم النجاة، وهم أركان الأرض، وهم النجوم بهم يستضاء، من شجرة طاب فرعها وزيتونة طاب أصلها، نبتت من حرم وسقيت من كرم، من خير مستقر إلى خير مستودع، من مبارك إلى مبارك، صفت من الأقدار والأدناس، ومن قبيح ما يأتيه شرار الناس، لها فروع لا تُنال، حصرت عن صفاتها الألسن، وقصرت عن بلوغها الأعناق، وهم الدعاة وهم النجاة، وبالناس إليهم الحاجة، فأخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم بأحسن الخلافة فقد اخبركم أيها الثقلان أنهما لن يفترقا هم والقرآن حتى يردا علي الحوض فالزموهم تهتدوا وترشدوا ولا تتفرقوا عنهم ولا تتركوهم فتفرقوا أو تمرقوا»<sup>٢</sup>.

---

الله وعترتي، وفي أكثرها أحدهما أكبر أو أطول أو أعظم أو أتم وهو كتاب الله. ومما اخرجوه في تفسير حبل الله بالعترة ما ذكره الثعلبي كما في العمدة لأبن بطريق (١٥٠) بسند متصل عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله». وخرج مثله الهيثمي في الصواعق المحرقة (١٤٩) والحضرمي في رشفة الصادي (١٥) والنعالي وقال الإمام الشافعي:

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم مذاهبهم في ابحر الغي والجهل  
ركبت على اسم الله في سفن النجاوهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل  
وامسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد امرنا بالتمسك بالحبل.  
<sup>١</sup> . رواه عنه ابن بابويه في كتاب النصوص على الائمة اثني عشر.

<sup>٢</sup> . شرف النبي لأبي اليقظان ابي الحسن الكازروني ص ٢٨٨ قال: بلغنا عن امير المؤمنين عليه السلام في وصية للمسلمين الذين حضروا حين ثقل من الضربة ومن جملة ما قال: وفيكم من تخلف من نبيكم صلى الله عليه وآله ما تمسكتم به لن تضلوا، هم الدعاة...

ومن ملحقات احقاق الحق (١٤: ٥٢١ - ٥٢٢) عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل (١: ١٢٠) بسند متصل عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من احب ان يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا وليا ثم بالهداة من ولده. وفي لفظ آخر روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: نحن حبل الله قال الله: «واعتصموا بحبل الله

وإذا كان الثقل الأصغر هكذا فالأكبر - اذا - أنبل وأعلى، والرسول صلى الله عليه وآله هو رأس الزواية في الثقل الأصغر وهم خليفته في تعليم الثقل الأكبر وتطبيقه.  
ولأن الاعتصام لا بد وان يكون بمعتصم حاضر على مدار الزمن فهو القرآن أولاً واخيراً وليس الثقل الأصغر له دور إلا دور البيان المعصوم والتطبيق المعصوم، ولا سبيل للوصول اليهم بعدما قضاوا نحبهم إلا احاديثهم المرورية عنهم، ولا سبيل للتأكد من صدورهم عنهم إلا موافقتها للثقل الأكبر.  
ثم الاعتصام - وهو طلب العصمة - بحبل الله طليق في كافة الحقول الحيوية الايمانية والتقى والإسلامية فردية وجماعية، فطرية - عقلية - فكرية - ثقافية - عقيدية - خلقية - عملية - سياسية - حربية واقتصادية.

فلا تكفي العقلية الانسانية ان تعصم الانسان حتى في نفسها فضلاً عن سائر الحقول العشرة العشرة للإنسان في حياته الفردية والجماعية.

والعصمة الطليقة لا تحصل إلا بعصمة المعصوم بالحبل المعصوم، ثم دونها بعصمة معصومة بالشورى مع تفكير صالح وتطبيق صالح لمرادات الله تعالى.  
فلا عصمة في مثلث الايمان التقوى الاسلام إلا بالاعتصام بحبل الله، وليس فحسب اعتصاماً شخصياً، ان يتقَّبَّ كلُّ في زوايته الخاصة في اعتصامه بالقرآن، بل «جميعاً» في كل حقوله فإن امرهم شورى بينهم».

صحيح ان حبل الله - في بُعدية - معصوم، والاعتصام بالمعصوم عاصم، ولكن الأخطاء العارضة في ذلك الاعتصام لا تجبر في الاكثر إلا بشورى الإعتصام، فهناك العصمة الكاملة الكافلة لحياة اسلامية سامية، اللهم إلا اخطاء قليلة لا محيد عنها للمعتصمين غير المعصومين، مهما جبرت الشورى الصالحة فيه قسماً عظيماً من تلكم الأخطاء.

وذلك دواء لأدواء الفتن المقبلة علينا وكما في خطبة للرسول صلى الله عليه وآله «فإذا أقبلت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوجُّ فيقام ولا يزيغ فيستعذب» «واعتصموا.. ولا تفرقوا» في ثالوثه المنحوس: تفرقا عن حبل الله، تفرقا فيه، وتفرقا فيما بينكم في ذلك الاعتصام عن حبل الله أو فيه.

فالمتفرقون عن كتاب الله إلى روايات او نظرات او اجماعات وشهوات، او قياسات واستحسانات او استصلاحات أمّاذ من مصادر، هم متفرقون عن شرعة الله المتمثلة ككل في حبل الله.  
كما المتفرقون عن الحبل الثاني زعماً منهم انه حسبنا كتاب الله - والسنة المباركة لزامه تبييناً وتفسيراً وتأويلاً - هم - كذلك - متفرقون عن شرعة الله.  
فالاعتصام الوحدوي بالحبلين هو العاصم، فترك احد الحبلين الى الآخر تفرق عنهما جميعاً فانهما لا

---

جميعاً...» فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام المستمسك بالبر فمن تمسك به كان مؤمناً ومن تركه كان خارجاً عن الايمان.

وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي جبرئيل: قال الله تعالى: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

يفترقان و«حسبنا كتاب الله» هي كلمة حق اريد بها الباطل، حق كما قال الله «او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» وباطل حين يراد بها تنحية السنة الرسالية عن الكتاب، حيث الكتاب الذي هو حسبنا يامرنا باتباع الرسول، فالتارك لسنة الرسول صلى الله عليه وآله الآخذ بكتاب الله فقط، كما التارك له الآخذ بما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله هما من المقتسمين «الذين جعلوا القرآن عضين»، بفارق ان الآخذ بالسنة أضل سبيلاً فانها لا تُعرف إلا بكتاب الله، مهما لم يعرف تأويل الكتاب إلا بالسنة. فالذي يصدق بالمتن، هو - بطبيعة الحال - يصدق بالهامش الذي كتبه الماتن نفسه، وليست السنة الاسلامية إلا هامشا بياناً من الماتن نفسه.

وان اختلاف الهوامش عن المتون في الكتابات غير الالهية، هو قضية اختلاف الماتن والمحشي- في النظرات العلمية، وأما متن الوحي وهامشه فلا فرق بينهما إلا جملة وتفصيلاً. لذلك ليست السنة لتخالف الكتاب او تنسخه، كما التبصرة القانونية لا تنسخ القانون، وانما تشرحه وتوضحه، مهما كان من غير المقنن، فضلاً عن السنة الاسلامية التي هي عبارة ثانية شارحة للمقنن!. ذلك وكما المتفرقون عن حبل الله اعتصاماً لطائفة وتركوا له لأخرى، والمتفرقون في حبل الله بشطحات الآراء في تفاسير شاردة ماردة، والمتفرقون فيما بينهم في مادة الاعتصام وكمه وكيفه، كل اولئك شرع سواء في تركهم الاعتصام بحبل الله جميعاً دون تطبيق التفرق عنه وفيه وبين، مهما اختلفت دركاته. فكما الله واحد في كافة شؤون الربوبية وكل تفرق بشأنه مارد عن توحيدده، كذلك كتابه الكريم واحد في كافة الشؤون التربوية، فكل إلحاد فيه أو إشراك به أو تفرق فيه او عنه، كل ذلك مارد شارد. فالذلة هي لزام المتفرقين في حقل ذلك الحبل «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» فربانية الإعتصام هي التمسك الصالح بكتاب الله، ثم «وحبل من الناس» هو ذو بعدين: الثقل الاصغر وهم الناس المعلمون لكتاب الله، والكتلة المؤمنة ككل وهم الناس المتعلمون من الحبلين بجمعية المحاولات والشوراء آت في ذلك الإعتصام.

فالعصمة الاسلامية عن كل بأس وبؤس فردي وجماهيري مكفولة على ضوء الإعتصام بحبل الله جميعاً دون تفرق، حيث الحبل في بعديه معصوم، وجمعية الإعتصام بحبل الله عاصمة، مهما لم تبلغ هذه

---

<sup>1</sup> .( تفسير البرهان ١ : ٢٠٥ محمد بن ابراهيم النعماني المعروف بابن زينب بسند متصل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله اهل اليمن فقال النبي صلى الله عليه وآله جاءكم اهل اليمن يبسون بسيسا فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال قوم رقيقة لهم راسخ ايمانهم منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي حمايل سيوفهم المسك فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن وصيك؟ فقال: هو الذي امركم الله بالاعتصام به فقال عزوجل «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال هو قول الله «الا بحبل من الله وحبل من الناس» فالحبل من الله وكتابه والحبل من الناس وصيي فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن وصيك. فقال: هو الذي أنزل الله فيه: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله» فقالوا يا رسول الله وما جنب الله هذا؟ فقال: هو الذي يقول الله فيه «ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» هو وصيي والسبيل إلي من بعدي...



العصمة مبلغ العصمة المطلقة للمعصومين ولكنها تبلغ إلى أشرافها حيث تقل الأخطاء في ذلك الاعتصام المشرف.

ذلك، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً.» و«نعمة الله» هنا الوحيدة غير الوهيدة هي الوحدة الإيمانية بألفة القلوب، فقد تألف العقول والعلوم، والقلوب شتى، والنص القرآني هنا يعتمد إلى مكمن المشاعر - الاصيل - وهو القلب، تصويراً للقلوب كحزمة مؤلفة متألفة.

فقد كانوا اعداءً متناحرين لا يأمنون لحياة فألف الله بين قلوبهم بنعمة الوحدة الإيمانية المترابطة ف : «هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم»<sup>١</sup>.

وعامل التأليف بين قلوبهم بالله هو جبل الله: قرآن محمد ومحمد القرآن، فانهما يؤلفان بالله بين القلوب الداعية لذكر الله، الداعية إلى الله، فأصبحتم بنعمته اخواناً. في الله، تاركين كافة المفارقات والمنازعات.<sup>٢</sup>

فكل وحدة وهيدة زهيدة إلا ما كانت بين القلوب في اعتصام جماهيري بجبل الله، فلا تنفصم بأي فاصم، ولا تنقسم بأي قاسم.

«واذكروا.. اذ كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها.. وشفا حفرة هو أشرافها، فان شفى الشيء حرفه وطرفه المائل اليه وقد كانوا على شفا حُفَر النيران، في جهالات وشهوات ولهوات وكل رذالات الحياة، فليست هذه النار - اذا - نار الدنيا، بل هي الأخرى،<sup>٣</sup> فشفاها هي الحياة الدنيا الكافرة، و«حفرة من النار» هي النار البرزخية ومن وراءها الأخرى، وليس بين شفاها وحفرتها إلا فاصل الموت، وقد شبه هنا المشفى - بسوء عمله - على دخول النار، بالمشفى - لزلة قدمه - على الوقوع في النار، استعارة لطيفة ما الطفها: «أفمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم»<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> . ( الأنفال ٨ : ٦٣ .

<sup>٢</sup> . ( المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بسند متصل عن علي عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله أمنا الهداة ام غيرنا؟ قال: بل منا الهداة الى الله الى يوم القيامة، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلالة الشرك، وبنا استنقذهم الله من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون اخوانا بعد ضلالة الفتنة كما بنا اصبحوا اخوانا بعد ضلالة الشرك وبنا يختم الله كما بنا يفتح الله.

<sup>٣</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٢٧٩ في كتاب ثواب الأعمال عن رجل عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام: أصبح عدونا على شفا حفرة من النار قد انهارت به نار جهنم فتعسا لأهل النار متواهم.

<sup>٤</sup> . ( التوبة ٩ : ١٠٩ .

وضمير التأنيث في «منها» راجع الى ثالث: شفا - حفرة - من النار - إذ نجّاهم الله منها كلها، او ان «حفرة من النار» تعم النارين، فالأولى هي العقبات السوء الى الاسوء فالأسوء، حيث المجتمع المبني على شتات القلوب والأهواء ليس - على أية حال - إلا في نار هي شفا حفرة من نار هي أحرّ وأشجى، حتى يسقطوا في هوات النار الأخرى.

فالحياة اللأيمانية، بل والايمانية غير المعتصمة جميعا بحبل الله، إنها حياة رذيلة على أشراف سقطات في حفرة النيران، اللهم إلا اعتصاما بحبل الله جميعا «بحبل من الله وحبل من الناس» وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون».

فيالها نعمة ما اعظمها إن يخرجوا منها الى غيرها ويالها مصيبة إن لم يؤمنوا بها فيرغبوا عنها،<sup>١</sup> ولقد أنقذنا الله تعالى من نار الدنيا والآخرة بحبله المتين المبين والرسول الأمين، ولعمر محمد صلى الله عليه وآله هنا لم تنزل «محمد» في لفظ التنزيل<sup>٢</sup> مهما كان واردا في واقع التأويل.

فحياة التكليف غير المعتصمة بحبل الله جميعا هي «شفا حفرة من النار» و«شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم» في شطري البرزخ والقيامة.

قول فصل حول حديث الثقلين:

اولية الثقل الأكبر وكونه افضل واكبر واعظم واتم وأطول من الثقل الاصغر هي في الكيان، وأطوليته في الزمان، والأخيرة باهرة حيث لا افول للقرآن والثقل الاصغر ميتون ف «انك ميت وانهم ميتون».

واما التفاضل في الكيان فقد يُعنى منه معنيان:

١ - محمد صلى الله عليه وآله وهو رأس الزاوية في الثقل الاصغر، هو قبل هذه العصمة الإلهية عَصَم بعصمة بشرية، مزودة بهدي رباني من روح القدس، ثم عصم بعصمة ربانية قمة متصلة بقلبه ومنفصلة بحامل الوحي، ومن ثم بعصمة وحي القرآن والسنة، ووحى القرآن دون ريب هو أثقل من كل العَصَم التي تزود بها فانها كمقدمات وتهيآت والعصمة القرآنية هي الغاية القصوى.

إذا فالقرآن هو الثقل الأكبر ومحمد صلى الله عليه وآله الأصغر، طالما الرسول صلى الله عليه وآله بما حوى قلبه القرآن بكل حلقاته وحقوقه، هو أكبر من احد الثقلين، إلا أن حديث الثقلين يعني المقارنة بين الكيانين.

٢ - ان العصمة الإلهية هي أثقل من العصمة البشرية في كل دور من ادوارها، فضلاً عن مثلثها، فهي - اذا - أكبر منها على أية حال، ومهما كان مجمع الثقلين افضل من كلٍ منهما ولكن الثقل الأكبر - دون الاصغر - لا ريب انه اطول وادوم.

<sup>١</sup> (المصدر عن كشف المهجة لابن طاووس عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه: وأما الآية التي عم بها العرب فهو قوله: واذكروا نعمة الله عليكم... فيالها...)

<sup>٢</sup> (المصدر في روضة الكافي بسند متصل عن ابي عبد الله عليه السلام في الآية... فانقذكم منها بمحمد هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله!).

فلا ملجأ زمن غيبة الثقل الأصغر إلا الثقل الأكبر، ثم الأصغر يعرف بموافقة الأكبر، «وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فالأصغر لن يفترق عن الأكبر فان عصمته العلمية ليست إلا بالأكبر، وبلاغه الرسالي ليس - في الأصل - إلا عن الأكبر، وسناده في كل قليل وجليل ليس إلا إلى الأكبر، وهو يعيش الثقل الأكبر في النشآت الثلاث.

والأكبر لن يفترق عن الأصغر حيث يأمر بالرجوع إلى الأصغر «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وانه لا يعرف تأويلات ومآخذ أحكامه إلا الأصغر، ولا يحكم به عاصما معصوما إلا الأصغر، ولا ينذر به ويذكر كأكمل ما يرام إلا الأصغر.

فليس يعني عدم افتراق الأكبر عن الأصغر انه - ككل - لا يفهم إلا بتفسير الأصغر، لانه بيان للناس، فإنما الأليق لتبينه وتطبيقه والحكم به، واللائق لتاويله هو الأصغر، وحين لا يكون الثقل الأصغر ثقلاً لو افترق عن الأكبر فماذا تكون أحوال سائر الأمة المفترقة عن الثقل الأكبر.

إن افتراق الحوزات الإسلامية عن الثقل الأكبر ملموس محسوس ككل، ثم المدعون اتصالهم بالثقل الأصغر خاؤون فانه لا يعرف إلا بالعرض على الأكبر، إذا فهم تاركوا الحبلين، حبل من الله: القرآن، وحبل من الناس هم اهل بيت القرآن.

و«ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا» تحكم بضلانا إذ تركنا التمسك بهما إلى مستمسكات أخرى هي ويلات على الأمة الإسلامية السامية.

و«لن يفترقا» ليست لتعني افتراقا في السلطة الروحية الزمنية حيث ينتقص بزمن الغيبة، اغما هو افتراق وحي الكتاب عن وحي السنة، فالسنة لا تفترق عن الكتاب فانها الوحي الفرع الهامش المفسر والمأول للوحي الأصيل، وهي مستفادة من القرآن، فلا تنسخه او تخالفه.

والكتاب لا يفترق عن السنة لانه الذي يأمر باتباع السنة في رموزه وتاويلاته وأن الرسول صلى الله عليه وآله هو المذكر بالقرآن. فذكر بالقرآن من يخاف وعيد..

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله صاحب الحبلين، فخلف عن الأصغر - وهو نفسه - عترته، وخلف عن الأكبر - وهو القرآن - نفسه، إذ لا بديل عنه، وإما البديل في غير الأصيل الذي يعرضه الموت دون القرآن الذي يجري كجري الشمس.

وإن الذلة مضروبة على كل أمة رسالية «إلا بحبل من الله وحبل من الناس» فالحبل الأول هو الحبل الرسالي الذي يحمله وحي الله، والثاني هو الرسولي الذي يحمله رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ثم عترته، ثم المؤمنون بالرسالة حيث كان «أمرهم شورى بينهم».

فلا حياة صالحة إيمانية إلا بالاعتصام بالحبلين الربانيين، ونحن تركناهما إلى حبال متفرقة متشتتة!. فالاعتصام بغير المعصوم مأثوم، والاعتصام بالمعصوم بقسمة العضين مأثوم، والاعتصام باحد الثقلين دون الآخر مأثوم، والاعتصام بالثقلين دون جمعية فيه وفي الجماعة المسلمة كما في جمعية حبل الله، مأثوم، فانما الاعتصام العاصم المعصوم هو الاعتصام بحبل الله جميعا دون أي تفرق عنه أو فيه أو بين المعتصمين، فإن حبل الله يجمع المعتصمين به ولا يفرق، إذا اعتصموا به كما يحق، تحرياً عن مرادات الله، دون تحميل ولا تدجيل.

لقد روى حديث الثقلين عن الرسول صلى الله عليه وآله في ستة مواضع: يوم عرفه على ناقته القصوى وفي

مسجد خيف وفي خطبة يوم الغدير في حجة الوداع وفي خطبته على المنبر وفي بيته عند وفاته، وعند رجوعه عن سفر له، ويا لها من مواضع هامة عامة تضم الغدير من المسلمين!<sup>١</sup> ومن الفاظه «عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما. ومنها ما رواه عنه صلى الله عليه وآله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه ونحن في صلاة الغداة فقال: اني تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتي فاستنطقوا القرآن بسنتي فانه لن تعمى ابصاركم ولن تزل اقدامكم ولن تقصر ايديكم ما أخذتم بهما ثم قال: اوصيكم بهذين خيرا. ولقد بلغت الأهمية الكبرى الرسالية في حديث الثقلين لحد يكرره الرسول صلى الله عليه وآله في تلكم المجامع الستة أخيرتها في خطبته يوم وفاته ثم في بيته، ونحن نعلم انه لم يكتب في شيء من مهام الدين إلا بعض كتاباته إلى الامراء والملوك دعوة إلى الاسلام، ثم نراه يطلب ان يكتب عند وفاته كما تواتر عنه صلى الله عليه وآله: «لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وآله: هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختموا منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وآله كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي

<sup>١</sup> . كما في المناقب في كتاب سليم بن قيس قال علي عليه السلام ان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة على ناقته القصوى وفي مسجد خيف ويوم الغدير ويوم قبض في خطبته على المنبر ايها الناس اني تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكنم بهما الأكبر منهما كتاب الله والأصغر عترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير عهد الي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين وأشار بالسبابتين... وفي ملحقات الاحقاق ٢٥٤ ومن الفاظ الثقلين، رواه زيد بن ارقم قال: اقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حجة الوداع فقال: اني فرطكم على الحوض وانكم تبغي وانكم توشكون ان تردوا علي الحوض فأسألكم عن ثقلني كيف خلفتموني فيهما فقام رجل من المهاجرين فقال: ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، والأصغر عترتي فمن استقبل قبلي واجاب دعوتي فليستوص لهم خيرا او كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله «فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم واني سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ان يردوا علي الحوض كهاتين وأشار بالمسبحتين، ناصرهما الي ناصر وخاذلهما الي خاذل وولييهما الي والي عدوهما لي عدو». ملحقات ٩ : ٣٢٧. واخرج الطبراني عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني لكم فرط وانكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل: وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وسألت لهما ذلك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ولا تعلموهما فانهما اعلم منكم. وفي حديث جابر قال اخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي والفضل بن عباس في مرض وفاته فاعتمد عليها حتى جلس على المنبر فقال: ايها الناس قد تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا كتاب الله.

صلى الله عليه وآله قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «قوموا»<sup>١</sup>.

ومن حديث امير المؤمنين علي عليه السلام قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه والبيت خاص بمن فيه قال: ادعوا لي الحسن والحسين فجاؤوا فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ففتح عينيه وقال: دعهما يتمتا مني وامتع منهما فستصيهما بعدي أثره ثم قال: ايها الناس قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي اهل بيتي فالمضيح لكتاب الله تعالى كالمضيح لسنتي والمضيح لسنتي كالمضيح لعترتي أما إن ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض»<sup>٢</sup>.

ومن حديث فاطمة الزهراء عليها السلام قالت سمعت أبي صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول: - وقد امتلأت الحجرة من أصحابه - أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما»<sup>٣</sup>.

ومن حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله رجع من سفر له وهو متغير اللون فخطب خطبة بليغة وهو يبكي ثم قال: ايها الناس قد خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وارومتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ألا وإني أنتظرهما ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض ألا وإنه سترد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الامة راية سوداء فأقول: من أنتم فينسون ذكري فيقولون نحن أهل التوحيد من العرب فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون: نحن من أمتك فأقول: كيف خلفتموني في عترتي وكتاب ربي فيقولون: أما الكتاب فضيعنا وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم فأوئي عنهم فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخرى أشد سوادا من الأولى فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون كالقول الأول نحن من اهل التوحيد فإذا ذكرت إسمي قالوا: نحن من أمتك فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفناه، وأما العترة فخذلنا

<sup>١</sup> . اخرجه البخاري في باب قول المريض: قوموا عني، كتاب المرضى (٤: ٥) وفي كتاب العلم (١: ٢٢) وبعض الاجزاء الاخر من صحيحه واخرجه مسلم في آخر الوصايا من صحيحه ورواه احمد من حديث ابن عباس في مسنده وكذلك سائر اصحاب السنن وسند البخاري هكذا: الى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، وروى البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه (٢: ٧) قال حدثنا قبيضة ابن عيينة عن سلمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمه الخصباء فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه.

<sup>٢</sup> . المصدر ٣٥٢.

<sup>٣</sup> . المصدر ٣٥٤.

ومزقناهم كل ممزق فأقول لهم: إليكم عني فيصرون عطاشا مسودة وجوههم، ثم ترد راية أخرى تلمع نورا فأقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى نحن أمة محمد ﷺ ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب ربنا وأحللنا حلاله وحرمانا حرامه وأحببنا ذرية محمد ﷺ فنصرناهم من كل ما نصرنا به انفسنا وقاتلنا معهم وقتلنا من ناوهم فأقول لهم: ابشروا فانا نبيكم محمد ﷺ ولو كنتم كما وصفتم ثم اسقهم من حوض فيصرون روآء ألا وان جبرئيل اخبرني بان امتي تقتل ولدي الحسين بارض كرب وبلاء الا ولعنة الله على ما قاتله وخاذله ابد الدهر.

ومن حديث الحسن بن علي عليه السلام في خطبة له قال خطب جدي ﷺ يوما فقال بعد ما حمد الله واثى عليه، معاشر الناس إني ادعى فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعتري اهل بيتي ان تمسكتم بهما لن تضلوا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخلوا الأرض منهم ولو خلت لانساخت بأهلها ثم قال: اللهم إنك لا تخلي الأرض من حجة على خلقك لئلا تبطل حجتك ولا تضل أولياءك بعد إذ هديتهم أولئك الأقلون عددا والأعظمون قدرا عند الله عز وجل ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقبي وفي زرع وفي زرع زرعني إلى يوم القيامة فاستجيب لي»<sup>١</sup>.

ولان الرسول ﷺ والائمة من آل الرسول هم مجمع الثقلين فهم - اذا - افضل من احدهما وكما يروى عن رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلي بن ابي طالب عليه السلام افضل لكم من كتاب الله لانه مترجم لكم عن كتاب الله»<sup>٢</sup>.

هذا الثقلان هما المثقلان المعتصمين بهما جميعا عن كل خفة واستخفاف فكما «المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف» كذلك - وبأحرى - الامة المعتصمة بجبل الله جميعا، وهو الثقلان، لا يستخفها مستخف.

## تدبرات في القرآن

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> . (المصدر ٣٥٧).

<sup>٢</sup> . (تفسير البرهان ١ : ٢٨).

<sup>٣</sup> . (النساء ٤ : ٨٢).

تنديدة شديدة موجهة الى هؤلاء المتخلفين في مثلثه، بعد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالإعراض عنهم، فقد يُعرض عليهم الإحتكام الى القرآن نفسه بعدما عارضوا الرسول صلى الله عليه وآله وليعرفوا الطاعة الصالحة غير المفرقة، وذلك من البراهين الواضحة على أصالة القرآن وفرعية السنة أولاً، وعلى إمكانية تفهّم القرآن حتى لهؤلاء الثلاث فضلاً عن المؤمنين الواقعيين.

ذلك! فحكم التدبر في القرآن عام يشمل كافة المكلفين به شريطة معرفة لغته وإمعان النظر في معانيه ومغازيه.

ومما ينتجه التدبر في القرآن هو ربانية آياته البيّنات بأسرها لمكان التلائم التام بينها دون تفاوت لفظيا ولا معنويا ولا واقعيًا ولا في أي حقل من حقول الحق المرّام.

أجل والتناسق الطليق الرفيق الرقيق والعميق هو الظاهرة الباهرة التي لا يخطئها من يتدبر القرآن كقرآن، مهما اختلفت العقول في إدراك مداها، ولكننا ككلّ تدرك تماماً أنها في تناسق وتوافق تام ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً.

ولا إختلاف في القرآن لا قليلاً ولا كثيراً، وطبيعة الحال في من سوى الله أيا كان هي التدرّج في الكمال وعدم الحيطة المطلقة على الحقائق على أية حال.

فالقرآن النازل طيلة الحياة الرسولية في مختلف الحالات الحرجة والمجالات المرجحة، في العهد المبكي المتضيق والعهد المدني الرفيق، ثم منذ الفتح، ولا يوجد في آياته أي إختلاف في قمة الفصاحة والبلاغة، ولا في المعاني المرادة، ولا بينها وبين الحق الواقع، ولا الفطرة ولا العقلية الصالحة غير المزيجة ولا المريجة.

ذلك الكتاب لا ريب فيه أنه من رب العالمين، فكما الشمس هي دالة بنفسها على نفسها بإشراقها، كذلك شمس الآيات القرآنية هي بأنفسها براهين ساطعة على أنها ربانية المصدر والصدور، دون أي تدخل لأية عقلية خَلقية.<sup>١</sup>

وهنالک آيات مع هذه تأمرنا بالتدبر في القرآن حقه، فتارکه مقفل القلب مغفل: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها.<sup>٢</sup> - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب.<sup>٣</sup> فالقلب المتدبر واللب المتذكر هما اللذان يتدبران القرآن، وإن القلوب أوعية فخيرها أوعاها، ولا يتحدد القرآن بمعارفه الجمّة بساذجة الأفكار، فإنما لكل قلب قدر وعيه.

---

<sup>١</sup> .( راجع تفصيل ظاهرة عدم الإختلاف تحت عنوان «عدم الإختلاف فيه» في ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٤٠ من الفرقان.

<sup>٢</sup> .( محمد ٤٧ : ٢٤.

<sup>٣</sup> .( ص ٣٨ : ٢٩.

والتدبر تفعل من الدبر، وهو في القرآن جعل كل آية دبر نظيرتها ودبر ما حوتها، كما هي دبر التفكير الصالح فيها، ليحصل من هذه الثلاث حق المعنى وواقع المغزى من كل آية آية، حيث «الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا إختلاف فيه»<sup>١</sup>.

وتدبر ثان هو تواتر التفكير في القرآن بعد ذلك التدبر الثلاثي، تحللاً عن إصر كل أسر من أفكار سابقة حاصلة من غير القرآن، بنظرة تجردية تعني استنباط مرادات الله تعالى دوغما تحمیل لعالقة الآراء. و«إختلافاً» بصيغة طليقة دون متعلق خاص مما يستغرق السلب في أصل الإختلاف، فهو «إختلافاً» من و إلى: بداية ونهاية في الكمال، أن يأتي كل كمال منه بعد نقص وكل أكمل منه بعد كامل، فلا تجد فيه سنة التكامل بأسره.

و«إختلافاً» في آياته مع بعضها البعض في بلاغة العبارة وفصاحة التعبير، أن يبدوا فيها القمم والسفوح والتوفيق والتعثر والتحليق والهبوط والررفة والثقل، والإشراق والإنطفاء.

و«إختلافاً» عن حاق الحق الثابت الذي لا حول عنه، وعن الواقع والصالح لحيوية المكلفين كأكملها، وعن قضية الفطرة السليمة والعقلية غير الدخيلة، وعن متطلبات كل زمن إلى آخر زمن التكليف. و«إختلافاً» فيها بين السنن المسرودة فيه بتضاد أو تناقض أو تناقض، بل هو الإلتيام والإلتحام التام بكل وفق ووثام.

فمادة الإختلاف بأي معنى كان وفي أي حقل من حقوله مسلوب عن القرآن بصورة مستغرقة طليقة. وسلبية واحدة من هذه الإختلافات هي مستحيلة بالنسبة لما كان من عند غير الله مهما كان من أعلم العباقرة في أي حقل من حقول العلم والمعرفة، فضلاً عن السلبية الطليقة. ومهما كانت الأنظار والأفكار في تفهّم معاني القرآن درجات، ولكنها تلتقي في أظهر المظاهر القرآنية وهي ظاهرة عدم الإختلاف فيه لو أعطوا التدبر فيه حقه.

وكل ما يخيل الى القاصرين أو المقصرين بحق القرآن من تهافت وإختلاف، إنه يذبل ويزول بالنظر السليم الى القرآن نفسه دون حاجة الى توجيهات خارجية وتكلفات.

ذلك مع أن القرآن ناظر الى كافة الحقائق جلية وخفية، وعلى ضوء تقدم العلم نراه لا إختلاف فيه بين هذه الحقائق ولا قيد شعرة، مما لا يستطيع على طرف منها أي عبقر!

و«إختلافاً كثيراً» هو لزوم كلام غير الله، فالقيد توضيحي وليس إحترازيًا يعني أن في القرآن إختلافاً قليلاً، كلا لا قليلاً ولا جليلاً، مما يوكد ربانيتها، دون أي إحتمال لتدخل العلم غير الرباني في إصداره.

وكما الفارق بين صنع الله وصنع من سواه بين كالشمس في رابعة النهار، كذلك الفرق بين كلامه المتحدّي به وكلام الخلق، والقرآن متحدّ بكل أبعاده لفظياً ومعنوياً كل كتابات الأرض من عباقرة الكتاب النوايغ، ولم يأت حتى الآن ولن، من يسامي كلامه كلامه، أو يستطيع إنتفاضة أو إنتقاصه في أدب اللفظ أو حذب المعنى.

وحقا إنه لا نجد مظهراً من مظاهر التكوين والتدوين في الكائنات كلها، يظهر فيه ساطع الربوبية

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٥٢٢ في نهج البلاغة قال: وذكر أن الكتاب.. فقال سبحانه «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً».



الإلهية كمثل المظهر القرآني العظيم، فلا يساوى ولا يسامى في أية ظاهرة من آيات الله على مدار الكون بأسره - لا تكوينيا ولا تشريعيًا - فلا دليل على ربانيتها الوحيدة غير الوهيدة كمثل القرآن، وقد عرّف نفسه بأنه شهادة قمة تدل على الله لأنه أنزل بعلم الله: «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أتتكم لتشهدون أن مع الله إلها آخر قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»<sup>١</sup> «أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا»<sup>٢</sup> «قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»<sup>٣</sup> - «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا»<sup>٤</sup> وهكذا نسمع ربنا يجعل القرآن شهادة على ربانيتها كأفضل شهيد، وكأنه هو تعالى يظهر بنفسه المقدسة عند خلقه، وفي الحق لو أن الله ظهر بذاته لخلق ما كان أظهر مما أظهر ربانيتها بقرآنه المجيد وفرقانه الحميد.

#### طاعة الله والرسول

«وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»<sup>٥</sup>  
 ليس الايمان لعبة يتلهى بها في مقال، إنما هو تكيّف في النفس إنطباعا في القلب، حالة واقعية تظهر في مقال وفي اعمال، فاما القول - آمنا - فقط فهو لفظ الإيمان دون واقعه، واما عقد القلب دون

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ٢٠ .

<sup>٢</sup> . ( النساء ٤ : ١٦٦ .

<sup>٣</sup> . ( الرعد ١٣ : ٤٣ .

<sup>٤</sup> . ( الفتح ٤٨ : ٢٨ .

<sup>٥</sup> . ( النور ٢٤ : ٤٧ .

ظهور في عمل فهو حال الايمان ولما يستكن في القلب وإلا فاين عمل الإيمان؟ فإن له صورة الظاهرة كما له سيرة الباطن.

«ويقولون آمنا بالله» وحده لا شريك له «وبالرسول» الذي ارسله<sup>١</sup> «واطعنا» الله في محكم كتابه «واطعنا الرسول» فيما ارسل به من سنته الجامعة غير المفارقة، المستفاد من رموز قرآنية، فهم يدعون مثلث الايمان المستخلص في ثالث اضلاعه: «واطعنا» ولكن «ثم يتولى» بعد تلك المقالة «فريق منهم من بعد ذلك» الدعوى «وما اولئك» المتولون «بالمؤمنين» حيث التولي عن طاعة الله والرسول يكذب دعوى الايمان، فإنما الايمان هو الطاعة على درجاتها، ثم لا يكون إلا دعوى الايمان! بنفاق، ام ارتياب بعد ايمان، ام ضعف في ايمان! ومهما كان ضعيف الايمان مؤمنا ولكن «ما اولئك بالمؤمنين» على حد قولهم «.. واطعنا» حيث عصوا، فلم يقل «بالمؤمنين» اذ فيهم قليلوا الايمان! واما «بالمؤمنين» الخصوص في «اطعنا» ومن توليهم عن طاعة الله ورسوله:

«وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ»<sup>٢</sup>.

الرسول صلى الله عليه وآله هو الحاكم بينهم بما أراه الله: «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما»<sup>٣</sup> وقد أراه الله حكمه بوحى القرآن والسنة، ف «ليحكم» المفرد مع سابق ذكر الله ورسوله، يعني حكم الرسول، بالدعوة الى الله دعوة إلى كتابه، والدعوة الى الرسول دعوة إلى سنته، والحاكم بالكتاب والسنة بينهم هو الرسول إذ إن الله لا يوحى إليهم، ف «اذا دعوا.. إذا فريق منهم معرضون» عن حكم الله والرسول حيث يحكم به، وهم معرضون عن حكم الرسول اذ يرون الحق عليهم في ميزان الحق، ثم هم اولاء «وان يكن لهم الحق» في قضيتهم «يأتوا إليه» الرسول «مذعنين» بطاعة الله وصدق الرسول، مذعنين بحكمه، وفي الحق لا يأتون الى الرسول اذ لا يأتون إلا اذا وافق حكمه هواهم! فهم اذا يأتون هواهم، دون هداهم.

وقد انزل الله هذه الآيات تنديدا بهؤلاء المتولين العصاة فقال الرسول صلى الله عليه وآله «من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه إلى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> . ( وانما فصل الرسول بالباء للفصل بين الايمانين أصالة ورسالة، ولكي لا يظن انهما في درجة واحدة ام هما واحد، رغم الوحدة في الاتجاه.

<sup>٢</sup> . ( النور ٢٤ : ٤٨ - ٤٩ .

<sup>٣</sup> . ( النساء ٤ : ١٠٥ .

<sup>٤</sup> . ( الدر المنثور ٥ : ٥٤ - اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن الحسن قال: ان الرجل كان يكون بينه وبين الرجل خصومة او منازعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا دعى الى النبي صلى الله عليه وآله وهو محق اذعن وعلم ان النبي صلى الله عليه وآله سيقضي له بالحق واذا اراد ان يظلم فدعى الى النبي صلى الله عليه وآله اعرض وقال: انطلق

ولماذا يتولى هذا الفريق فيعرض عن حكم الرسول صلى الله عليه وآله إلا إذا كان لهم الحق؟: «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِيَفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»<sup>١</sup>.

الى فلان فانزل الله «واذا دعوا - الى قوله - الظالمون» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان نبيي...؟ وفيه واخرج الطبراني عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من دعي الى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له، أقول يعني به سلطان المسلمين: من له سلطة شرعية عليهم من حكام الشرع والقضاة آمن ذا من اجهزة الدولة العادلة الاسلامية الا اذا تأكد ان هذا السلطان ظالم فالتحاكم اليه تحاكم الى الطاغوت!.

وفي نور الثقلين ٦١٥٣ ح ٢١٠ عن تفسير القمي حدثني ابن ابي عمير عن ابن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في امير المؤمنين عليه السلام وعثمان وذلك انه كان بينهما منازعة في حديقة فقال امير المؤمنين عليه السلام نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله فقال عبد الرحمن بن عوف لا تحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانه يحكم له عليك ولكن تحاكمه الى ابن شيبه اليهودي فقال عثمان لامير المؤمنين عليه السلام: لا نرضى الا باين شيبه اليهودي فقال ابن شيبه لعثمان تأمنوا رسول الله على وحي السماء وتتهموه في الاحكام؟ فانزل الله عز وجل على رسوله «واذا دعوا الى الله - الى - الظالمون» ثم ذكر امير المؤمنين عليه السلام «انما كان قول المؤمنين... فاولئك هم الفائزون».

وفي التفسير الكبير ٢٤: ٢٠، قال مقاتل: نزلت هذه الآية في بشر المنافق وقد خاصم يهوديا في ارض وكان اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول: ان محمدا يخيف علينا وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسما فوقع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة يعني ارضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة اخذت سيخة لا ينالها الماء فقال لعلي عليه السلام اقبض ارضك فانما اشتريتها إن رضيتها ولم ارضها فلا ينالها الماء فقال علي عليه السلام بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال المغيرة: اما محمد فلست آتبه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت هذه الآية وقال الحسن نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر.

وفي تفسير الالوسي ١٨: ١٩٤ - اخرج ابن المنذر وغيره عن قتاده أنها نزلت في المنافقين وروى عن الحسن نحوه وقيل نزلت في بشر المنافق دعاه يهودي في خصومة بينهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا هو اليهودي الى كعب بن الاشرف ثم تحاكما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فحكم لليهودي فلم يرضى المنافق بقضائه صلى الله عليه وآله وقال: نتحاكم الى عمر فلما ذهب اليه قال له اليهودي قضى لي النبي صلى الله عليه وآله فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق: اكدلك؟ فقال: نعم! فقال: مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل وخرج بسيفه فضرب عنق ذلك المنافق حتى برد وقال: هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت وروى هذا عن ابن عباس».

اقول: قوله تعالى: «ثم يتولى فريق... واذا دعوا...» لا يناسب شخصا واحدا سواء أكان عثمان او البشر او المغيرة، فقد تعنيهم الآية وأضربهم دون اختصاص بشخص دون آخرين.

<sup>١</sup> . (النور ٢٤: ٥٠).

هذا التردد التقسيم يقرر موقف «فريق منهم.. دعا» أنهم جماعة بين من «في قلوبهم مرض» نفاقا كبشر المنافق، او غير نفاق حيث نفي عنهم ذلك الايمان، المناسب لنفاق خلوا عن أي ايمان، ام ايمان ناقص، وقد ردف المنافقون بالذين في قلوبهم مرض فهم أخص منهم، لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض..<sup>١</sup> ومن «ارتابوا» بعد الايمان كمغيرة بن وائل، ومن «يخافون أن يحيف الله عليهم» وله بعض الايمان كمن لا نسميه.

فالمتولي عن حكم الرسول المعرض عنه بعد دعوى الايمان والطاعة ليس إلا منافقا في قلبه مرض، ام مرتابا بعد ايمان، ام قليل الايمان حيث يخاف ان يحيف الله عليه ورسوله «وما اولئك بالمؤمنين».. «بل اولئك هم الظالمون» يحق الايمان المدعى منافقين، وبحق الايمان الكائن مرتابين بعده، وبحق الايمان الباقي خائفا حيف الله ورسوله نقضا في الايمان، وهم الظالمون بحق الرسول صلى الله عليه وآله وبحق من نازعوه في حقهم، ولم يرضوا بحكم الرسول حيث يحكم بالعدل!

و«بل» هنا إعراض عن توليهم الإعراض بمثلث الأعراض التي حالت دون الطاعة لرسول الهدى، و«اولئك هم الظالمون» يعني - فقط - المعرضين، لا كل «الذين يقولون آمنا بالله والرسول واطعنا» فمنهم الصادقون الصالحون، «ثم يتولى فريق منهم» لا كلهم فلا يعمهم مثلث التنديد و«الظالمون»! لقد كانوا على علم ألا يحيف الله ورسوله عليهم ولا يجحد عن الحكم الحق فيهم، إذ لا ينحرف الرسول مع الهوى حتى ينحرف ويتردى، إن كانوا مؤمنين، ولكنهم لمرض في قلوبهم: نفاقا ام ضعف الايمان، أو ارتيابا بعد الايمان، خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله، بل ليس هذا او ذاك سببا لخوف الحيف «بل اولئك هم الظالمون»!

ف - «بل» هذه إعراض في وجهيه، إلى سبب واحد هو الظلم، سواءً أكان في قلوبهم مرض او ارتياب او خوف ام لم يكن، فحتى المشرك بالله لا يعرض عن حكم الله خوف الحيف فضلا عن الموحد فأنما هو الظلم الكامن في قلوبهم يدفعهم إلى الإعراض عن حكم الله!

ترى اليست هذه الثلاث من الظلم حتى يعرض عن سببها إلى الظلم؟ علّه يعني أعمق الظلم وأحمقه، أنهم خلوا من هذه الثلاث فيعرضون عن حكم الله ظالمين، تعديا عن طور الايمان المدعى، وانهم على واحدة من هذه الثلاث ظالمون فان الكل ظلم، فأنما الظلم لا سواه هنا وهناك يدفعهم الى الإعراض عن حكم الله! فلا حكم إلا لله أصالة وإلا لرسول الله رسالة، والتحاكم الى غير حاكم من الله تحاكم الى الطاغوت أيا كان، وإن مدعى للاسلام يرتدي رداؤه ويتحكم أمته! يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.<sup>٢</sup>

ان حَكَمَ اللهُ بحكمه فهو الوحيد البريء عن خوفا الحيف. لانه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وخلقه في ميزان عدله سواء، وليس في شرعته إلا سيادة القانون الحق دون سائر السادة، وقيادة

<sup>١</sup> . الاحزاب ٣٣ : ٦٠ .

<sup>٢</sup> . النساء ٤ : ٦٠ .

القانون الحق دون سائر القادة، ولا حماية ولا مصلحة إلا العدالة المطلقة التي لا يسطع لها إلا الله. فإذ كان الله هو العدل حقا، فالذي يحدد عن حكم الله إلى سواه هو الظالم حقا «بل اولئك هم الظالمون» وليس الله وليس رسول الله، ولا كل من يحكم بحكم الله، فإما هم المعرضون عن حكم الله! قضية الايمان الصادق الا يقدم بين يدي الله ورسوله: «يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله»<sup>١</sup> فالمقدمون بين يدي الله ورسوله هم المنافقون مسلمين كانوا أم سواهم «ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون»<sup>٢</sup> فالمنافقون كما الكافرون ملة واحدة وأما المؤمنون:

«إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»<sup>٣</sup>.

إنما السمع والطاعة بعد القول «آمنا بالله وبالرسول واطعنا» هو قاعدة الايمان وفائدته، فعند تقلب الاحوال يعرف جواهر الرجال، وعند الامتحان يكرم المرء او يهان.

فالقول «آمنا...» هو قولة الايمان صورة لفظية، وعقد القلب به هو صورته المعنوية ولما يصل الى سيرته، ف «إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم» هنا تتبين سيرة الايمان بسريره: «أن يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون» عمليا في تجربة الايمان، بعد فلاحهم في حال ومقال!

ثم لا يفوز بفلاحه هذا بعد القول: سمعا وطاعة إلا بمثلث الطاعة الخشية التقوى:

١ - «ومن يطع الله ورسوله» ٢ - «ويخش الله» ٣ - «ويتقاه» - «فاولئك هم الفائزون»!

فالخطوة الاولى هي الفلاح: شق الطرق الصعبة الملتوية الى المقصود، ثم الثانية هي الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة دنيا وعقبى، فالقول: سمعنا واطعنا إفلاح تعبيدا للطريق، وطاعة الله ورسوله وخشية الله وتقوى الله، هي اجتياز سلامة الى الخير المقصود، كما الفلاح يفلح الأرض شقا وإعدادا للبذر، ثم يبذر سلامة ويحصد، إفلاحا ففوزا تلو بعض!

وهكذا نرى آيات الإفلاح والفوز أن الثاني بعد الاول ومن مخلفاته: «ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما»<sup>٤</sup> «فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز»<sup>٥</sup> فالزحزحة عن النار إفلاح وتسوية

<sup>١</sup> . ( الحجرات ٤٩ : ١ .

<sup>٢</sup> . ( آل عمران ٣ : ٢٣ .

<sup>٣</sup> . ( النور ٢٤ : ٥١ - ٥٢ .

<sup>٤</sup> . ( النساء ٤ : ٧٣ .

<sup>٥</sup> . ( آل عمران ٣ : ١٨٥ .

إلى الجنة. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم<sup>١</sup> وعَلَّ «ذلك» هو الرضوان أم هو الكل، وكل ذلك فوز نتيجة الإفلاح. ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم<sup>٢</sup>.  
 واما الإفلاح فهو التعبيد لطريق الفوز. قد أفلح من زكاهما<sup>٣</sup> والتحلية هي بعد التزكية «فاتقوا الله يا أولي الأبواب لعلكم تفلحون»<sup>٤</sup> «وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»<sup>٥</sup>.  
 هنالك «كان» في قول المؤمنين «سمعنا وأطعنا» تضرب إلى عمق الماضي تلميحا أن ذلك قضية الإيمان بطبيعته، فالمتخلف عنه متخلف عن الإيمان الصالح مهما كان له إيمان! ثم «وإذا دعوا..» نعم دعوة احد المتنازعين، ام اي داع إلى الله، او داعى الله او الداعي إلى رسول الله، ثم الطاعة - وهي واقعتها - بعد القول «سمعنا واطعنا» ومن ثم الخشية مع الطاعة «ويخشى الله» تحكيما لرباط الطاعة، واخيرا «ويتقه» تقوى في الطاعة والخشية والخشية الطاعة، ان تستخلص في الله دون سواه، هذه الثلاث زاد فائز صالح في الطريق الفالح، اللهم اجعلنا من المفلحين الفائزين.  
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ<sup>٦</sup>.

«واقسموا بالله» مبلغ «جهد» هم في «إيمانهم» فلم يتركوا صيغة بالغة في القسم مبالغة إلا أقسموا بها: «لئن امرتهم ليخرجن» من أموالهم<sup>٧</sup> وإلى الجهاد في سبيل الله، خروجا مفروضا.  
 «قل لا تقسموا» فلا حاجة إلى إقسام بائياً من الأقسام، فيما لكم سبيل إلى تطبيقه دون إقسام، فإنهما

<sup>١</sup> . (التوبة ٩ : ٧٢).

<sup>٢</sup> . (الصف ٦١ : ١٢).

<sup>٣</sup> . (الشمس ٩١ : ٩).

<sup>٤</sup> . (المائدة ٥ : ١٠٠).

<sup>٥</sup> . (النور ٢٤ : ٣١).

<sup>٦</sup> . (النور ٢٤ : ٥٣).

<sup>٧</sup> . (الدر المنثور ٥ : ٥٤ - اخراج ابن مردويه عن ابن عباس قال: اتى قوم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله لو امرتنا ان نخرج من اموالنا لخرجنا فانزل الله «واقسموا بالله...»).

الواجب عليكم «طاعة معروفة» لدى الجميع، معروفة في الكتاب والسنة لاحتجاج في توكيدها إلى إقسام ولا في تطبيقها إلى أمر بعد أن أمرها معروف، ثم لتكن معروفة لا منكراً كما «ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول...»<sup>١</sup> ولكن طاعتكم معروفة لدينا أنها منكراً، أن تركتموها حيث لا تخرجون رغم ما تعدون، أم أتعتم على غير الوجه الذي تؤمرون، إذ لا تزيدون في الخروج إلا خبالاً ووبالاً:

«لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون. ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين. لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم بيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين»<sup>٢</sup>. فمثلت المعنى من «طاعة معروفة» هنا معنية، وما أطفها تعبيراً أمراً ناهياً ساخراً متحكماً! ف «طاعة معروفة» عن المنافقين محرمة، و«طاعة معروفة» لدى المؤمنين واجبة قدر المستطاع وإلى حد الكمال في خروج المهدي عليه السلام لحد «يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب «طاعة معروفة»»<sup>٣</sup>.

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»<sup>٤</sup>.

هنا يؤمر الرسول أن يأمر بطاعة الله - طبعاً في كتابه - وبطاعة الرسول - طبعاً في سنته وفي أحكامه الرسالية، ولم يقل «وأطيعوني» حيث لا يطرح نفسه مطرح الطاعة إلا كرسول، ويفصل طاعته عن طاعته وهما واحد، إشعاراً بأصالة الأولى ورسالة الثانية: «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله..» «فإن تولوا» عن طاعة الله أو طاعة الرسول أو طاعتها «فإنما عليه ما حمّل» من تبليغ رسالته ودلالته البالغة حسب المستطاع، ف - «ليس عليك هداهم» وصولاً إلى الحق «ان الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» وليس عليه وزرهم إن تولوا «ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء»<sup>٥</sup> «ولا تزر وازرة وزر أخرى».

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٨١).

<sup>٢</sup> . (التوبة ٩ : ٤٥).

<sup>٣</sup> . (نور الثقلين ٣ : ٦١٦ ح ٢١٣ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى عبدالله بن عجلان).

<sup>٤</sup> . (النور ٢٤ : ٥٤).

<sup>٥</sup> . (الانعام ٦ : ٥٢).

«وعليكم ما حملتم» من طاعة الله والرسول بدلالته صلى الله عليه وآله وما حملتم من أوزاركم إن عصيتم، أترى إذا تأمر على المسلمين من يعصي الله فهل يحاسب المؤمن عليهم بحسابه أو يحاسب بحسابهم؟ كلاً، فعليه ما حمل من العدل، وعليه الوزر أو ترك العدل، كما عليهم ما حملوا من طاعة في العدل ومن تخلف في الظلم، فلا يجوز الإصطبار على الإمرة الظالمة إلاً تقيّة، أو هجمة قاضية وكما أجمله الرسول صلى الله عليه وآله بلفظ الآية حين سئل: أرايت إن كان علينا أمراء من بعدك يأخذونا بالحق الذي علينا ويمنعونا الحق الذي جعله الله لنا نقاتلهم ونبغضهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم<sup>١</sup> ولقد حملت الرعية طاعة رعاتها في الحق وعصيانها في غير حق، ولكننا الرسول لا يأتي إلاً بالحق! ويقول الرسول صلى الله عليه وآله «يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ رسالة وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي»<sup>٢</sup>.

ولقد «أدى ما حمل من ائقال النبوة»<sup>٣</sup> فعلينا أن نؤدي ما حملنا من ائقال السمع والطاعة والدعوة. ولقد فصل خليفة الرسول صلى الله عليه وآله علي عليه السلام ما أجمله هو بقوله: «قد جعل الله لي عليكم حقا بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم، فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلاً جرى عليه، ولا يجري عليه إلاً جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتة على عباده، ولعدله في كلما جرت عليه صروف قضاءه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعا بما هو من المزيد أهله، وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزا لدينهم -

فليست تصلح الرعية إلاً بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلاً باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي

<sup>١</sup> ( الدر المنثور ٥ : ٥٤ - اخرج ابن جرير وابن مانع والطبراني عن علقمة بن وائل الحضرمي عن سلمة بن يزيد الجهني قال قلت يا رسول الله ارايت... وعن جابر سئل إن كان علي إمام فاجر فلقيت معه أهل ضلالة أقاتل أم لا ليس لي حبه ولا مظاهرة قال قاتل أهل الضلالة اينما وجدتهم وعلى الامام ما حمل وعليك ما حملت، وفيه أخرج البخاري في تاريخه عن وائل أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله إن كان علينا أمراء يعملون بغير طاعة الله تعالى؟ فقال: عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

<sup>٢</sup> ( نور الثقلين ٣ : ٦١٦ ح ٢١٥ عن اصول الكافي باسناد عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله... )

<sup>٣</sup> ( المصدر ح ٢١٥ في اصول الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام في خطبة طويلة في وصف النبي صلى الله عليه وآله وفيها «وآدى...» )



حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطُمع في بقاء الدولة ويُسست مطامع الأعداء -  
 وإذا غلبت الرعية واليهما أو أجحف الوالي برعيته إختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت مناهج السنن فَعْمَل بالهوى وَعَطَّلت الأحكام. وإن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يُظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنهم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لكرهته إنحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراج نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضائها، فلا تُكلموني بما تُكلم به الجبابرة ولا تحفظوا مني بما يُتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره... .

### حاكمية وحي القرآن والسنة

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ مِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا.<sup>١</sup>  
 على ضوء هذه اليتيمة المنقطعة النظير نعرف مدى حاكمية الرسول صلى الله عليه وآله بين الناس، حاكمية هي في الأغلبية الساحقة في الحقوق السياسية والجماعية والحربية أماهيه من دون الأحكامية المتعددة، حيث الحاكم في الحقل الأحكامي هو الله بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> . (النساء ٤: ١٠٥).

<sup>٢</sup> . (وقد وردت روايات بشأن نزول هذه الآية مما أوجبت التنديد الشديد المديد بالذين ارادوا الرسول صلى الله عليه وآله أن يكون للخائنين خصيماً ويجادل عن الذين يختانون أنفسهم وهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهم اولاء الذين يكسبون إثماً ثم يرمون به بريئاً ويريدون أن يضلوا الرسول بما ضلوا وهم يشاققون الرسول بعد ما تبين لهم الهدى).

فهناك إراءة ربانية لهذا الرسول صلى الله عليه وآله إضافة الى القرآنية العامة، إراءة خاصة في تأويل الأحكام الشرعية، هي له خاصة أو من علمه من خلفاءه المعصومين، وخاصة أخرى هي بسنته الثابتة غير المفارقة، وثالثة هي بما أراه الله قرآنيا ككل دلاليا او رمزيا «ولن تجد من دونه» كافة المصالح الملزمة الحيوية الإسلامية، «ملتحدا» فهو - اذا - حاكم رباني بين الناس بما أراه الله، لا رأى له من سواه. والمحور الأصيل مما يحكم به الرسول بين الناس هو الكتاب ف «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» كأصل في هذا الكتاب، وكفرع على ضوء سائر الوحي.

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله ليحكم بين الناس - كأصل - بالقرآن، كسائر الرسل بسائر الكتب، حيث كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...<sup>١</sup>

ولو أن «ما أراك الله» هي نفس «أنزلنا إليك الكتاب» لكان الصحيح الفصحح «لتحكم به بين الناس» كما «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»<sup>٢</sup> وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها...<sup>٣</sup> ذلك، وليس الحكم القضاء في الدعاوي وسائر الأحكام في مختلف الحقول، غير المنصوصة في القرآن،

---

ففي نور الثقلين ١: ٥٤٧ عن تفسير القمي في الآية كان سبب نزولها أن قوما من الأنصار من بني ابيرق اخوة ثلاث كانوا منافقين بشير ومبشر وبشر فنقبوا على عم قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا وأخرجوا طعاما كان أعدده لعياله وسيفا ودرعا فشكى قتادة ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ان قوما نقبوا على عمي وأخذوا طعاما كان أعدده لعياله ودرعا وسيفا وهم أهل بيت سوء وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يقال له لبيد بن سهل فقال بنو ابيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل فبلغ ذلك لبيدا فأخذ سيفه وخرج عليهم فقال: يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وأنتم اولى به مني وأنتم المنافقون تهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وتنسبونه إلى قريش لتبينن ذلك أو لأملأن سيفي منكم فداروه وقالوا له: ارجع يرحمك الله فإنك بريء من ذلك فمشى بنو ابيرق إلى رجل من رهطهم يقال له أسيد بن عروة وكان منطبقا بليغا فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ان قتادة بن النعمان عمد إلى اهل بيت منا أهل شرف ونسب فرماهم بالسرق واتهمهم بما ليس فيهم فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك وجاء إليه قتادة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقه وعاتبه عتابا شديدا فاغتم قتادة ورجع إلى عمه وقال: يا ليتني متُّ ولم اكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كلمني بما كرهته فقال عمه: الله المستعان، فأنزل الله في ذلك على نبيه هذه الآيات إلى «بهتاننا وإثما مبينا».

<sup>١</sup> . (البقرة ٢: ٢١٣).

<sup>٢</sup> . (ق ٥٠: ٤٥).

<sup>٣</sup> . (الشورى ٤٢: ٧).

ليست هذه مما أنزل إليه في نص الكتاب أو ظاهره، اللهم إلا في تأويله إتساعا علميا له بالأحكام، وفي سنته تفصيلاً لكافة الأحكام، وفيما أراه الله رؤية معرفية تجعله حاكما طليقا بين الناس في كل قليل وجليل، فلا يخطأ في أي حكم بيانا وتطبيقا، كما لا يخطأ في الأحكام القضائية والسياسية والحربية أممايه، مما لا نص لها في الكتاب والسنة. ولا ظاهر، إلا وحي المعنى للحروف الرمزية.

فكما «أنزلنا إليك الكتاب» هي وحيه الأصيل، كذلك «ما أراك الله» هي وحي له آخر يخلق على سائر الوحي، إذا فكل أحكامه عاصمة معصومة بما أراه الله، حتى في الأقضية الخاصة.

ف «إننا» بجمعية ربانية الصفات «أنزلنا» - «بالحق» - «إليك» - «بالحق» - «الكتاب» بالحق، فذلك الإنزال هو في مثلث الحق الثابت الذي لا حول عنه، ولماذا؟

«لتحكم بين الناس» حكما في كافة البيّنات السياسية والإقتصادية والثقافية والعقيدية والخلقية والعملية، فردية وجماعية، إزالة لكل بين وبون عن ذلك البين وبماذا؟

«ما أراك الله» وتراها إراءة بصرية؟ وليس الحكم - فضلا عن مادته - مبصرا! أم إراءة عقيدية؟ وقد كان يعتقد كل ما أنزل الله عليه وينزله قبل إنزاله!

أم عرّفك الله؟ بدلالة قرآنية، ام بيان لرموزه، وهذا هو الصحيح، وهذه من الحكمة النازلة عليه مع الكتاب: «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما»<sup>١</sup> فلا بد وأنها حكمة مع القرآن مهما كان القرآن نفسه أصل الحكمة لحد أصبح برهانا للرسول لا مرد له: «والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين»: «حكمة بالغة فما تغن النذر»<sup>٢</sup>.

ولقد كفت «ما أراك الله» برهانا ساطعا على أنه صلى الله عليه وآله ما كان ليحكم إلا بإراءة ربانية، دون الرؤية العقلية أم رؤية الشورى أممايه، إنما هي عقلية الوحي الصارم لا سواه، كما وفي عشرات من الآيات ما تعني «إن أتبع إلا ما يوحى إلي»<sup>٣</sup> «قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي»<sup>٤</sup> «قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي»<sup>٥</sup>.

وليس يعني هذه الإراءة الربانية أنه سبحانه فوض إليه أمرا من التكوين أو التشريع، اللهم إلا تفويضا في أن يحكم بما أراه الله وحيا وكما فوض الى خلفاءه المعصومين أن يحكموا بما أراهم رسول

<sup>١</sup> . (النساء ٤: ١١٣).

<sup>٢</sup> . (القمر ٥٤: ٥).

<sup>٣</sup> . (الانعام ٦: ٥٠).

<sup>٤</sup> . (الاعراف ٧: ٢٠٣).

<sup>٥</sup> . (يونس ١٠: ١٥).

الله بوحى من الله.<sup>١</sup>

لذلك «كان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صوابا من دون خطأ لأنه وحى الله وقد جرى في الأوصياء عليهم السلام». <sup>٢</sup> مهما كان الوحي اليه صلى الله عليه وآله كله حسب القرآن بين دلالة عامة، او رمز يخصه صلى الله عليه وآله. ذلك وقد أكد الله بما أمره أن «فأحكم بينهم بما أنزل الله». <sup>٣</sup> حيث يشمل بما أنزله في كتابه وما أراه الله «وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم». <sup>٤</sup> ولذلك ربط الله الإيمان به بأن يحكموه فيما شجر بينهم «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما». <sup>٥</sup> وورد في قضاءه صلى الله عليه وآله بقضائه سبحانه وتعالى: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٥٤٧ في أصول الكافي عن محمد بن سنان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام قال الله عزوجل «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام وفي تفسير البرهان ١ : ٤١٣ بسند متصل عن موسى بن أشيم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني أريد أن تجعل لي مجلسا فواعدي يوما فأتيت للميعاد فدخلت عليه فسألته عما أريد أن أسأله فبينما نحن كذلك إذ قرع رجل الباب فقال: ما ترى هذا رجل بالباب؟ فقلت جعلت فداك اما أنا فرغت من حاجتي فأذن له فدخل الرجل فجلس ثم سأله عن مسائلي بعينها لم يحزم منها شيئا فأجابه بغير ما اجابني فدخلني من ذلك ما لا يعلم إلا الله ثم خرج فلم يلبث إلا يسيرا حتى استأذن عليه آخر فاذن له فجلس ساعة فسأله عن تلك المسائل بعينها فأجابه بغير ما اجابني وأجاب الاول قبله فازددت غما حتى كدت أن أكفر ثم خرج فلم يلبث يسيرا حتى جاء ثالث فسأله عن تلك المسائل بعينها فأجابه بخلاف ما أجابنا أجمعين فأظلم علي البيت ودخلني غم شديد فلما نظر إلي ورأى ما قد دخلني ضرب بيده على منكبي ثم قال يا بن أشيم ان الله فوض إلي ابن داود ملكه فقال «هذا عطاءنا فامنن أو أمسك بغير حساب» وإن الله عز وجل فوض إلي محمد صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال «لتحكم بين الناس بما أراك الله» وإن الله فوض الينا من ذلك ما فوض إلي محمد صلى الله عليه وآله .

<sup>٢</sup> . ( المصدر في كتاب الإحتجاج عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام لأبي حنيفة: وترعم أنك صاحب رأي وكان.. لأن الله تعالى قال: لتحكم بين الناس بما أراك الله ولم يقل ذلك لغيره.

<sup>٣</sup> . ( المائدة ٥ : ٤٨ .

<sup>٤</sup> . ( المائدة ٥ : ٤٩ .

<sup>٥</sup> . ( النساء ٤ : ٦٥ .

يكون لهم الخيرة من أمرهم»<sup>١</sup>.  
أبعد هذه التصريحات يخلد بخلد مؤمن أنه كان يتبع رأى الشورى تاركاً ما أراه الله، ولم تعن  
«وشاورهم في الأمر» إلا أن يشير لهم إلى صائب الوحي بصورة الشورى دفعا لهم إلى التفكير، وإندفاعاً  
إلى ما يوحى إلى البشير النذير، لكي يعرفوه عن تفهّم، خروجاً عن الجمود والخمود وكما فصلناه على  
ضوء آيتي المشاورة والشورى.

فلقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يحكم بين الناس في كل ما يحكم بنص الوحي، وعلينا إتباعه في هكذا حكم  
وهو من الأسوة الحسنة «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر»<sup>٢</sup> -  
«قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»<sup>٣</sup> «فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله  
وكلماته واتبعوه»<sup>٤</sup>.

ذلك «ولا تكن للخائنين خصيماً» والخصيم هو المدافع عن الدعوى، بل كن مدافعاً للمحققين بما أراك  
الله الحق والمحق، والباطل والمبطل.

وإن كلا الإفراط والتفريط في الخصومة محظوران والعوان بينهما محبور ف «من بالغ في الخصومة  
اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم»<sup>٥</sup>.

#### القرآن هو المرجع الاصيل

<sup>١</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٢٦ .

<sup>٢</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٢١ .

<sup>٣</sup> . ( آل عمران ٣ : ٣١ .

<sup>٤</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٥٨ .

<sup>٥</sup> . ( نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.<sup>١</sup>  
تعني الولاية هنا - بما توحىه «هو الولي» - الولاية الخاصة الإلهية في التكوين والتدبير والتشريع أم ماذا؟ فهذه الآية أخص من الأولى، والذين اتخذوا من دونه أولياء... وقد يكون التكرار هنا توطئة لبيان مصاديق هذه الولايات الخاصة من أن الله هو المرجع في كافة الاختلافات، وأنه فاطر الأرض والسموات وليس كمثل شيء في الأفعال والذات والصفات، وأن له مقاليد الأرض والسموات يبسط ويقدر، وأنه الشارع من الدين شرائع..

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.<sup>٢</sup>  
إن الاختلاف - أيا كان ومن أي وأيان - لا مرجع فيه إلا الله، فالشيء المختلف فيه يعم كل شيء، فإن «من شيء» توحى باستغراق، و«فحكمه إلى الله» تحصر الحكم الفصل فيه في الله وتحسره عن سوى الله: «إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون»<sup>٣</sup> اللهم إلا رسول الله أو وليه الذي يحمل أمره عن الله: «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً»<sup>٤</sup> فالقاعدة في مثل الطاعة هذه هي طاعة الله، ثم الرسول وقد فصلت طاعته عن طاعته انفصال الفرع عن الأصل ووحّد هذا الفرع مع فرعه «أولي الأمر منكم» كما ووحّد ثانية في الرد إلى الرسول، ثم جمعت الثلاث في طاعة الله «إن كنتم تؤمنون بالله...»!  
فهنا تُعنى من طاعة الله طاعته في كتابه، ومن طاعة الرسول طاعته في سنته، ومن طاعة أولى الأمر طاعتهم في حمل السنة كما حُمّلوا.

وقد توحد طاعة الرسول مع الله حين تعني مطلق الطاعة: «قل أطيعوا الله والرسول...»<sup>٥</sup> ف «من يطع

<sup>١</sup> . (الشورى ٤٢ : ٩ .)

<sup>٢</sup> . (الشورى ٤٢ : ١٠ .)

<sup>٣</sup> . (يوسف ١٢ : ٤٠ .)

<sup>٤</sup> . (النساء ٤ : ٥٩ .)

<sup>٥</sup> . (كما في الآيات التالية: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا» (٥ : ٩٢) «قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم» (٤٧ : ٣٣) «واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتهم فأنما على رسولنا البلاغ المبين» (٦٤ : ١٢) «قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فأنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم» ٢٤ : ٥٤ .)

<sup>٦</sup> . (آل عمران ٣ : ٣٢ .)

الرسول فقد أطاع الله<sup>٢</sup> كما قد يوحد الحكمان: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون»<sup>٣</sup>.

والحكم في آيتنا كأضرابها يعم التكويني والتشريعي في الأولى وفي الأخرى، فكما الله هو الحاكم يوم الدنيا، كذلك هو الحاكم يوم الدين: «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون»<sup>٤</sup>. «فإن الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»<sup>٥</sup>. والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»<sup>٦</sup>. إذا فلا حكم في أي خلاف إلا لله، يستفاد متنا من كتاب الله، وهامشا وشرحا من سنة رسول الله، ثم لا حكم لسواه، حيث الرجوع فيما اختلف فيه إلى غير الله لا يزيل الخلاف، وقد يزيد خلافات على خلاف، حيث الحيطة العلمية والحكمة العالية والرحمة الواسعة خاصة بالله، وهي التي تزيل الخلافات.

فالرجوع إلى القياسات والإستحسانات أم ماذا مما لم يأمر به الله أو نهى عنه رجوع إلى آجن ماجن، كما الرجوع إلى من لا يتبني من الفقهاء في حكمه كتاب الله وسنة رسول الله رجوع إلى الطاغوت، فلا حكم إلا لله!

إن كتاب الله هو المرجع الرئيسي في أي حكم وفي أية خلافات، يُتَبَنَّى في كل شارد ووارد، يعرف به الغث عن السمين والخائن عن الأمين، فما وافق كتاب الله هو وارد وما خالفه فهو وارد.

---

<sup>١</sup> . كما في التالفة ايضا: «واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون» (٣: ١٣٢) «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا» (٢٠: ٩٠) «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه فأولئك هم الفائزون» (٢٤: ٥٢).

<sup>٢</sup> . النساء ٤: ٨.

<sup>٣</sup> . النور ٢٤: ٤٨.

<sup>٤</sup> . الزمر ٣٩: ٤٦.

<sup>٥</sup> . البقرة ٢: ١١٣.

<sup>٦</sup> . الرعد ١٣: ٤١.

<sup>٧</sup> . نور الثقلين عن تفسير القمي «وما اختلفتم فيه من شيء» من المذاهب واخترتم لانفسكم من الاديان فحكم ذلك كله الى الله يوم القيامة.

«ذالكم الله ربي» ذلك المولوي في التكوين وفي التشريع وفي كل شيء «الله» لكل شيء «ربي» حيث رباني ما لم يرب أحدا من العالمين «عليه» لا سواه «توكلت» في أموري كلها «وإليه» لا سواه «أنيب»: رجوعا إليه عما سواه، وتوكلاً عليه دون من سواه، توكلاً وإذابة في التكوين والتشريع سواء.

هذه الآية بما قبلها وما بعدها إلى الآية (١٦) تستعرض جذور الولاية الإلهية في التكوين والتشريع، وأنه لا نذ له ولا ضدَّ فيهما وفي سائر شؤون الألوهية، اللهم إلا الدعوة إلى الله فهنا الولاية الشرعية لمن يصطفيه من عباده.

فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.<sup>١</sup>

آية عديمة النظير من محكم القرآن ترجع إليها ما تشابه منه في كيان الألوهية، تستأصل كل مماثلة بين الله وسواه، في ذات او صفات او افعال، تبين خلقه عنه مباينة كينونة في ذات وصفة، وأنه باين عن خلقه وخلقه باين عنه، لا هو في خلقه ولا خلقه فيه.

فالمثل هو الشبيه ايا كان وإن بعيدا شبيها واحدا في مليارات او الأنهيات، فعالم الخلق أشباه في أشباح مهما اختلفت الصور والماهيات، حيث المادة لزامها الذاتي الترتب والتغير والحركة والزمان ايا كان وإيان، والله مجرد عن المادة والماديات فلا يشبهها في ذوات او صفات ام ماذا إلا في مقام تحبير اللغات دون الحقيقة والذات، ف «سبحان من لا يُحد ولا يوصف ليس كمثل شيء وهو السميع البصير»<sup>٢</sup> «ليس كمثل شيء».

ومن أدل الآيات على وحدوية القرآن ملتجدا وحيدا للرسول صلى الله عليه وآله قوله تعالى: .واتل ما اوحى اليك

<sup>١</sup> . الشورى ٤٢ : ١١ .

<sup>٢</sup> . نور الثقلين عن اصول الكافي سهل عن ابراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت الى الرجل عليه السلام ان من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول جسم ومنهم من يقول صورة فكتب بخطه: سبحان... اقول: هنا العجب العجيب من التفاسير الاثرية بين الفريقين، من كثرة احاديث الشيعة الإمامية حول الآية كما نذكر طرفا منها، وقلة او عدم اثر من الاحاديث حول نفي المماثلة بين الله وخلق من السنة وهذا مما يحير العقول كيف لم يرووا ولا حديثا واحدا يشابه آية نفي المثل عن الله تعالى، سبحانه وتعالى عما يصفون!

وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال له رجل: اين المعبود؟ فقال عليه السلام لا يقال له: أين؟ لأنه أين الأينية، ولا يقال له: كيف؟ لأنه كيف الكيفية، ولا يقال له: ما هو؟ لأنه خلق الماهية. سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمتة وحصرت الأبواب عند ذكر ازليته وتحيرت العقول في افلاك ملكوته.

وقال عليه السلام: اتقوا ان تمثلوا بالرب الذي لا مثل له او تشبهوه بخلقه او تلقوا عليه الأوهام او تعملوا فيه الفكر وتضربوا له الأمثال او تنعته بنعوت المخلوقين فان لمن فعل ذلك نارا.

وعن الإمام الرضا عليه السلام من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر..



من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا<sup>١</sup> فالقرآن هو الملتحّد الوحيد لرسول الهدى صلى الله عليه وآله كما الله في الوهيته: قل إني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا<sup>٢</sup> وجوابا عن سؤال: فما هو موقف الاحكام القطيعة التي لا توافق القرآن ولا تخالفه؟ أنها مستفادة للرسول من الحروف الرمزية الاربعة عشر في ٢٩ سورة، كما «اطيعوا الرسول» بعد «اطيعوا الله» مما يدل عليه.

فلا حجة في غير القرآن من دليل شيعي او سني غير القرآن العظيم وحده، دلالة او اشارة يعرفها الرسول صلى الله عليه وآله.

### علو في الارض

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ<sup>٣</sup>.  
ومهما كان مع قارون - في خروجه بزينته - أهله وهوامشه أم لم يكونوا، فالخسف حسب هذا النص خصه دونهم «فخسفنا به» قارون «وبداره» التي كان فيها - بطبيعة الحال - قسم عظيم من ثروته، فقد ابتلعت الأرض بداره، هاويا فيها بلا فئة ينصرونه من دون الله، حيث تركته وشأنه الشائن، كما هو دأب الهوامش المتملقين دائما أنهم شركاء في رغد العيش فإذا جاء البلاء فحيدي حيادة! ولا فحسب ان لم تنصره فئته، بل «وما كان من المنتصرين» يائسا عنهم، يائسا في انخسافه!  
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَّنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ<sup>٤</sup>.  
«الذين تمناوا مكانه بالأمس» وهم «الذين يريدون الحياة الدنيا» وما كانوا من الصابرين على زهرتها

<sup>١</sup> . (الكهف : ١٨ : ٢٧ .

<sup>٢</sup> . (الجن : ٧٢ : ٢٣ .

<sup>٣</sup> . (القصص : ٢٨ : ٨١ .

<sup>٤</sup> . (القصص : ٢٨ : ٨٢ .

وزهوتها، ولم يُلقُوا العظة من الذين أوتوا العلم، هم الآن - وقد رأوا كيف خسف الله به وبداره الأرض - ينتبهون قليلاً «ويكأن الله..» دون «ان الله» إذ لم يبلغوا بعدُ إلى اليقين بان الله يبسط ويقدر، ولا أنه لا يفلح الكافرون، وإنما «ويكأنه» في النفي والإثبات فهم بعدُ في سُبَات، وعلى أية حال وقفوا يحمدون الله أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس وهم يرون مصير قارون وهو رأس الزاوية! فإما الثراء هي ابتلاء قد تعقبها البلاء، فقليل هؤلاء الأثرياء الذين لا يبدلون نعمة الله كفرًا ونعمة، وكثيرهم الكافرون.

وهنا يسدل الستار على الفريقين، نقلة إلى ضابطة صارمة للناجين في هذا الميدان. **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**<sup>١</sup>. إن الدار الآخرة بالزلفى والمكانة العليا، «تلك» البعيدة المدى، العالية الصدى، الغالية الهدى «الدار الآخرة» الحسنى، حصيلة لحسنى الأولى «نجعلها» تكوينًا وتشريعًا للذين لا يريدون علوا في الأرض، أيًا كان، وحتى في منصب العدل والحكم الحق، إذ لا يريدون في ذلك الحقل إلا تحقيق الحق وإبطال الباطل، وما العلوُّ الحكمُ عندهم إلا ذريعة لذلك، وكما أشار إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام إلى نعله المخصوص قائلاً: «والله لهي أحب إليّ من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطلاً». فالعلو في الأرض لهم غير مُراد، ثم «ولا فسادا» بعلو وغير علو، والعلو ايا كان يستتبع فسادا مهما كان لأهل العدل إلا من عصم الله وهداه.

فإرادة العلو هي بطبيعة الحال من أقوى مصاديق الإفساد في الأرض ف «من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد...<sup>٢</sup>» وليس ان إرادة العلو في الأرض ممنوعة - فقط - لألد الخصام، بل وعدول المؤمنين، لأن كراسي الحكم مآزق بطبيعة الحال، وقل من ينجو منها، وقد يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه وآله قوله في الآية: «التجبر في الأرض والأخذ بغير الحق»<sup>٣</sup> و«لما دخل عليه صلى الله عليه وآله عدي بن الحاتم ألقى إليه وسادة فجلس على الأرض فقال صلى الله عليه وآله: أشهد أنك لا تبغي علوا في الأرض ولا فسادا فأسلم»<sup>٤</sup> واوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم «إني لكم نذير مبين» ألا تعلوا على الله في عباده وبلادته فان الله

<sup>١</sup> . (القصص ٢٨ : ٨٣ .)

<sup>٢</sup> . (البقرة ٢ : ٢٠٦ .)

<sup>٣</sup> . (الدر المنتور ٥ : ١٣٩ - اخرج المحاملي والديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله «تلك الدار...» قال: ...)

<sup>٤</sup> . (المصدر - اخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم قال لما دخل على النبي صلى الله عليه وآله عدي بن حاتم..)

تعالى قال لي ولكم «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»<sup>١</sup>.  
وعن وصيه وخليفته في امته علي أمير المؤمنين عليه السلام «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه ان يقول «تلك الدار الآخرة..» بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها»<sup>٢</sup>.  
فقد يعني منها انني لست من هؤلاء الذين يريدون علواً في الأرض ولا فساداً فلماذا - إذا - ثلوث النكث والمروق والفسق، فلا يصلح لولاية أمور المسلمين إلا مثلي، وكما يقول «نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدوة من ساير الناس»<sup>٣</sup>.  
أجل فقد «ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية»<sup>٤</sup> أمانى العلو في الأرض حتى للمؤمنين العدول فضلاً عن سواهم!  
وهذه الآية طليقة في التنديد بمن يريدون علواً في الأرض ايا كان، فتنوين التنكير تنكير على تلك الإرادة على أية حال، وحتى «ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها»!<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ١٤٣ في امالي الطوسي باسناده إلى ابن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام طويل: ... )

<sup>٢</sup> . ( المصدر عن نهج البلاغة عنه عليه السلام . )

<sup>٣</sup> . ( عن مجمع البيان وروى زاذان عن امير المؤمنين عليه السلام انه كان يمشي في الأسواق وهو وال ييرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع وبالبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ هذه الآية ويقول: نزلت ... )

<sup>٤</sup> . ( المصدر عن تفسير القمي حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال قال ابو عبد الله عليه السلام يا حفص! ما منزلة الدنيا من نفسي إلا بمنزلة الميتة إذا اضطرت إليها اكلت منها، يا حفص إن الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون فحلم عنهم عند اعمالهم السيئة لعلمه السابق فيهم، فلا يغرنك حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت ثم تلا قوله: تلك الدار الآخرة .. وجعل يبكي ويقول: ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية، قلت: جعلت فداك فما حد الزهد في الدنيا؟ فقال: قد حد الله عز وجل في كتابه فقال: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم .. )  
وفيه عن كتاب سعد السعود وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ان الرجل ليعجبه ... )

<sup>٥</sup> . ( المصدر ١٤٤ سلام الأعرج عن امير المؤمنين علي عليه السلام . )

فإرادة العلو في الأرض دركات أسفلها ارادة القيادة الكبرى للأمة، وأدناها إرادة الأجود من المال أو الحال، إلا أن يُبتغى مرضات الله وتحقيق شرعة الله، وكثير هؤلاء الذين يريدون علوا كذريعة «فإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد» وكما نراه على مدار الزمن الرسالي للرساليين فضلاً عن سواهم.

وفي كلمات للامام علي عليه السلام حول قيادة الأمة نبراس ينير الدرب على من يريدون صالح الحكم بلا علو في الأرض.

فحينما تجتمع عليه الأمة الحائرة المظلومة - قاصرة ومقصرة - لبياعوه يقول: «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحنة قد تنكرت واعلموا إن أحببكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا»<sup>١</sup>.

«بسظتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداكتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووُطيء الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغبر وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب»<sup>٢</sup>. «فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة، قبضت يدي فبسظتموها ونازعتكم يدي فجدبتموها»<sup>٣</sup>.

«فما راعني إلا انثيال الناس حولي كعُرف الضبع ينثالون عليّ حتى لقد وُطيء الحسنان وشُقَّ عطفای مجتمعين حولي كربيضة الغنم»<sup>٤</sup>.

«إني إلى لقاء الله لمشتاق وإلى حسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاءها وفجارها فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً والصالحين حرباً فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجُدَّ حدا في الإسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذا ابئتم وونيتم»<sup>٥</sup>. «أما والذي فلق الحبة

<sup>١</sup> . ( نهج البلاغة الخطبة ٨٨ ، ص ١٨٢ عبده .

<sup>٢</sup> . ( الخطبة ٢٢٤ ، ص ٢٤٩ .

<sup>٣</sup> . ( الخطبة ١٣٣ ، ص ٢٧ .

<sup>٤</sup> . ( الخطبة الشقشقية ١٣٣ : ٢٧ .

<sup>٥</sup> . ( الكتاب ٦٢ ، ص ١٣١ عبده .

وبرء النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كِظَّة ظالم ولا سَعَبَ مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت كأس آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»<sup>١</sup>.

«فوالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن جور إلا علي خاصة»!...  
«فقمتم بالأمر حين فشلوا، وتطلعت حين تمنعوا، ومضيت بنور الله حين وقفوا، وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا، فطرتُ بعنانها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، لم يكن لأحد في مَهْمز، ولا لقاتل في مغمز، الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه، رضينا عن الله بقضائه وسلمنا لأمره»<sup>٢</sup>.

اجل وان هؤلاء الطبيعيين لا يقوم في نفوسهم خاطر العلو في الأرض والإستعلاء بأنفسهم لذوات أنفسهم، ولا يهجم في قلوبهم الاعتزاز بأشخاصهم، فانما يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور بالله وإعلاء كلمة الله.

#### اصل الملك لله

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>٣</sup>.

آية منقطة النظير في مسرح الملك والعزة والذلة سلبا وإيجابا ننفذ فيها من مفرداتها الى جملها فجملتها، لكي نحصل على مغزاها الصالحة، ذبا عما يخيل إلى الذين في قلوبهم زيغ من طالحة بشأنها والله من وراء القصد.

«قل» أنت يا رسول الهدى كحامل الوحي الأخير، و«قل» ايها التالي للذكر الحكيم مع الرسول، قولاً باللسان والأفعال والجنان، قولاً لازماً ودعائياً في مختلف الجموع ومحتشد المكلفين الى يوم الدين.

<sup>١</sup> . ( تنمة من الخطبة الشقشقية .

<sup>٢</sup> . ( الخطبة ٣٦، ص ٨٤ - اقول: راجع كتابنا علي والحاكمون و خلفاء الرسول بين الكتاب والسنة تجد فيهما تفصيل البحث عن حق الحكم والولاية الحققة .

<sup>٣</sup> . ( آل عمران ٣ : ٢٦ .



واين ايتاءً من ايتاء، ايتاء الله لأهله تشريعياً، ثم ايتاءه لغير اهله تكوينياً بمعنى عدم منعه تسييراً، كما «الذي حاج إبراهيم في ربه ان آتاه الله الملك» وهو نمرد الطاغية في أحد وجهي الآية وهما معا معنيان.

ومن الروحي: في وجه لإبراهيم عليه السلام: «لم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك»<sup>١</sup> وبكل الوجوه: «ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً»<sup>٢</sup> فالرسالة الإلهية مُلْك، بل هي أفضلها ومن ضمنها الزمني: «اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض»<sup>٣</sup> قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي»<sup>٤</sup>.  
ذلك، وهو بين حق كما شرعه الله وقرره لأنبيائه وأوليائه، وباطل اغتصبه الذين احتلوا المناصب الروحية عن اصحابها الصالحين، فهذه خرافة مجازفة ان واقع المرجعية الدينية ليس الا بخيرة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه، فكل مرجع ديني - اذا - هو نائبه المنصوب المرضي عنده.  
فان واقع الخلافة الروحية عن الرسول صلى الله عليه وآله كان واقعا في الخلافة اغتصابا لتلك الخلافة فضلاً عن المرجعية الروحية زمن الغيبة ومن مُلِك الملك فانه من المُلِك، فكل ما يُملك يشمله المُلِك، من دولة ودولة وقيادة روحية، حقا ام باطلاً.

فقد يجتمع الإيتاء تشريعاً وتكويناً كما في الملك الحق في مثلته ام مثناه ام موحدّه كما في الصالحين. واخرى ايتاء تشريعي ولم يحصل تكوين، كالقيادة الزمنية للروحيين الصالحين حيث تحول بينها وبينهم طغات بغات، ثم لا ينصرهم في معركتهم الصاخبة المؤمنون معهم قصورا أو تقصيرا.  
وثالثة تحمل الإيتاء التكويني دون التشريعي كمن يؤتي من هذه الثلاثة ام كلها دون حق شرعي، فليس الحصول عليها تغلباً على ارادة الله وتألّباً عليها، واما هو تخلف عن شرعة الله: «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»<sup>٥</sup> وأملي لهم إن

<sup>١</sup> .( البقرة ٢: ٢٥٨ .

<sup>٢</sup> .( النساء ٤: ٥٣ .

<sup>٣</sup> .( الاعراف ٧: ١٥٨ .

<sup>٤</sup> .( ص ٣٨ : ٣٥ .

<sup>٥</sup> .( آل عمران ٣: ١٧٨ .

كيدي متين<sup>١</sup>، وكأين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها<sup>٢</sup>، وأصل الاملاء هذا من الشيطان ثم الله لا يحول بينه وبينهم فينسب اليه كما ينسب الى الشيطان وبينهما بون الرحمن والشيطان: الشيطان سول لهم وأملى لهم<sup>٣</sup>، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم. ومن الجامع بين الأولين ام والثالث: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان<sup>٤</sup>، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء<sup>٥</sup>، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث<sup>٦</sup>، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما<sup>٧</sup>.

وذلك المثلث كما هو بين حق وباطل، وبين جعل تشريعي وتكويني، كذلك هو بين شخصي - كما في أشخاص الملوك - أو جماعي - كما في بيوتات صالحة ام طالحة ام عوان بينهما. ثم «تؤتي الملك» دون «تعطي» تعميم لعطية الملك وهو الهبة الربانية في حقلي التشريع والتكوين، وإيتاءه لمن يؤتاه تكويننا في طالح الملك زنيا وروحيا، بمعنى ألا يحول دون وصول الصالحين إليهما أم إلى أحدهما، حين يحاولون بمختلف المحاولات والحيل الوصول إليه، والصالحون بمعزل عن المحاولات الصالحة لفصله عنهم وصولاً للقواد الصالحين إليه، حيث الدار العاجلة هي دار الاختيار دون اجبار، اللهم الا فيما لا تكليف فيه امّا أشبهه.

إذا فمشية الإيتاء تعم التكوينية المحلقة على صالح الملك وطالجه، والتشريعية الخاصة بصالحه. فمهما كان الملك الظالم - روحيا او زنيا - هو المتغلب على ملكه والغاصب لما في يده، ولكنه تعالى ليس بمعزل عن ايجابه وسلبه، لمكان الارادة الإلهية المحلقة على كل كائن هي قضية التوحيد الأفعالي، فقد يحاول الظالم كل محاولة له ممكنة للوصول الى حكم الله يحول بينه وبين مغزاه، ام

<sup>١</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٨٣ .

<sup>٢</sup> . ( الحج ٢٢ : ٤٨ .

<sup>٣</sup> . ( محمد ٤٧ : ٢٥ .

<sup>٤</sup> . ( البقرة ٢ : ١٠٢ .

<sup>٥</sup> . ( البقرة ٢ : ٢٥١ .

<sup>٦</sup> . ( يوسف ١٢ : ١٠١ .

<sup>٧</sup> . ( النساء ٤ : ٥٤ .



يحاول بعض المحاولات والله لا يحول بينه وبين مغزاه، وكما يراه من الحكمة العالية. وعلى أية حال ليس مالك الملك - كأصل - إلا هو، ولا يؤتية لأحد إلا من يشاءه، دون جبر ولا تفويض، فانهما تنقيص لساحته وتفويض، فله الحكم في كل الحقوق دون انعزالية تامة تفويضا، ولا ايجابية طامة جبرا، كما ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يظلمون نقيرا.

انه «مالك الملك» ايا كان من الثلاثة بين تشريع وتكوين، «توتي الملك من تشاء» منهم في صالح الحكمة الربانية امتحانا بامتهان ام سواه، بإضفاء النعم عليهم، وإقرار الأموال الدثرة عندهم، وبما ترفدهم به من بنين وحفدة، وعديد وعُدَّة، وإلزاما لمن دونهم على طاعتهم متى اجابوا داعيك واتبعوا اوامرك، وحين يعدلون عن نهج طاعتك ويفارقون سواء محجتك نزعتم منهم الملك، بان تسلبهم ملابس نعمك وتجعل أموالهم وأحوالهم، دُولتهم ودُولتهم، غنما ونفلا لغيرهم من عبادك.

ذلك - وابتاء الملك تشريعا ككل يخص الصالحين فلا انتزاع له عنهم، اللهم إلا نقلة ملك الشريعة عن قوم إلى آخرين بما بغوا وطغوا على صلاح رسلهم، كما انتقلت الشريعة الإلهية من بني اسرائيل الى بني اسماعيل، واليكم نوا من التوراة من الأصل العبراني بهذا الصدد تصديقا للقرآن العظيم:

ففي سفر التكوين (١٠: ٤٩): «لَوْءِ يَا تُورِ شَبَطِ مِيهُوداهُ وَمُحوقِقُ مِيْبِنُ رِغْلَايُو عَدِي يَا بُوءِ شِيلُوهُ وَلُوءِ بِيَقَهَتْ عَمِيْمُ أَوْ تُرِي لِنْفِنُ عِيروه...».

«لا تنهض عصى السلطنة من يهودا ولا الحكم من بين رجليه حتى يأتي شيلوه الذي يجتمع فيه كافة الأمم...».

فانتهاض السلطة من يهودا هو انتقالها من الشعب الإسرائيلي إلى غيرهم، وهو هنا «شيلوه» من غير اسرائيل، اذ لو كان منهم لما قوبل بهم في انتهاض السلطة عنهم إليه وقد يندد بهم القرآن في ادعائهم الجوفاء ان النبوة منحصرة فيهم. ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا<sup>٢</sup>. ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما<sup>٣</sup>.

وقد ورد في الأثر أن نبي الله صلى الله عليه وآله سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية وذلك بعد ما أمره ربه أن يسأله<sup>١</sup> ويروى عنه صلى الله عليه وآله ان اسم الله الذي إذا دعي به أجاب في

<sup>١</sup> . ( راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

<sup>٢</sup> . ( النساء ٤ : ٥٣ .

<sup>٣</sup> . ( النساء ٤ : ٥٤ .

<sup>٤</sup> . ( الدر المنثور ٢ : ١٤ - أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله

صلى الله عليه وآله ...

هذه الآية.<sup>٢</sup>

ذلك! فليكن الصالحون على مدار الزمن ظروفًا لتحقيق مشيئة الله أن يؤتيهم الملك تحقيقًا لشرعة الله في بلاد الله، دون تكاسل أو تعاضل في أسبابه «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى». فهناك تَوَفَّرَ شروط القيادة روحياً وزمناً فيمن يحق له أن يقود الأمة، يجب تحصيلها كفاً بينهم، وهنا محاولات عاقلة صالحة لسائر المؤمنين في سلب القيادة عن الطالحين وإيصالها إلى الصالحين، ففي نقض شرط أو نقضه هنا أو هناك الفرصة متاحة لن يتربصون بهم دوائر السوء، لكي يجعلوا القيادة - وحتى الروحية منها - فريسة لهم بكل إدغال، وهنا ناقص الشرط أو ناقضه عن تقصير متخلف عن مشيئة الله وشرعته، قائداً أو مقوداً. نجد النقص والنقض في عصور أمة الدين المعصومين إذ لم يناصرهم المؤمنون كما يجب فاحتلت مناصبهم فاختلفت موازين القيادتين روحية وزمنية. ثم نجدهما في زمن الغيبة لولي الأمر تقصيراً جاهلاً أو متجاهلاً قاحلاً من قبل الأمة، ومن قبل من تحق لهم القيادة، مهما بان البون بين القواد والمقودين في أبعاد التقصير أو القصور. ثم الملك قد يكون عزا كما يرضاه الله، وهو نفسه ذلٌ فيما لا يرضاه، كما الانحسار عن الملك ذلٌ فيما يتوجب تقلده لصالح الأمة، وهو نفسه عز إذا لزم محاذير أكثر حظراً من تركه. وكضابطة ثابتة في إتياء الملك وسواه وإيتاء العز وسواه: الخير كله بيديه والشر ليس إليه إذ: «بيدك الخير أنك على كل شيء قدير» فبيده أصل الخير في وصله وفصله، وليس الشر - إلا ممن يؤتاه مهما امضاه ربنا تحقيقاً للمحنة في دار البلية - تكويناً - وهو لا يرضاه تشرعياً. فمهما كان كلٌّ من الخير والشر من عند الله، ولكن الخير منه والشر من نفسك: «إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وارسلك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً».<sup>٣</sup> ومن خيره في تديبه أمور الكون غير المختاره كما يدبر الكائن المختار، وفي رجعة أخرى إلى الآية نقول: إن «بيدك الخير» تحلق الخير على كل أفعاله تعالى، إذنا في خير أو شر وعدمه في خير أو شر، فحين يريد فاعل تحقيق شره بما قدم له، والله يعلم ما يريد ويكرهه، فهلاً يريد الله هنا سلماً ولا إيجاباً وقد

<sup>١</sup> . المصدر أخرج ابن المنذر عن الحسن قال جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد سل ربك قل اللهم... ثم جاء جبرئيل فقال يا محمد فسل ربك قل رب ادخلني مدخل صدق... فسأل ربه بقول الله تعالى فأعطاه ذلك.

<sup>٢</sup> . المصدر أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إسم الله..

<sup>٣</sup> . النساء ٤: ٧٩.

حرّمه؟ وهذا انعزال عن الربوبية! ام يريد سلبا والشرير يحقق شره رغم إرادة الله؟ وهذا تغلب على إرادة الله! أم يريد ايجابا بعد ما اراده الشرير وقدم له ما أمكنه؟ وهذا هو الإيتاء الرباني لما حرّمه تشريعا، فلو أنه أراد سلبه اضطر الشرير الى تركه وخرجت حياة التكليف عن دور الإمتحان، فهذه الإرادة الربانية - إذا - خيرٌ وليست شرا.

نعم في دوران الأمر بين إرادة السلب والايجاب في الشر قضية الحكمة الربانية تقديم الأهم على المهم، فان كانت إرادة السلب اهم قدّمت على الايجاب كما في نار ابراهيم، وإن كانت إرادة الإيجاب أهم قدمت على إرادة السلب كما في الأكثرية الساحقة من الشرور الشخصية، فانما يريد الله السلب في الشرور الجماعية التي فيها استئصال الحق باهله عن بكرته كما في قصة ابراهيم. ولا يعني «الخير كله بيدك والشر ليس اليك» انه لا يريد الشر وان كانت ارادته خيرا، وانما هو الشر الذي هو يسببه دوغما اختيار لأهله.

وفيما يسد عن الشر رغم توفر مقدماته الاختيارية، فقد يجازى الشرير حيث لم يكتف بالنية، فقد قدم ماله فيه امكانية، فليعاقب بما قدم مهما خف عقابه اذ لم يحصل شره!. اجل «بيدك الخير» فليس منه الا الخير مهما كان عندنا شرا وإيلاما، فقد يمنع عن سلطة شريرة رغم توفر شروطها حفاظا على الأهم في صالح الحكمة الربانية، ام لا يمنع تحريرا لاختيار السوء واملاء لصاحبه، وآخر لآخرين قدموا له ام لم يقصروا، فكل الأفعال الشريرة لها واجهة شر هي شرارة الفاعل بعقيدته ونيته وعمليته، وواجهة خير هي تحقيق الاختيار وتعذيب المختار بسوءه واملاءه ومن ثم ابلاء الآخرين.

وقد يأتي الشر خيرا مما في تركه كما قد يأتي الخير شرا مما في تركه، ف «لا يسئل عما يفعل وهم يسألون».

«تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»<sup>١</sup>.

آية الإيلاج هذه ونظائرها في سائر القرآن هي من أدلة كروية الأرض، فليست الآفاق لوقت واحد ليلاً ولا نهاراً، بل هي تقسم إلى ليل بساعاته ونهار بساعاته وهما يتداخلان حسب مختلف الفصول كما يصلح في الحكمة العالية الربانية.

وهذه عبارة عبيرة لابقة لمحة عن كروية الأرض، ان ما ينقصه من النهار يزيده في الليل وما ينقصه من الليل يزيده في النهار، ولفظ الإيلاج هو ابلغ الالفاظ تعبيرا عن ذلك التناقص لأنه يفيد ادخال كل واحد منهما في الآخر بلطيف الممازجة وشديد الملابس فيصبح جزءً من الليل نهاراً وآخر من النهار ليلاً.

ذلك - وكما الإخراج للحي من الميت وللميت من الحي فاعلية حكيمة أخرى هي الأخرى من صالح التدبير.

وآية ثانية في متعاكس الإيلاج تشريع السماح في المعاقبة بالمثل: «ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به

<sup>١</sup> .( آل عمران ٣ : ٢٧ .

ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور. ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير<sup>١</sup> تمثيلاً للتشريع العدل بالتكوين العدل، اذ يولج ليل العذاب في نهار الحياة الظالمة، كما يولج نهار العذاب في ليل الحياة المظلمة. وثالثة تمثيلاً للخلق والبعث بمتعاكس الإيلاج: «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير. لم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى وان الله بما تعملون خبير»<sup>٢</sup>.

فكما انه يولج الليل في النهار، كذلك يولج ليل الموت في نهار الحياة، وكما انه يولج النهار في الليل كذلك يولج نهار الحياة في ليل الممات، ف «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة!» إذا فمتعاكس الإيلاج ينعكس - بطبيعة الحال - على واقع الحياة بعد الموت آجلاً، كما هو في واقع التشريع قبل الموت عاجلاً.

ذلك - وكما في اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي - كشریطة تدار طول الحياة - برهان لا مرد له على امكانية الاخراج الأول بعد الموت كما قبله، كامكانية الاخراج الثاني واقعا ملموسا في عاجل الحياة.

«ذلك وكما يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر»<sup>٣</sup>.

#### ولاية مطلقة شرعية للنبي على المؤمنين

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

<sup>١</sup> . ( الحج ٢٢ : ٦١ .

<sup>٢</sup> . ( لقمان ٣١ : ٢٩ .

<sup>٣</sup> . ( الدر المنثور ٢ : ١٥ - أخرج ابن مردويه من طريق عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلق الله آدم عليه السلام أخرج ذريته فقبض قبضة يمينه فقال: هؤلاء أهل الجنة ولا أبالي وقبض بالأخرى قبضة فجاء فيها كل رديء فقال: هؤلاء أهل النار ولا أبالي فخلط بعضهم ببعض فيخرج الكافر من المؤمن ويخرج المؤمن من الكافر فذلك قوله: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي».

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا<sup>١</sup>.  
آية وحيدة منقطة النظر، تختص ولاية عامة للنبي على المؤمنين، وامومة ازواجه لهم، واولوية اولي  
الارحام بعضهم ببعض من المؤمنين والمهاجرين، تضم في هذا المثلث أحكاما عدة جماعية سياسية  
واقصادية أمأهيه؟

«ولاية النبي على المؤمنين؟»

«النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم» ضابطة مطلقة عامة ثابتة بين محور النبوة وشعاع الايمان، فهو  
«اولى» قضية النبوة، وهم مولى عليهم قضية الايمان، وهو صلى الله عليه وآله لا ينفصل عن ولايته ولا تنفصل  
عنه حيث النبوة لزامها، ولكن الايمان قد ينفصل عمن يتنحى عن ولايته صلى الله عليه وآله وكما يروى عنه  
صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس  
اجمعين»!.

وليست هي مجرد ولاية الحب - مهما كان اصلاً - من قضيتها، بل هي مطلق الولاية في مطلق الأمور  
على مطلق الأنفس المؤمنة، عقيدة وحباً وقولاً وعملاً أماذا من متطلبات الولاية والأولوية المطلقة!  
إن هذه النبوة القمة تقتضي اولوية قمة، كما الايمان بدرجاته يقتضي- تحمل تلك الاولوية حسب  
الامكانيات.

اترى ان هذه الولاية المحمدية قد تُعْمي مصالح الامة جماعات وفرادى لمصلحة ذاتية شخصية؟ كلاً!  
ف - «النبي اولى» وليس «محمد اولى» فهذه الاولوية ليست إلا لتخدم مصالح الرسالة والمرسل إليهم  
جماعات وفرادى، دون مصلحة لشخص محمد صلى الله عليه وآله فانما مصالح رسولية ورسالية ومصالح  
للمؤمنين، وكلها لصالح الايمان فصالح المؤمنين، جماعات وفرادى، تصد عنهم اخطاءً عامدة وجاهلة  
وتصلح الامة كما يرضاها الله حيث الولاية اسلامياً هي أن يلي كل قوي من المسلمين ضعيفهم، عقيدياً  
او علمياً او خلقياً او عملياً، اماذا من مختلف الوهبات والكسيبات جبرانا لنقصه، فقد يكون المسلم  
ولياً من جهة ومولى عليه من اخرى، كالأعلم بالنسبة للاتقى، فانه وليه علمياً، ولكنه مولى عليه  
عملياً، وهلم جرا في سائر الاولياء والمولى عليهم حسب مختلف الولايات.  
والسمة العامة فيها كلها صالح المولى عليه حيث لا يقدر على تحصيله كما يجب او يُحب، وهذه  
الموالات هي في صيغة اخرى تعاون على البر والتقوى، وضد الشر والطغوى، تعليماً اوامراً ونهياً او  
حملاً على فعل المعروف وترك المنكر.

فليس للولي أياً كان أن يتأمر على المولى عليه لصالحه الشخصي بسند انه قوي، اللهم إلا لصالح المولى  
عليه افراداً وجماعات، والى السلطة الزمنية على ضوء الاسلام حيث الزعيم خادم الرعية، دون ان  
يبتغي من الزعامة مالاً او منالاً إلا اصلاح الرعية، وتوجيههم الى الأصلح فالاصلح في مختلف الحقول  
الاسلامية المحلقة على كافة المصالح.

<sup>١</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٦ .

الولايات العشر في الاسلام:

هنالك ولايات خاصة واخرى عامة على المؤمنين كلها تنحو منحى مصالحهم معنوية ومادية، جماعية وفردية، ك « ١ - الولاية على الايتام ٢ - والسفهاء ٣ - والمجانين ٤ - والزوجات ٥ - والأولاد ٦ - والمتخلفين ٧ - وعلى كل الأمة من الفقهاء ٨ - وائمة الدين ٩ - والرسول ١٠ - وولاية الله!.

كل هذه ولايات على من لا يحيط علما او طاقة على مصالحه، فالولاية المعصومة من بينها مطلقة وكما تدل عليه آية الولاية: «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»<sup>٢</sup> وآية الطاعة: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم»<sup>٣</sup>.

والولايات الاخرى محدودة بحدود المصالح، وللمولى عليهم الاعتراض والإستيضاح إن اشتبه عليهم أمرها او تأكدوا من خلاف المصلحة فيها.

ثم تشترك هذه العشر- في الولاية الشرعية على اختلاف درجاتها وضيقها وسعتها، وتخصّ ولاية المعصومين الشرعية بانها مطلقة محكمة دوغما استثناء لانها تمثل ولاية النبي الممثلة لولاية من الله، واما الولاية التشريعية والتكوينية فهما من اختصاصات الربوبية، فهو - فقط - المشرع لا سواه «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك...وهو المكون خلقا وتدييرا لا سواه» الا له الخق والأمر...».

ولاية النبي صلى الله عليه وآله هي الاولوية بانفس المؤمنين، فتحتمل الدرجة الثانية من العشر- بعد الولاية الإلهية، فهو أولى بكل مؤمن من نفسه واهله وماله وعرضه، وكلها لصالح النبوة والمولى عليهم على ضوء النبوة العادلة، ولاية عامة تشمل رسم مناهج الحياة الفردية والجماعية في كافة حقولها، فلا ولاية مع ولايته، حيث لا تساوى ولا تسامى، اذ تحلّق بعد ولاية الله على الولايات كلها، على سائر الاولياء والمولى عليهم كلهم.

قد تتحقق الولاية دون اولوية بانفس المولى عليهم منهم كما في سائر الولايات الخاصة والعامة، إلا للمحمدين من العترة المعصومين عليهم السلام<sup>٤</sup> ولكننا الآية تثبت ولاية الاولوية له صلى الله عليه وآله بأنفس المؤمنين

<sup>١</sup> . (دليله قوله تعالى «المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر».

<sup>٢</sup> . (المائدة ٥ : ٥٥ .

<sup>٣</sup> . (النساء ٤ : ٥٩ .

<sup>٤</sup> . ( الدر المنثور ٥ : ١٨٢ اخرج ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت عليا فنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله تغير وقال يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «من كنت مولاه فعلي مولاه» اقول وأنها كلمة متواترة عنه صلى الله عليه وآله .

مما يقدّمه صلى الله عليه وآله - عليهم في النواميس الخمسة كلها: نفسا وعقلا ودينا وعرضا ومالاً لصالح النبوة والموتى عليهم، فصالح النبوة هو صالحهم جميعاً.  
فكما يجب على كل مؤمن الحفاظ على هذه النواميس حبا لها وإيماناً، كذلك عليهم - وباحرى - الحفاظ عليها من النبي صلى الله عليه وآله تقديماً لجانبه على جوانبهم، وكما الله جعله أولى بهم وعلى حد قوله صلى الله عليه وآله: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة»<sup>١</sup> ومن هذه الولاية قوله صلى الله عليه وآله: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فإيما رجل مات وترك ديناً فإيماً ومن ترك مالاً فلورثته»<sup>٢</sup> فليس له من أموال المؤمنين شيئاً إلا ما تلزمه المصلحة الجماهيرية الإسلامية كالضرائب المستقيمة وغير المستقيمة وهي كلها لصالح المسلمين.

ثم اذ يأمر الرسول صلى الله عليه وآله بشيء فلا تخلّف عنه نَظرة الإذن من غيره وليا وسواه كما كان في غزوة تبوك<sup>٣</sup> ومن خلفيات هذه الولاية الاولية المطلقة أن لو رأى النبي صلى الله عليه وآله صالحاً في تطبيق زوجته تطلقها دون استئمارك، ام صالحاً في حَمَلِك على عمل دون أجر او بأجر، ام دفع مال بمقابل او دون مقابل، اماذا مما لك فيه الولاية نفساً واهلاً ومالاً وحالاً، فهو أولى بك منك، فضلاً عما ليس لك فيه ولاية، فهو فيه أولى منك في بعدين اثنين، ولكنه لم يعهد عنه امثال هذه التصرفات خلافاً لمراضات المؤمنين - اللهم إلا بإرشاد امرا او نهياً - وان كانت له بسناد ولايته المطلقة المخوّلة.  
ثم الولاية الجماهيرية هي له اخرى من الشخصية، حيث النبوة تنحو منحى الجماهير قبل الأشخاص، وهي لصالح مجموعة الامة قبل افرادها، وصالح الجماعة في ولاية وسواها أهم من صالح الأفراد.  
ومن اهم الاهداف في ضابطة الولاية هنا هي الإمرة<sup>٤</sup> ألاّ يخلد بخلد المؤمنين فرادى وجماعات

<sup>١</sup> . المصدر اخرج البخاري وابن جرير وابن حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ...  
اقرأوا ان شئتم «النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم...».

<sup>٢</sup> . المصدر اخرج احمد وابو داود وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله: ... ومثله ذيل الحديث السابق  
ولكن فيه: من ترك مالاً فلعصيته...

<sup>٣</sup> . في المجمع وروي ان النبي صلى الله عليه وآله لما اراد غزوة تبوك وامر الناس بالخروج قال قوم: نستأذن آبائنا  
وامهاتنا فنزلت هذه الآية.

<sup>٤</sup> . نور الثقلين ٤: ٢٣٨ عن علل الشرايع باسناده الى عبد الرحمن لقصير عن ابي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل «النبي أولى...» فيمن نزلت هذه الآية قال: نزلت في الإمرة ان هذه الآية جرت في الحسين بن علي عليه السلام وفي ولد الحسين فنحن أولى بالامر ویرسول الله صلى الله عليه وآله من المؤمنين والمهاجرين، قلت: لولد جعفر فيها نصيب؟ فقال: لا - فعددت عليه بطون عبد المطلب كل ذلك يقول: لا - ونسيت ولد الحسن فدخلت عليه بعد ذلك فقلت: هل لولد الحسن عليه السلام فيها نصيب؟ فقال: لا يا ابا عبد الرحمن ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا.

التقديم او التقدم بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله في اي امرٍ من امورهم حتى وان شاورهم مصلحيا كما أمره الله، فالأمر أمره والرأي رأيه، لان الإمرة الشاملة على المؤمنين هي إمرته. فلو رأى المؤمنون باجمعهم صلوحا في أمر من حرب او صلح أماذا؟ ورأى الرسول خلافهم ف «النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم» فلا لهم او عليهم إلا ما يراه دونهم. ولقد جرت هذه الإمرة النبوية في الأئمة الاثني عشر بدليل الكتاب والسنة وعلى حد قول باقر العلوم عليه السلام «ما لمحمدي نصيب غيرنا» فهم لا سواهم «اولي الامر منكم» الذين افترض الله طاعتهم بإمرتهم بعده وبعد رسوله: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم...» ولقد احتل حديث خلافة الإمرة النبوية في علي عليه السلام يوم الغدير، قمة التواتر بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم<sup>١</sup> وكذلك حديث التهنية من الشيخين في قولهما لعلي عليه السلام: «بخ بخ لك يا علي اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة<sup>٢</sup> تلَو ما قال النبي صلى الله عليه وآله: الست اولى بكم من

---

ورواه مثله عنه في الكافي وروايات اهل البيت في ذلك بعديد اسماء اولى الامر متواترة. ومن ذلك ما رواه القمي باسناد متصل عن سليم بن قيس قال سمعت عبدالله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية انا والحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن سلمة واسامة بن زيد فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انا اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم اخي علي بن ابي طالب اولى بالمؤمنين من انفسهم فاذا استشهد فالحسن بن علي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم ابني الحسين من بعده اولى بالمؤمنين من انفسهم وستدركه يا حسين ثم تكلمة اثنى عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال عبدالله بن جعفر واستشهدت الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وابي ذر والمقداد وذكروا لي انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله.

<sup>١</sup> .) اخرج العلامة الأميني في الغدير نزول آية التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في علي بن ابي طالب عليه السلام عن ثالثين مصدرا من اخواننا وان رواة الغدير من الصحابة (١٢٠) صحابيا ومن التابعين (٨٤) وان طبقات الرواة في حديث الغدير من ائمة الحديث وحفاظه والاساتذة (٢٦٠) نسمة والمؤلفون فيه (٢٦) راجع علي والحاكمون ص ٣٤ وخلفاء الرسول بين الكتاب والسنة.

<sup>٢</sup> .) قد روى حديث التهنية فيمن رواه الحافظ ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابي شيبه عن البراء بن عازب واحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٢٨١ عنه والحافظ ابو العباس الشيباني عنه والحافظ ابو يعلى الموصلي عنه والحافظ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٣: ٤٢٨ عن ابن عباس وابن عازب والحافظ احمد بن عقدة الكوفي في كتاب الولاية بالاسناد عن سعد بن ابي وقاص والحافظ ابو عبدالله المرزباني البغدادي عن ابي سعيد الخدري والحافظ علي بن عمر الدارقطني البغدادي والحافظ ابو عبدالله بن بطة الحنبلي عن البراء بن عازب والقاضي ابو بكر الباقلاني البغدادي في التمهيد في اصول الدين ص ١٧١ والحافظ ابو سعيد الخركوشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه والحافظ احمد بن مردويه الاصبهاني في تفسيره عن ابي سعيد الخدري وابو اسحاق الثعلبي في



انفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه» مما يبرهن جليا أن مكانته من المؤمنين هي نفس مكانة الرسول إلا في الوحي والنبوة.

فإمرة الاولوية والولاية المطلقة تختص بمحمد صلى الله عليه وآله والمحمدين من عترته المعصومين عليهم السلام، ثم لا إمرة إلا للشورى صالحة بين المؤمنين، سواء أكانت إمرة الفتوى او الزعامة السياسية، فانها مهما كانت عليمة تقية عادلة فليست معصومة عن أخطاء، ولانها لا بد منها في استمرارية الإمرة الاسلامية، فلا بد من كونها في نطاق الشورى بين الرعيلى الأعلى حتى تقل اخطاءها وكما يروي الامام علي عن الرسول صلى الله عليه وآله «اجمعوا العابد من امتي فاجعلوا امركم شورى»<sup>1</sup>.  
والشورى في امور المؤمنين هي من سبل الايمان فتركها قطع لسبيل الايمان حسب درجات الامر الذي يتطلب الشورى.

فولاية الفقهاء محدودة لمكان اخطاءهم قاصرة او مقصرة، فان ثبت للمولى - عليهم وهم غير الفقهاء - أنهم اخطأوا في شيء حرم اتباعهم فيه إلا ان يقنعوهم، وان لم يثبت فاتباعهم مفروض.  
ثم لا ولاية لفقهاء على فقهاء مهما اختلفت درجاتهم، ففي الاحكام الشرعية كل فقيه ولي نفسه ومن ليس بفقهاء كما وفي المسائل السياسية الزمنية فليس ولي امر الامة زمن الغيبة إلا الشورى من الرعيلى الاعلى، بل وفي الاحكام الشرعية المرجع هو الشورى دون الأشخاص إلا أأ يوجد من يصلح لهذه الولاية على ضوء القرآن.

«وازواجه امهاتهم».. تنزيل لازواجه منزلة امهاتهم، لولا آية حجابهن عنهم «وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب...» بل وزيادة على سائر المؤمنات كما هنا وفي خضوع القول «ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» ولولا امكانية تسريحهن «واسرحن سراحا جميلاً» حيث تنفصل عنهن الامومة بانفصال الزوجية، كذلك آيات الميراث لولا هذه الآيات لكان التنزيل يعم من امومتهم كونهن محارم لهم فلا حجاب، فانما الامومة هنا في وجوب حرمتهم كما الامهات، وحرمة نكاحهن كما والنص يخصها بالذكر «ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداء» فالامومة

---

تفسيره والحافظ ابن السمان الرازي عن ابن عازب والحافظ ابو بكر البيهقي عنه والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن ابي هريرة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ والفقهاء ابو الحسن بن المغازلي في المناقب وابو محمد احمد العاصمي في زين الفتى والحافظ ابو سعد السمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب وحجة الاسلام ابو حامد الغزالي في سر العالمين ص ٩ وابو الفتح الاشعري الشهرستاني في الملل والنحل وخطب الخطباء الخوارزمي الحنفي في مناقبه ص ٩٤ وابو الفرج بن الجوزي الحنبلي عن ابن عازب وفخر الدين الرازي الشافعي في تفسيره الكبير ٣: ٦٣٦ وأبو السعادات مجد الدين بن الاثير الشيباني في النهاية ٤: ٢٤٦ وابو الفتح محمد بن علي النظري في الخصائص العلوية عن ابي هريرة وعز الدين ابو الحسن بن الاثير الشيباني عن ابن عازب وثلاثون آخرون اما زاد ذكرنا أسمائهم في علي والحاكمون ص ٨١ - ٨٢.

<sup>1</sup> (. راجع آية الشورى في سورتها ج ٢٤ - ٢٥ من: الفرقان.

النسبية لها وجوب حرمتها وحرمة زواجها ومحرميتها وميراثها، وللرضاعية كل ذلك إلا ميراثها، وللرسالية ليست إلا الاوليان وهما الاولان فيما يسبق الى الازهان من اختصاصات الامومات، فاما المحرمية فتتفيتها آية الحجاب: «واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب» ثم الميراث تنفيه الآية في ذيلها: «واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» ولولاها ايضا في نفيهما لم يشملهما التنزيل، حيث التنزيل لا يوازي الحقيقة، ولان المقام مقام فائق الاحترام فلا يناسبه الميراث والتكشيف. فلان التنزيل خص في مورد الحجاب ولم يذكر له موردٌ إلا حرمة نكاحهن فقد انقص عراه وانحل فتله الشامل لكافة اختصاصات الامومة واختص بالمنصوص منها وحرمتهن كما الامهات، فهذه امومة شعورية وشعارية وراء حرمة زواجهن!

وهل إن ذلك التنزيل مستمرٌ مهما تخلفن عن ساحة الرسالة، بل وعارضنها واصبحن محادات لها؟ لان هذه الأمومة ذات علاقتين، علاقة بالرسول اذ يتأذى ان تُؤذي ازواجه ويُنكحن، وعلاقة بهن اذ هن من حرمت الرسول صلى الله عليه وآله فانطلاقهن عن ساحة الرسالة بفاحشة مبينة تتهدم تلك الساحة المباركة فلا يتأذى اذا من ان ينكحن بعده ولا ألا يحترمن كامهات، اذا ففي انطلاقهن هذا سماحٌ لطلاقهن.

وقد يروى عن القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: ان الله تقديس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الأمهات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابا الحسن إن هذا الشريف باق لهن ما من الله على الطاعة فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليه فأطلق لها في الأزواج واسقطها من تشرف الامهات ومن شرف امومة المؤمنين!<sup>1</sup>

وكان حقا له أن يسقط حقه بطلاقهن عن هذا الشرف فيما يضيع حقه في اولويته على المؤمنين بالخروج على امير المؤمنين ومثيله في اولويته تلك في سُدته العليا وإمرته المنصوصة عليهم. ترى إذا كانت ازواجه امهاتهم أليس - اذا - هو اباهم في اصل الحرمة الوالدية فلماذا «النبي اولى...» وليس «ابوهم»؟<sup>2</sup>

إن أولويته المطلقة اولى من الأبوية، فانه اولى من ابويهم ومن كل ولي لديهم! فهو الأب الأول للمؤمنين وولده الامة درجات اعلاها علي عليه السلام، فهو الاب الثاني للامة وكما سائر الائمة عليهم السلام ومن

---

<sup>1</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ٣٣٨ ح ١٧ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبدالله القمي عن الحجّة القائم عليه السلام حديث طويل وفيه: قلت: فاخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فرض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه الى امير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام: ان الله تقديس اسمه ...

<sup>2</sup> . ( في الدر المنثور ٥ : ١٨٣ اخرج عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة انهم قرأوا الآية باضافة «وهو اب لهم» اقول: وهو معروض عرض الحائط لكونه خلاف المتواتر الموجود من القرآن وان «النبي اولى بالمؤمنين» تعني فوق الابوة فلا حاجة الى ذكرها وليس مثله الا مثل القائل «محمد رسول الله وهو مؤمن»!

ثم سائر الآباء، وقد صح عنه صلى الله عليه وآله «انا وعلي ابوا هذه الامة»<sup>١</sup> ولانه اولى بالمؤمنين من انفسهم» كما النبي صلى الله عليه وآله وعلى حد قوله صلى الله عليه وآله «فوالله اني لأولى الناس بالناس»<sup>٢</sup>.  
 «... وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيًّا كَمَنْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا»<sup>٣</sup>.

هنا تلميحة ان قد مضى ردح من الزمن يتوارث فيه المسلمون بالايان والهجرة، ذلك ولما تستقر الدولة الاسلامية، فقد آخى الرسول صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والانصار، وكان هذا الإخاء صلة عريقة فريدة في تأريخ التكافل العقائدي لحدّ قام مقام قرابة الدم، وارتفع فيه المدّ الشعوري الى ذروة عالية، وقد اخذ مأخذ الجدّ، قائماً مقام قرابة الدم او زاد، ولقد كان ذلك الإخاء العميق ضروريا بادي ذي بدءٍ حفاظا على هذه النشأة الوليدة الإيمانية، وتماسكه بقوة صارمة في تلك الظروف الإستثنائية، وحتى تقوم الدولة على سوقها فتزول الضرورة الوقتية من ذلك الإخاء القائم مقام الدم، فيبقى وراء التوارث كأشد ما كان على طول الخط.

فلما استتب امر الدولة واستقرت في مختلف حقولها الجماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية، عاد النظام الحقوقي الاسلامي في التوارث بين اولى الارحام إلى حالته التي «كان ذلك في الكتاب مسطورا».

اولوية النبي صلى الله عليه وآله بالمؤمنين من انفسهم وفي المحمديين من اولي امره عليهم السلام، دائبة ثابتة بشاكلتها المعصومة في فترة الرسالة والإمامة، ومن ثم في الشورى من الرعيلى الاعلى في العابد من الامة بشاكلة غير معصومة.

وامومة ازواجه باقية ما لم يتخلفن عما عليهن، فبانطلاقهن عنه سماح الطلاق لصاحب الإمرة بعده

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ٢٣٨ ح ١٨ في كتاب علل الشرايع باسناده الى علي بن الحسن بن فضال عن ابيه قال: سألت ابا الحسن عليه السلام فقلت له: لم كني النبي صلى الله عليه وآله بابي قاسم؟ فقال: لانه كان له ابن يقال له قاسم فكني به قال قلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فهل تراني اهلاً للزيادة؟ فقال: نعم اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: انا وعلي ابوا هذه الامة؟ قلت: بلى قال: اما علمت ان عليا عليه السلام قاسم الجنة والنار؟ قلت: بلى - قال: فقيل له ابوالقاسم لا ابو القسيم الجنة والنار فقلت: وما معنى ذلك؟ فقال: ان شفقة النبي صلى الله عليه وآله على امته كشفقة الاءاء على الاولاد وفضل امته علي عليه السلام ومن بعده شفقة علي عليهم كشفقته صلى الله عليه وآله لانه وصيه وخليفته والامام بعده فلذلك قال عليه السلام انا وعلي ابوا هذه الامة وصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر فقال: من ترك ديننا او ضياعا فعليّ واليّ ومن ترك مالاً فلورثته فصار بذلك اولى من ابائهم وامهاتهم وصار اولى بهم منهم بانفسهم وكذلك امير المؤمنين عليه السلام بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله .

<sup>٢</sup> . ( نهج البلاغة من كلام له عليه السلام .

<sup>٣</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٦ .

وكما في طلاقه صلى الله عليه وآله نفسه.

والاخوة المورثة باقية ردحا حتى تستتب امر الدولة ويقر قرارها.  
ثم لهذه الآية واجهتان: خاصة قد تعني الاولوية في إمرة الرسول صلى الله عليه وآله بعده، فأولوا ارحامه بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من سائر المؤمنين من الأنصار والمهاجرين.  
فهناك اولويتان اثنتان، أولاهما اولوية ذوي ارحامه صلى الله عليه وآله من سائر المهاجرين والانصار، والآخرى الاولوية بين ارحامه انفسهم، فعلي اولى من آل عباس، والحسنان اولى من سائر ولد الامام، وولد الحسين عليه السلام اولى من ولد الحسن، وزين العابدين اولى من سائر ولد الحسين، ومن ثم سائر الائمة عليهم السلام حتى القائم المهدي عليه السلام اولوية بالانتصاب، وكما الرسول صلى الله عليه وآله منتصب في اوليائه بالمؤمنين من انفسهم، كل ذلك بوحى من الله «كان ذلك في الكتاب مسطورا» وعله ام الكتاب او اللوح المحفوظ اماذا من كتاب الله<sup>١</sup>.

١ . لقد مضى شطر من الاحاديث في آية «اولوا الارحام» واليكم شطرا آخر، ففي تفسير البرهان ٣: ٢٩١ ح ٢ عن الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: لا تعود الامامة في اخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام ابدا انما جرت من علي بن الحسين عليه السلام كما قال الله «اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» فلا تكون بعد علي بن الحسين الا في الاعقاب واعقاب الاعقاب.

وفيه ح ١٣ - ابن بابويه باسناده عن عبد الاعلى بن اعين قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله خص عليا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وما يصيبه له فاقر الحسن والحسين عليهما السلام له بذلك ثم وصية للحسن وتسليم الحسين للحسن عليه السلام ذلك حتى افضى الامر للحسين عليه السلام لا ينازعه فيه احد له من السابقة مثل ما له واستحقها علي بن الحسين يقول الله عز وجل «اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» فلا تكون بعد علي بن الحسين عليه السلام الا في الاعقاب واعقاب.

وفيه ح ١٤ عنه باسناده عن ثابت الشمالي عن علي بن الحسين عليه السلام عن ابيه عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: فينا نزلت هذه الآية «اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» وفيها نزلت هذه الآية «وجعلها كلمة باقية في عقبه» والامامة في عقب الحسين عليه السلام الى يوم القيامة...».

وفيه ح ١٥ عنه باسناده عن اسماعيل بن عبد الله قال قال الحسين بن علي عليه السلام: لما أنزل الله تبارك وتعالى لي هذه الآية «اولوا الارحام...» سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن تأويلها فقال: والله ما يعني بها غيركم وانتم اولوا الارحام فاذا مت فابوك علي اولى بي وبمكاني فاذا مضى ابوك فاخوك الحسن عليه السلام فاذا مضى الحسن فانت اولى به فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ومن بعدي؟ قال: ابنك علي اولى بك من بعدك فاذا مضى فابنه محمد اولى به فاذا مضى محمد فابنه جعفر اولى به من بعده وبمكانه فاذا مضى جعفر فابنه موسى اولى به من بعده فاذا مضى موسى فابنه علي اولى به من بعده فاذا مضى علي فابنه محمد اولى به من بعده فاذا مضى محمد فابنه علي اولى به من بعده فاذا مضى علي فابنه الحسن اولى من بعده فاذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك فهذه الائمة التسعة من صلبك اعطاهم الله علمي وفهمي طينتهم من طينتي ما لقوم يؤذوني فيهم لا اتالهم الله شفاعتي، اقول: وتأويل آية اولى الارحام بذلك بالغ حد التواتر وفيما نقلناه الكفاية كنموذج.

ومن ثم تنتقل الاولوية بالرحم عن عنوانها المشير بعد الإمرة المعصومة، الى الاولوية بالشورى، وأولوية الشورى في إمرة السياسة والفتوى، ف «اولوا الارحام» عنوان مشير في الإمرة المعصومة المنتصبة حيث الرحم - فقط - ليس ليختص بنفسه الإمرة إلا للأصلحية المنضمة إليه وهي الأصلية، ثم هي في الميراث عنوان للحكم بالاولوية فيه حيث الرحم وقربه هو موضوع الحكم لكونه الرحم، وهو في إمرة الشورى عوان بين الاشارة والموضوعية، اشارة الى الاقربين الى أهل بيت الرسالة علما وتقوىً ارحاما وغير ارحام، وهي بنفسها الموضوعية حيث الاقربيه إليهم في روحية الرحم هي موضوع الاصلحية في الإمرة.

ف «اولوا الارحام» تعني اولي ارحام النبي صلى الله عليه وآله نسبيا وروحيا، ثم اولي ارحامه روحيا، ومن ثم اولي ارحام المؤمنين نسبيا، تجمع هذه الثلاث وتعنيها، قضية المناسبة في ادب اللفظ وحذب المعنى!. ترى اذ تعني الآية فيما تعنيه الاولوية بالإمرة بين اولي ارحام الرسول صلى الله عليه وآله فلماذا «اولي ببعض» لا «من بعض»؟ لانها تعني اولويات عدة هذه منها فلذوي ارحام الرسول صلى الله عليه وآله اولوية الإمرة من غيرهم، ومن بينهم انفسهم، وكذلك الاولوية في الميراث بين اولي الارحام ككل من المؤمنين والمهاجرين نسخا للتوارث بالاخوة الايمانية والهجرة، ومن بينهم انفسهم الاقرب فالاقرب.

ف - «اولي ببعض من..» هنا تعني اولوية في الامرة عكس ما كان «النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم» انهم اولي بالنبي في امرته بعده من غيرهم، وبعضهم اولي ببعض في ميراث الإمرة من غيرهم، فعلي اولي بالنبي صلى الله عليه وآله من غيره كما الحسنان اولي بعلي من غيرهما وهلم جرا الى قائمهم، اولوية ذات بعدين، ممن سوى اولي الارحام، وممن سواهم بينهم، الأقرب فالاقرب فيما يحملون من معنى الرسالة وحقيقتها.

فللاولوية واجهتان: خاصة تخص اولي ارحام النبي صلى الله عليه وآله بينهم انفسهم ومن سواهم، وعامة تعم اولي الارحام كلهم في اولوية الميراث تعني تفاضلاً بينهم وبين من سواهم من المؤمنين والمهاجرين نسخا للتوارث بالأخوة، وتفاضلاً بينهم انفسهم بالقریب والأقرب، فانهم طبقات لا ترث كل تالية مع وجود السابقة، ضابطة عامة صارمة في كل توارث.

إذا فالميراث فرضا وردا يختص بالأقرب رحماً، فكما لا نصيب لتاليه من فرضه كذلك مما زاد، فان ترك بنتا من الطبقة الاولى لا سواها، اخذت نصفه بالفرض: «وان كانت واحدة فلها النصف» ورد الباقي اليها لآية «اولوا الارحام» فانها مطلقة في الميراث، وليس لسائر الطبقات معها ولا للعصبة حق من زائد الفرض، حيث البنت اولي بابيها ممن بعدها لانها أقرب، واذا كان ذا فرض ليس معه اي وارث

---

وفي ملحقات الاحقاق ٣: ٤١٨ ذكر نزولها في علي وائمة اهل البيت جماعة من ائمة الحديث منهم الترمذي في مناقب مرتضوي ٦٢ نقل اتفاق المفسرين على نزولها في علي لانه الذي كان مؤمنا ومهاجرا وابن عمه ومنهم ابن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة ٩٥.

من طبقاته فله المال كله فرضا وردا.<sup>١</sup>  
 «... مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي «إِلَّا» استثناء فقط عن اولوية الميراث و«اوليائكم» تعم ولاية القرابة والمحبة والرقية، و«معروفا» يخص الثلث وما دونه بدليل آيات الوصية بالثلث، ومما يدل على مثلث الولاية: «وإذا حضر القسمة اولوا القربي واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً».<sup>٣٢</sup>  
 و«كان ذلك» قد يعني هذه الثلث كلها، مما يدل على ان الوراثة بالإخاء كانت مؤقتة في ربح من بداية الدولة الاسلامية مصلحة.

وهل خصت فاطمة الصديقة عن آية «اولوا الارحام» فكان سائر المؤمنين اولى منها بفدك وغير فدك ام لم تكن هي من اولي ارحام الرسول صلى الله عليه وآله؟ ام - أنها ولا سمح الله - كانت كافرة لا ترث ابوها؟ سلوا الخليفة ابا بكر وزميله عمر عن هذه المسألة تسمعون الحديث المختلق «نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة» ثم سلوها تجيبكم بآيات الارث، ردا لحديث الخليفة الى كتاب الله وضربا عليه عرض الحائط لمخالفة الكتاب في خطبتها.

وقد نقلها ائمة الحديث بما لا نكير عليه!<sup>٤</sup>  
 «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ- ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا»<sup>٥</sup>  
 ميثاق واحد مطرد يشمل كافة «النبين» فانه جمع محلى باللام يفيد استغراق مدخوله، و«ميثاقهم» يوحي باختصاصه بهم لا يعدوهم الى سواهم من نبي او مرسل غير نبي حيث «النبين» هم اولوا النبوة والرفعة بين المرسلين فضلاً عن من دونهم من نبي لم يرسل!

<sup>١</sup> . في الكافي باسناده عن حنان قال قلت لابي عبدالله عليه السلام اي شيء للموالى؟ فقال: ليس لهم من الميراث الا ما قال الله عز وجل «إلا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفاً».

<sup>٢</sup> . النساء ٤ : ٨ .

<sup>٣</sup> . في احاديث متظافرة أن عليا عليه السلام اعطى الميراث كله لخالة دون المولى او بيت المال اذا كانت وحدها ليس معها وارث غيرها.

<sup>٤</sup> . ومنهم احمد بن ابي طاهر البغدادي في بلاغات النساء ١٤ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٤ : ٧٨ و ٩٢ وعمر رضا كحالة في اعلام النساء ٣ : ١٢٠٨ وابو بكر الجوهري في كتابه على ما في تظلم الزهراء ٣٨ .

<sup>٥</sup> . الاحزاب ٣٣ : ٧ - ٨ .

فلو كان الميثاق لعامة المرسلين لكان «من المرسلين» ام ولعامة من يوحى اليهم وان لم يرسلوا لكان «النبئين» ام لعامة الصديقين او الصادقين لكانوا هم ام اولاء ولكنه «من النبيين».

هنا ميثاق منهم يعمهم، لامر ما يهمهم كلهم في هامة النبوة، وفي أخرى ميثاق آخر منهم كلهم ليمانهم ونصرتهم لآخرهم مبعثا واولهم ميثاقا: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم...»<sup>١</sup>.

### مثلث الولاية المنحصرة

(١)

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ<sup>٢</sup>.

هذه الآية هي من عداد الآيات البينات التي يُستدل بها على الولاية الرسالية للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله فإن خلافته المعصومة وولايته إستمرارية للرسالة القدسية المحمدية

صلى الله عليه وآله .

ونحن في هذا التفسير لسنا لنفسر الآيات بالصيغة المذهبية الخاصة تحميلاً على القرآن ما لا يتحملة، إنما نستنبط من القرآن بصورة مجردة ما يعنيه، وافق مذهبنا أم خالفه في أي حقل من حقول المعرفة القرآنية.

هنا «إنما» تحصر الولاية المعنية من «وليكم» والمخاطبون هم كل المرسل إليهم في هذه الرسالة السامية، فولاية الله معلومة أنها طليقة الولاية تكوينية وتشريعية وشرعية، وولاية الرسول هي الولاية الطليقة الشرعية حسب ما تحدده آيات ولايته صلى الله عليه وآله ك «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم...»<sup>٣</sup> واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم<sup>٤</sup>، وما أشبه، فليست له ولاية تكوينية ولا تشريعية

<sup>١</sup> . (آل عمران ٣ : ٨١ .

<sup>٢</sup> . (المائدة ٥ : ٥٥ - ٥٦ .

<sup>٣</sup> . (الاحزاب ٣٣ : ٦ .

<sup>٤</sup> . (النساء ٤ : ٥٩ .

لاختصاصهما بساحة الربوبية القدسية.

وأما «الذين آمنوا» فتراهم كل المؤمنين المأمورين - فيمن أمروا - بهذه الولاية؟ وكيف يوالي المؤمن نفسه إلا حبا لنفسه هو طبيعة الحال لحد محبور، ولا يحتاج إلى امر وتحريض، بل الأوامر تترى على حدٍ يحدد تلك المحبة بما ليس من المحذور، إضافة إلى أن مواصفة أهل الولاية هنا بـ «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» لا تختص هذه الولاية المنحصرة بهؤلاء الموصوفين، فالمؤمن الأعراف الأتقى ممن يؤتي الزكاة راكعا إن لم تتفق له هذه الزكاة فزكى ساجدا أم قائما أم في غير صلاة، هو خارج عن هذه الولاية المنحصرة التي تضاهي ولاية الرسول صلى الله عليه وآله أو تساويها!

من هنا نتبين صراحة أن ليست لهذه المواصفات موضوعية تأهل منحصرة لهذه الولاية، فلتكن من العناوين المشيرة إلى شخص خاص أو أشخاص خصوص هم من أهل هذه الولاية الخاصة لا - فقط - لصلاتهم وزكاتهم حالة الركوع، بل لصلاحية أخرى كصلاح الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكشف عنها النقاب هنا صراحة، وقد نعرف أنها صلاحية تتلو الرسالة لحد يتحمل صاحبها ولاية الرسالة.

إن الولاية العامة بين المؤمنين بالنسبة لبعضهم البعض تحملها أمثال: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»<sup>١</sup> وهي ولاية المحبة والمناصرة، ومن قضاياهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية الشرعية بينها - وهي لمدراء الشريعة - ليست ولاية مطلقة.

أما الولاية الخاصة وهي الشرعية المطلقة فهي محصورة في الرسول صلى الله عليه وآله بعد الله، ثم الذين يحملون رسالة العصمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم الخلفاء المعصومون عليهم السلام.

فلننظر في ذلك العنوان المشير في آيتنا أنه إلى من يشير، بعدما نعرف أن المشار إليه هو من المخصوصين بولاية العصمة، غير المنطبقة على أحد من الأمة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وآله إلا المتفق بينهم على أنه لم يخطأ ولن.

إنه حسب متواتر الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل بيته عليهم السلام هو الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده المعصومين عليهم السلام في التأويل.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> . ( الانفال ٨ : ٧١ .

<sup>٢</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٦٤٣ في أصول الكافي بسند متصل عن ابي عبد الله عليه السلام في هذه الآية قال: إنما يعني أولى بكم وأحق بكم وبأمركم من انفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني عليا وأولاده الأئمة عليهم السلام الى يوم القيامة ثم وصفهم الله عز وجل فقال: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» وكان أمير المؤمنين في صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راكع وعليه حلة قيمتها الف دينار وكان النبي صلى الله عليه وآله اعطاه إياها وكان النجاشي اهداها له في رسائل فقال: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدق على مسكين فطرح الحلة اليه وآوى بيده أن احملها فأنزل الله عز وجل في هذه الآية وصيره نعمة اولاده بنعمته وكل من بلغ من أولاده مبلغ الامامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون والسائل الذي سأل امير المؤمنين عليه السلام من الملائكة والذين يسألون الائمة من أولاده يكونون من الملائكة.



وفيه ٦٤٦ عن زرارة عن ابي جعفر عليهما السلام في الآية يعني الأئمة منا، اقول: وقد تواترت الرواية عنهم عليهم السلام أن المعني من «الذين آمنوا» هم الأئمة عليهم السلام كلهم.

١. الدر المنثور ٣: ٢٩٣ - اخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي عليه السلام بخاتمه وهو راعع فقال النبي صلى الله عليه وآله للسائل من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع فأنزل الله «إنما وليكم الله». وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، واخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال وقف بعلي سائل وهو راعع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» واخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه مثله عن سلمة بن كهيل ومجاهد، وفيه أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اتى عبد الله بن سلام ورهط معه من اهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وآله عند الظهر فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ان بيوتنا قاصية لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد وان قومنا لما رأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة وأقسموا أن لا يخالطونا ولا يؤاكلونا فشق ذلك علينا فبينما هم يشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما وليكم الله». ونودي بالصلاة صلاة الظهر وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم، قال: من؟ قال: ذاك الرجل القائم، قال: علي أي حال أعطاك؟ قال: وهو راعع، قال: وذاك علي بن أبي طالب فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك وهو يقول: «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» وفيه أخرج الطبراني وابن مردويه وابونعيم عن ابي رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم يوحى إليه فإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أبيت عليها فأوقظ النبي صلى الله عليه وآله وخفت أن يكون يوحى إليه فاضطجعت بين الحية وبين النبي صلى الله عليه وآله لئن كان منها سوءٌ كان في دونه فمكث ساعة فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول: «إنما وليكم الله». الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه وهياً لعلي بفضل الله إياه.

ذلك وقد اخرج المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في ملحقات إحقاق الحق ج ٢: ٣٩٩: ٤٠٨ نزول هذه الآية في الإمام علي عليه السلام عن واحد وثلاثين مصدراً قائلين أن هذه ما حضرتنا من المصادر وهناك شيء كثير مما ليس عندنا، والمصادر المذكورة كالتالية:

رواه جامع الأصول ٩: ٤٧٨ عن الجامع بن الصحاح الست للشيخ ابي الحسن رزين بن معاوية بن عمار العيدي الأندلسي السرقسطي، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ٨٨ والألوسي في روح المعاني ٦: ١٤٩ قائلين: وغالب الأخباريين على أنها نزلت في علي (كرم الله وجهه)، والشوكاني في فتح القدير ٣: ٥٠ وابن حيان في البحر المحيط ٣: ٥١٣ والواحدى النيسابوري في أسباب النزول ١٤٨ والسيوطي في لباب النقول ٩٠ وابن الجوزي في التذكرة ١٨ والتعليبي مسندا الى ابي ذر الغفاري خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي قائم يصلي ومعه خاتم، وفي المسجد سائل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هل اعطاك أحد شيئا؟ فقال: نعم ذلك المصلي هذا الخاتم وهو راعع فكبر رسول الله

فليست هذه الولاية - المختصة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بالذين آمنوا هنا - تشمل كل المؤمنين، ولا كل هؤلاء الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون، فقد يروى أن عمر بن الخطاب قال: والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راکع لينزل فيّ ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل.<sup>١</sup> ذلك! ولا تقبل هذه الولاية الخاصة من معاني الولاية العامة إلا الأولى، حيث المحبة والمناصرة هما ولاية عامة بين المؤمنين ككل.

ولماذا هنا «الذين آمنوا» بصيغة عامة والقصد إلى شخص خاص أم أشخاص خصوص؟ حيث القصد جمع خاص هم في القمة العليا من الإيمان وهم ولاة الأمر المعصومون الإثنى عشر - بعد النبي

---

صلى الله عليه وآله ونزل جبرائيل عليه السلام يتلوا هذه الآية فقال حسان بن ثابت:

من ذا بخاتمه تصدق راکعاً وأسرها في نفسه أسراراً

من كان بات على فراش محمد ومحمد أسرى يوم الغار

من كان في القرآن سمي مؤمنافي تسع آيات تلين غزاراً

والشبلنجي في نور الأبصار ١٠٥ وفي كتاب المباهلة نقلاً عن كتاب كفاية الطالب للكنجي الشافعي ١٠٦ و ١٢٢

نزول الآية في علي عليه السلام ومن قوله فيه: هكذا ذكره حافظ العراقي في مناقبه وتابعه الخوارزمي ورواه الحافظ

محدث الشام بطريقتين والبيضاوي في انوار التنزيل ١٢٠ والطبري في التفسير ٦: ١٦٥ والخطيب البغدادي في تفسيره

١: ٤٧٥ والنسفي المطبوع بهامش تفسير الخازن ١: ٤٨٤ والقندوزي الحنفي في ينيبيع المودة ١: ١١٤ والزمخشري

في الكشف ١: ٣٤٧ قائلاً: فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على

لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينا لو امثل ثوابه ولينبه ان سجية المؤمنين

يجب ان تكون على مثل هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم امر لا يقبل التأخير

وهم في الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها، وابن حجر العسقلاني في الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشف

٥٦ وفخر الدين الرازي في تفسيره ١٢: ٢٦ ومنهم السيد رشيد رضا في المنار ٦: ٤٤٢ ونظام الدين النيسابوري

الأعرج في تفسيره بهامش تفسير الطبري ٦: ١٤٥ واسماعيل بن كثير في تفسيره الشهير ٢: ٧١ وابن بطريق في

العمدة ٥٩ وأبو بكر الرازي في احكام القرآن ٣: ٥٤٣ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦: ٢٢١ والشيخ اسعد بن

ابراهيم بن الحسن الأربلي في الأربعين حديثاً والترمذي في مناقب المرتضوي.

اقول: هذا طرف من أقوال اخواننا من محدثين ومفسرين وسائر المؤلفين، واما من طرق اصحابنا فكثير كثير نشير الى

طرف منها يسير في طيات البحث عن الآية.

<sup>١</sup> .( نور الثقلين ١: ٦٤٧ في امالي الصدوق عن ابي جعفر عليهما السلام في سرد القصة الى أن قال: فكبر النبي

صلى الله عليه وآله وكبر اهل المسجد فقال النبي صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام وليكم بعدي، قالوا: رضينا بالله ربنا

وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن ابي طالب عليه السلام ولياً فأنزل الله عزّ وجلّ: «ومن يتول الله ورسوله والذين

آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» فروي عن عمر بن الخطاب: ..

صلى الله عليه وآله، ولأن الحاضر منهم لم يكن إلا علي عليه السلام معداً للولاية بعده صلى الله عليه وآله لذلك أشير إليه بذلك العنوان المشير: «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون» ولكي يعرف منهم أولهم بذلك النص الجلي والحث العلي، كما وأن إيتاء الزكاة حال الركوع دليل باهر لا حَوْلَ عنه على مدى سماحته وحنانه للفقراء لحد لا ينسأهم في معراج ربه، نفسية عليّة عظيمة تجمع بين كامل الإتجاه إلى الله وكافل الرعاية لعباد الله، وهي مقام جمع الجمع الخاص بالخصوص من عباد الله، حيث يجمع في حِضنه كافة المعصومين الرساليين.

ذلك، وكما أنه ترغيب لرعاية السائلين وإجابتهم في كافة الأحوال حتى الصلاة التي لا مدخل فيها لغير الله.

فالداخلون في هذه الولاية المثلثة - الموحدة في أصلها، المتعددة في فصلها - أولئك هم حزب الله الغالبون «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» فلأن «وهم الراکعون» كعنوان مشير دلت على المعنيين من هذه الولاية الخاصة، فلا تنكر هنا، إكتفاءً بـ «الذين آمنوا» تدليلاً على أن حَمَلَة هذه الولاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله هم جمع أشير إلى أولهم ولمّا يأت الآخرون.

فالقول إن وقوع الآية بعد آية النهي عن ولاية اليهود والنصارى قد تحوّل تلك الولاية إلى عامتها بين عامة المؤمنين، معاكسة للولاية المحظورة بالولاية المحبورة، إنه مردودٌ أولاً بأن السياق - إن كان - ليس ليعارض النص المقيّد للولاية هنا بغير النصرة والمحبة، وأن وقوع هذه بعد تلك في ترتيب التأليف لا يدل على أنها واقعة بعدها - كذلك - في ترتيب التنزيل فالتلاحق في المعنى.

ذلك، والولاية المنهي عنها في السابقة تعم سائر الولاية إلى ولاية السلطة، بل هي المقصودة العليا من سلبية الولاية، فإن ولاية الحب هنا منفية بقضية الإيمان، وولاية النصرة هي عوان بينهما.

هذا، وحتى إن كانت هذه الآية نازلة بعد الناهية عن ولاية الكفار، فقد أريد بهذه الولاية خصوص السلطة والأولوية الحفيظة على كيان المؤمنين كيلا يتفلتوا إلى الكفار في أية ولاية، حيث السلطة المعصومة المستمرة منذ الرسول صلى الله عليه وآله إلى ما بعد إرتحاله هي العاصمة عن أمثال هذه الفلتات المدمرة المزمجرة الهدامة لصرح الإيمان فردياً وجماعياً.

فالمؤمنون - طول التاريخ - هم بحاجة إلى تحزب صامد دفعا عن كل سلطة كافرة عليهم و«من يتول الله ورسوله والذين آمنوا» هكذا «فإن حزب الله هم الغالبون» على سائر الأحزاب التي ليست فيها ولاية الله الموحدة المثلثة، وذكر «وليكم» هناك «ومن يتول» هنا مرة واحدة، دليل وحدة هذه الولاية المثلثة الزوايا.

ذلك، وكما القول إن لفظ الجمع لا يناسب عناية الفرد منه وهنا «الذين آمنوا...» فكيف تعني شخصاً واحداً علياً عليه السلام أم سواه، وقد قدمنا وجهاً له وكما نجد جموعاً في القرآن عني منها الفرد بحسب المصداق كآية المباهلة في «أنفسنا وأنفسكم ونساءنا ونساءكم» وتسرون إليهم بالمودة<sup>١</sup> والقصد إلى حاضر مصداقها وهو حاطب بن أبي بلتعة في مكاتبتة قريشا، ويقولون لئن رجعنا إلى

<sup>١</sup> . الممتحنة ٦٠ : ١ .

المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل<sup>١</sup> والقائل هو عبدالله بن أبي سلول، ويقولون نخشى أن تصيبنا دائرة. كما مضت قريبا والقصد - حسب ما في أسباب النزول - هو القائل نفسه. ذلك، ومن السر في جمعية التعبير هنا وهناك أن القصد في الكل هو إعطاء حكم كلي مهما كان حاضر المصداق واحدا، وحيث المعنى من هذه الولاية الخاصة هم جميع المعصومين عليهم السلام، فقد كان من المفروض عنايتهم بصيغة الجمع، مهما كان العنوان المشير له مصداقا واحدا اتفق النقل عليه أنه هو علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ولو كان التعبير بصيغة الجمع في أمثال هذه الموارد خلاف اللغة أو الفصاحة - وليس - فكيف اتفق أهل النقل على نقله دون أي نقد من القدامى، اللهم إلا شذاذ من المتأخرين والمتحذلقين المتذوقين بذوقية المذهبية والعصبية العمياء!.

وهكذا قيلت لهم إن الصدقة بالخاتم لا تسمى زكاة؟ والزكاة في مصطلح القرآن هي كل ما يُنفق في سبيل الله حالاً ومالاً، فرضاً أو ندباً وأفضلها ندبها في أهم حالات الصلاة، منها الركوع الممكّن فيها إيتاء الزكّات.

فالزكاة بصورة طليقة هي ما تزكي الحال والمال، تزكي الفرد والمجتمع، تزكي القلب والقالب، وقد جمعها كلها هذه الزكاة الموثّاة في ركوع الصلاة كما وكيفاً وحالة وهالةً قدسية. ذلك كله في نصوص البيان ونصوع العيان، ولكي لا يخفى على الخفافيش والمؤولين تلك الولاية الخاصة، يؤمر الرسول صلى الله عليه وآله بتبليغها يوم الغدير وقد بلغ بصراح القول: «ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله..»<sup>٢</sup> وقد مضى شطر شطير غزير من البحث عنها على ضوء آية تكميل الدين وإتمام النعمة

<sup>١</sup> . المنافقون ٦٣ : ٨ .

<sup>٢</sup> . نور الثقلين ١ : ٦٤٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: فأنتدكم الله عزّ وجلّ اتعلمون حيث نزلت «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وحيث نزلت «ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة» قال الناس يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه خاصة في بعض المؤمنين ام عامة لجميعهم؟ فأمر الله عزّ وجلّ نبيه صلى الله عليه وآله ان يعلمهم ولاة أمرهم وان يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكّاتهم وصومهم وحجهم فنصّبني للناس بغدير خم ثم خطب فقال: ايها الناس ان الله ارسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت ان الناس يفتتنون بها فأوعدني لأبلغنها أو ليعذبني ثم أمر فنودي الصلاة جامعة ثم خطب الناس فقال: ايها الناس اتعلمون ان الله عزّ وجلّ مولاي ومولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قم يا علي فقمتم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه... فقام سلمان فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولاء كماذا؟ فقال صلى الله عليه وآله: ولاء كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه فأنزل الله تبارك وتعالى: «اليوم اكملت لكم..» وكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: الله اكبر تمام نبوتي وتمام ديني دين الله عزّ وجلّ وولاية علي بعدي فقام أبو بكر وعمر فقالا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآيات خاصة في علي عليه السلام فقال:

ويأتي شطر آخر على ضوء آية التبليغ<sup>١</sup>. وفي رجعة أخرى إلى الآية فقد نجد «وليكم» دون «أولياءكم» تعني ولاية واحدة ثم «الله» معه «رسوله والذين آمنوا» هم حملة هذه الولاية الواحدة المنحصرة فيهم بـ «إنما» وحيث لا يصح الحصر لولاية المحبة والنصرة فيهم، فإنما هي ولاية الأولوية بالأنفس والأموال، فقد نتبين أنها هيه مهمما كانت ولاية الله هي الأولى الأصيلة المفضية إلى الآخرين، والمزيدة على ولايتهم في التكوين والتشريع وسائر الولايات الربانية.

فلو كانت الولاية المشتركة هنا مختلفة المعنى في المشتركين لكان المفروض إما «أولياءكم» أن تفرد الولاية لله ثم للآخرين تأمينا عن اللبس في معناها والمقام مقام الحصر. فما أفصحه تعبيراً وأبلغه تفسيراً أفراد الولاية بالذكر ثم عطف الرسول والذين آمنوا به دون فصل، وليست عناية غير ولاية الله للآخرين إلا ثلماً في صرح الفصاحة وفتاً في عضد البلاغة. ومن الإحتضار بعد الإيأس عن تلك الاحتمالات المختلفة المتخلفة عن شؤون الفصاحة والبلاغة، القول إن «وهم راعون» لا يعني غاية الخضوع والتسليم لله، حيث الركوع في مصطلح القرآن والسنة هو الهيئة الخاصة لركن خاص من الصلاة، ولا يعبر عن غاية الخضوع والتسليم إلا بها أم بالسجود حيث هو في وجه عام غاية الخضوع.

ثم «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا» هنا هم «الذين آمنوا» كما هناك، فهم المعهودون في آية الولاية، «فإن حزب الله» وهم المتولون لله والآخرين «هم الغالبون» على كافة الأحزاب المتخلفة عن هذه الولاية الخاصة المنحصرة المفروضة على حزب الله. ذلك، فكل خبر أو نظر يخالف المعنى الظاهر من هذه الآية معروض عرض الحائط<sup>١</sup>.

---

بلى خاصة فيه وفي اوصيائي الى يوم القيامة قالوا يا رسول الله بينهم لنا، قال صلى الله عليه وآله: علي اخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في امتي وولي كل مؤمن بعدي ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي، قالوا: اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت ولم نحفظه كله وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا فقال علي عليه السلام صدقتم ليس كل الناس يتساوون في الحفظ. وفيه في اصول الكافي بسند متصل عن احمد بن عيسى قال حدثني جعفر بن محمد عن جده عليهم السلام في قوله عز وجل «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها» قال عليه السلام: لما نزلت «إنما وليكم الله ورسوله..» اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: ان كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرنا وان آمننا فان هذا ذل حين يسلط علينا ابن ابي طالب فقالوا: قد علمنا ان محمدا صلى الله عليه وآله صادق فيما يقول ولكننا نتولاه ولا نطيع عليا فيما امرنا، قال: فنزلت هذه الآية «يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها» يعرفون ولاية علي عليه السلام واكثرهم الكافرون بالولاية.

<sup>١</sup> . في تفسير الفرقان وخلفاء الرسول بين الكتاب والسنة، وعلي والحاكمون.

١) . في الاحتجاج للطبرسي في رسالته ابي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليه السلام الى اهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض قال: اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون وعلى تصديق ما انزل الله مهتدون لقول النبي صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي على ضلالة فأخبر ان ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضا هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون ولا ما قاله المعاندون من ابطال حكم الكتاب واتباع احكام الأحاديث المزورة والروايات المزخرقة واتباع الأهواء المردئة المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوقفنا للصلاة ويهدينا إلى الرشاد، ثم قال: فاذا شهد الكتاب بصدق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمة عارضته بحديث من هذه الأحاديث المزورة فصارت بانكارها ودفعها الكتاب ضلالاً، وأصح خبر مما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اني مخلف فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله صلى الله عليه وآله: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» وجدنا شواهد هذا الحديث نصا في كتاب الله مثل قوله: «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» ثم اتفقت روايات العلماء في ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام انه تصدق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له وانزل الآية فيه ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من اصحابه بهذه اللفظة «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وقوله صلى الله عليه وآله: علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم بعدي» وقوله صلى الله عليه وآله: حين استخلفه على المدينة فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فعلمنا ان الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار وتحقيق هذه الشواهد فيلزم الأمة الإقرار بها إذا كانت هذه الأخبار وافقت القرآن فلما وجدنا ذلك موافقا لكتاب الله ووجدنا كتاب الله موافقا لهذه الأخبار وعليها دليلاً، كان الاقتداء فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد وفيه عن علي امير المؤمنين عليه السلام قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وآله هل بقي لربك علينا بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفترضه فنذكر فتسكن انفسنا إلى انه لم يبق غيره؟ فأنزل الله في ذلك «قل انما اعظكم بواحدة» يعني الولاية فانزل الله «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا..» وليس بين الأمة خلاف انه لم يؤت الزكاة يومئذ وهو راع غير رجل واحد...

وعن تفسير الثعلبي بسند متصل عن عباية بن الربيعي قال حدثنا عبد الله بن عباس وهو جالس بشفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذ أقبل رجل معتم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وقال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له ابن عباس سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البديري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صممتا ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول: علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده الى السماء وقال: اللهم اشهداني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان ينتخم فيها فأقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن

فقيلة البعض من المتعصين<sup>١</sup> إن نزول الآية في علي مختلق لإجماع العلماء على أنه من الموضوعات، إنها قيلة عليّة خانقة مختلقة من مختلق، فالعين العوراء لا ترى إلا عوجا والرجل العوجاء لا تعرج معراجا.

كقيلة الآخر بعد تصديق متواتر الحديث على نزولها في علي عليه السلام حيث يترجرج ويتممجمج في لجج غامرة من حجاجه الثمان اللجاج ولم يفضح بعد إلا نفسه، ولا يرجى من إمام المشككين إلا هذا<sup>٢</sup> وهؤلاء هم المضطربون كالأرشية في الطوى البعيدة، بعيدة عن الصراط المستقيم والحجج البالغة، فأولئك هم من حزب الشيطان «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون». ولا بد أن يرأس حزب الله أعرفهم بالله وأعبدهم لله، وهو الرسول صلى الله عليه وآله في زمنه ومن «الذين آمنوا...» الخصوص هنا بعده صلى الله عليه وآله ولي بعد ولي يلي أمور حزب الله في مجمع القيادتين الروحية والزمنية، وكما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «والذين آمنوا» في هذا الموضوع هم المؤمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.<sup>٣</sup>

---

موسى سألك فقال: «رب اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي. واجعل لي وزيرا من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. واشركه في أمري» فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: «سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا، اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم وشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي عليا اشدد به ظهري، قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما اقرأ؟ قال: اقرأ: «انما وليكم الله...».

<sup>١</sup> .) هو المسمى بشيخ الاسلام ابن تيمية.

<sup>٢</sup> .) هو الفخر الرازي في تفسيره ١٢: ٢٦: ٣١ فانه بعد سرد الحجج على نزول الآية في علي عليه السلام يذكر حججا ثمان على عدم دلالة الآية على امامة علي عليه السلام بعد النبي ومنها الحجة السادسة: هب أنها دالة على امامة علي لكنها توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الامامة في الحال لأن عليا ما كان نافذ التصرف في الأمة حال حياة الرسول صلى الله عليه وآله فلم يبق إلا أن تحمل الآية على أنها تدل على أن عليا سيصير اماما بعد ذلك ومتى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه ونحمله على امامته بعد ابي بكر وعمر وعثمان إذ ليس في الآية ما يدل على تعيين الوقت أقول: هذه الولاية على اية حال ولاية منحصرة فيمن نزلت الآية بحقه أيا كان وقت حصولها، فكيف شاركه فيها متقدما عليه هؤلاء الثلاثة، فهل ان الله نسيهم فاختص الولاية بشخص واحد ام هم نسوا ربهم فنسبوه الى الجهل والنسيان؟!.

<sup>٣</sup> .) نور الثقلين ١: ٦٤٨ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: والهداية هي الولاية كما قال الله عز وجل «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون» وفيه في كتاب التوحيد باسناده الى عمار ابي اليقظان عن ابي عبد الله عليه السلام قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذًا

وهكذا يعد الله حزب الله، المواليين له وللرسول وللهؤلاء المؤمنين الخصوص، البالغين أعلى قمم الإيمان بعد الرسول، يعد من يتولاهم الإنطلاق من كافة العوائق والبوائق الساحقة الماحقة، مضمونة لهم الغلبة مهما غلبوا ظاهريا حيث الحرب سجال.

أجل وقد كتب الله لأغلبين أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.<sup>١</sup>

ولم كان المشابهة بين حزب الله هنا في «رضي الله عنهم ورضوا عنه» وبين «قوم يحبهم ويحبونه» هناك، فكما أن أصحاب ألوية المهدي وجنوده هم من حزب الله حيث هم تحت راية ولي الله صاحب العصر وحجة الدهر عجل الله تعالى فرجه الشريف، كذلك أصحاب الامام علي عليه السلام العائشين تحت رايته في ولايته، وكما نزلت «يحبهم ويحبونه» في شأنهما.

#### مسؤوليات الأمة الولاة:

الأمة الولاة المعصومون يحملون مسؤوليات الرسول صلى الله عليه وآله طبقا عن طبق دوغما حول عنها ولا تحويل أو تعديل، فإنما هم الرواة المؤمنون عن الرسول صلى الله عليه وآله ف «اعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتهم مؤونة الاعتساف، ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق»،<sup>٢</sup> «... فلما أفضت إليّ - الخلافة - نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنّ النبي صلى الله عليه وآله فافتديته...»<sup>٣</sup>.

«إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعدة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء

---

بحجزة ربه ونحن آخذون بحجزة نبينا وشيعتنا آخذون بحجرتنا فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون والله ما يزعم أنها حجة الإزار ولكنها اعظم من ذلك يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذا بدين الله ونجى نحن آخذين بدين نبينا وتجيء شيعتنا آخذين بديننا.

وفيه في تفسير العياشي عن صفوان قال: قال ابو عبد الله عليه السلام لقد حضر الغدير اثني عشر الف رجل يشهدون لعلي بن ابي طالب فما قدر على اخذ حقه وان احدكم يكون له المال وله شاهدان فيأخذ حقه فان حزب الله هم الغالبون في علي عليه السلام.

<sup>١</sup> . (المجادلة ٥٨ : ٢٢).

<sup>٢</sup> . (نهج البلاغة الخطبة ٣٠١/١٦٤).

<sup>٣</sup> . (٣٩٧/٢٠٣).



للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا»<sup>١</sup> - «ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقه، والتَّعَشُّ لسنته»<sup>٢</sup>. ذلك، وأولئك هم الذين «هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين واستلنا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه»<sup>٣</sup>.

مواصفاتهم:

«هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام إحناء ظهره، وأذهب إرتعاد فرائضه»<sup>٤</sup>.

«ولا يقاس بأل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يُلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى الله، ونُقل إلى منتقله»<sup>٥</sup>.  
«اين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا.. بنا يُستعطي الهدى، ويُستجلى العمى»<sup>٦</sup>.

ف «نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تَوَقُّ البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سَمِّي سارقاً، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمان، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسَبِّقوا»<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> .( ٢٠١/١٠٣ .

<sup>٢</sup> .( ٣٠٤/١٦٧ .

<sup>٣</sup> .( ١٤٧ ح / ٥٩٥ .

<sup>٤</sup> .( ٣٧/٣ .

<sup>٥</sup> .( ٣٨/٢ .

<sup>٦</sup> .( ٢٥٥/١٤٢ .

<sup>٧</sup> .( ٢٧٠/١٥٢ .

و«هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وحكمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام، وولائج الإعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسأته عن منيته، عقلوا الدين عقلَ وعاية ورعاية، لا عقلَ سماع ورواية، فان رواة العلم كثير، ورعاته قليل»<sup>١</sup> - «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه، وحججا على عباده، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا»<sup>٢</sup>.

«ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما تأملون»<sup>٣</sup>.  
ثم «إن الأئمة من قريش، عُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولادة من غيرهم»<sup>٤</sup>.

#### مثلث الولاية المنحصرة

(٢)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.<sup>٥</sup>  
هذه الآية هي من معارك الآراء بين مختلف الفرق الإسلامية في ثلاثة الطاعة المفروضة على المؤمنين، حيث تنازعت فيها فلترد المعني منها إلى الله والرسول.

<sup>١</sup> .( ٤٣٩/٢٣٧ .

<sup>٢</sup> .( مستدرک ١٨٣ .

<sup>٣</sup> .( ١٩٤/٩٨ .

<sup>٤</sup> .( ٢٥٥/١٤٢ .

<sup>٥</sup> .( النساء ٤ : ٥٩ .

هنا طاعة الله والرسول وأولي الأمر منكم هي قضية الإيمان المفسّر بـ «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» فإن الإيمان المرتكّن الى هذين الركنين الركينين يتطلب طاعة تؤمّن المؤمن أمام الله في اليوم الآخر.

ذلك، ومن المعلوم ضرورة من القرآن وعلى ضوءه السنة أن الطاعة الإيمانية هي ذات بعدين اثنين فقط، طاعة الله في كتابه وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله في سنته، ثم لا مطاع بجنب الرسول صلى الله عليه وآله إذ لا سنة بالوحي بعد سنة الرسول، اللهم إلا من هو صادر عن الرسول صلى الله عليه وآله كما هو نفسه صادر عن الله.

إذا فمثلثة الطاعة هي في الحق مثلها، كما ومثلها هي موخّدها حيث الرسول لا يطاع إلا برسالة الله وبإذن الله «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله»<sup>١</sup>.

فآيات الطاعة الإلهية والرسولية تحصر طاعة المؤمنين في هذين البعدين، وآية الإعتصام بحبل الله توخّدها في حبل واحد هو - طبعا - القرآن، ومن ثمّ نبي القرآن وكما يقرر القرآن: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»<sup>٢</sup>. فلا مطاع - إذا - إلا الله في محكم كتابه ثم الرسول في سنته الجامعة غير المفارقة.

وإذ لا مجال لطاعة الله إلا بوسيط الرسول الحامل لشرعة الله، فما طاعة الرسول صلى الله عليه وآله المضافة الى طاعة الله إلا طاعة أخرى لله هي أيضا بوسيط الرسول، فهنا إذا طاعتان اثنتان، لا بد وأن الأولى هي طاعة الله في محكم كتابه، الذي هو بنفسه دليل على وحيه وحتى لو لم يكن هناك رسول، ثم الرسول الثابت رسالته بالكتاب هو متّبع في بُعد ثان على ضوء الكتاب، وذلك في سنته الموحاة إليه صلى الله عليه وآله شرحا وتبيينا وتأويلاً للكتاب وفي كل الأحكام الرسالية المحلّقة على كل أحكامه بين الناس كرسول قائدا روحيا وزمنيا: «إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله»<sup>٣</sup> إراءة في كتابه، خاصة به كرسول، فكما أن أصل الكتاب معصوم كذلك تفسيره وتأويله الرسولي معصوم.

وكما أن طاعة الله طليقة دوما حدود ولا قيود لأنه الله، كذلك طاعة الرسول لأنه رسول الله لا يصدر إلا عن الله، ف «ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى».

ولأن «أولي الأمر منكم» أي كانوا لا يوحى إليهم من كتاب أو سنة، لذلك دمج طاعتهم في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله ثم أرجع كل أمر متنازع فيه بين المؤمنين - ومنها أمر أولى الأمر - إلى الله والرسول، كما ومنها الأحاديث المرورية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، المختلف فيها بين المؤمنين صدورا لها أو وجه الصدور، فترجع الى الكتاب والسنة الثابتة.

وهنا تتجاوب هذه الآية مع أحاديث العرض على الكتاب والسنة حيث الثابت صدورهم عن أئمة أهل

<sup>١</sup> . (النساء : ٤ : ٦٤ .

<sup>٢</sup> . (النساء : ٤ : ٨٠ .

<sup>٣</sup> . (النساء : ٤ : ١٠٥ .

البيت - فضلاً عن غيرهم - لا يعتمد عليه لمكان التقيّة في قسم منه، ولا تقيّة في السنة الرسالية وبأحرى في كتاب الله، إذا فهما المرجعان الأصيلان، ولا يعرف ثانيهما أيضاً إلا بموافقة الأول أو عدم مخالفته.

إذا فمصدر الشريعة اثنان لا ثالث لهما، وهما: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأولوا الأمر هم الحملة المعصومون عليهم السلام للسنة دوّما استقلال جنبها أبداً.

وهنا الخطاب يعم كافة المؤمنين على مدار الزمن الرسالي<sup>١</sup> قضية حقيقية تحلّق على الطول التاريخي والعرض الجغرافي الإيماني السامي.

فكما الرسول صلى الله عليه وآله نفسه لا يُعنى من هذا الخطاب لإستلزامه فرض طاعته نفسه، كذلك «أولي الأمر منكم» هم - ولا بد - النسخة التالية للرسول صلى الله عليه وآله مهما كانوا هم أنفسهم مأمورين بطاعة الرسول في آيات أخرى، وكما الرسول مأمور بطاعة الله، ولكن «الذين آمنوا» هنا ليست لتشمل المطاع، فإنما هو المطيع، طاعة لله ثم للرسول ومن ثم لأولي الأمر منكم.

«أولي الأمر» هنا في أدب اللفظ وحذب المعنى ليست لتقبل غير الخلفاء المعصومين للرسول صلى الله عليه وآله الحاملين رسالته كما حمّل، الصادرين عنه كما هو صادر عن الله دون أي خطأ قاصر أو مقصر.

فأدب اللفظ يقضي بتعلق «منكم» بمقدر ككائنين: «أولي الأمر» الكائنين «منكم» كما الرسول فإنه منكم وليس من الملائكة أو الجن أمن هو من غير البشر، ف «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم»<sup>٢</sup> أتري «من» هنا تتعلق بشيء إلا بـ «كائنا» دون «رسولاً» إذ لم يرسل من عند أنفسهم، إنما هو بعث الله كائنا من أنفسهم، فكذلك «منكم» هنا ليست لتتعلق بـ «الأمر».

ذلك وكما أن «الأمر» المضاف إليه، لا تصلح أن تكون ذا الحال، بل هو المضاف: «أولي» لأنه أصل الكلام الراجع إليه في مذهب الأدب الفصيح كل فروع الكلام، فحين يقال: جاء غلام زيد حافياً، هل يحتمل أن الحافي هو زيد دون غلامه؟ فكذلك الأمر في «أولي الأمر منكم» وأحرى، فالمعنى «أولي الأمر الكائنين منكم».

وفي حذب المعنى كيف يصح من أحكم الحاكمين ورب العالمين أن يفرض طاعة من ولي الأمر من قبل المؤمنين أنفسهم، ولا يولي أحد أمر الشرعة إلا من صاحب الأمر وهو الله أصالة والرسول رسالة؟ وفرض طاعة أولي الأمر من قبلهم أنفسهم هو في صيغة فرض طاعتهم أنفسهم بمختلف أهواءهم «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض»!

ذلك، وكما «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم»<sup>٣</sup> وقد

<sup>١</sup> . ( في تفسير العياشي عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: ثم قال للناس «يا أيها الذين

آمنوا» فجمع المؤمنين الى يوم القيامة، «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» إيانا عني خاصة...

<sup>٢</sup> . ( الجمعة ٦٢ : ٢ .

<sup>٣</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٣٦ .

أمر الله وأمر رسوله بأمره رجالاً معصومين من عترته على المؤمنين وهم الثقل الأصغر بعد الأكبر. إن ولي الأمر في طليق الطاعة هو الله ككل: «قل إن الأمر كله لله»<sup>١</sup> ومن ثم الرسول بإذن الله وبما أراه الله: «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً»<sup>٢</sup> ولذلك من يطع الرسول فقد أطاع الله»<sup>٣</sup>.

وهكذا نرى أمر الشرعة وحيا دون وسيط البشر أم بوسيط ليس إلا من الله «وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر»<sup>٤</sup> «وآتيناهم بينات من الأمر»<sup>٥</sup> «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها»<sup>٦</sup> ثم نرى تداوما في نزول كل أمر ليلة القدر، النازلة - طبعا - على صاحب الأمر: «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر»<sup>٧</sup>.

أفيصح نزول كل أمر بواسطة الملائكة والروح على غير المعصومين عليهم السلام كل في زمنه؟<sup>٨</sup> ولا تعني

<sup>١</sup> . (آل عمران ٣ : ١٥٤).

<sup>٢</sup> . (النساء ٤ : ١٠٦).

<sup>٣</sup> . (غافر ٤٠ : ٨٠).

<sup>٤</sup> . (القصص ٢٨ : ٤٤).

<sup>٥</sup> . (الجاثية ٤٥ : ٤٧).

<sup>٦</sup> . (غافر ٤٠ : ١٨).

<sup>٧</sup> . (القدر ٩٧ : ٤).

<sup>٨</sup> . (نور الثقلين ١ : ٤٢٠ في كتاب الإحتجاج للطبرسي وعن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل: وقد جعل الله للعالم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ويقول: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»، وفيه وقد ذكر عليه السلام الحجج قال السائل من هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حل محله من أصفياء الله وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وقال فيهم: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» قال السائل: ما ذلك الأمر؟ قال علي عليه السلام: الذي به تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من

خلق أو رزق وأجل وعمل وحياة وموت وعلم غيب السماوات والأرض والمعجزات التي لا ينبغي إلا لله له ولأصفياءه والسفرة بينه وبين خلقه.

وفيه عن عيون الأخبار في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الرضا عليه السلام مرة بعد مرة وشيئا بعد شيء فإن قال: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثيرة: منها ان الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمروا ألا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أمينا يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره فجعل عليهم قيما يمنعهم من الفساد وقيم فيهم الحدود والأحكام. ومنها انا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورتيس لما لا بد لهم من أمر الدين، فلم يجز في حكم الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد لهم منه ولا قوام لهم إلا به فيقاتلون فيه عدوهم ويقسمون به فيثبتم وقيم لهم جمعهم ويمنع ظالمهم من مظلومهم. ومنها انه لو لم يجعل لهم اماما قيما أمينا حافظا مستودعا لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنة والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا على المسلمين لا ناقد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع إختلافهم وإختلاف اهوائهم وتشتت انحاءهم فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسول لفسدوا على نحو ما بينا وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

فإن قيل: فلم لا يجوز أن يكون في الأرض امامان في وقت واحد أو أكثر من ذلك؟ قيل: لعل: منها أن الواحد لا يختلف فعله وتدييره والإثنين لا يتفق فعلهما وتدييرهما وذلك انا لم نجد إثنين إلا مختلفي الهمم والإرادة فإذا كان إثنين ثم اختلف هممهما وتدييرهما (هذا الجواب يعم الأئمة غير المعصومين الى المعصومين فإنهم عليهم السلام لا يختلفون لمكان العصمة) وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه فكان يكون في ذلك إختلاف الخلق والتشاجر والفساد ثم لا يكون أحدهما مطيعا لأحدهما إلا وهو عاص للآخر فتعم المعصية أهل الأرض ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل الى الطاعة والإيمان ويكونوا إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الإختلاف والتشاجر إذ أمرهم بإتباع المختلفين.

ومنها انه لو كان إمامين كان لكل من الخصمين أن يدعو الى غير ما يدعو إليه صاحبه في الحكومة ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع من صاحبه فتبطل الحقوق والأحكام والحدود. ومنها انه لا يكون واحد من الحجتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر وإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يتدأ بالكلام وليس لأحدهما أن يسبق له صاحبه بشيء إذا كانا في الإمامة شرعا واحدا فإن جاز لأحدهما السكوت جاز السكوت للآخر مثل ذلك وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلت الحدود وصار الناس كأنهم لا إمام لهم -

فإن قال قائل فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول صلى الله عليه وآله؟ قيل: لعل: -  
منها انه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميز بها من غيره وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى إليه بغيره.

ومنها انه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسول إذ جعل أولاد الرسول اتباعا لأولاد أعدائه كأبي جهل وابن ابي معيط لانه قد يجوز بزعمه أن ينتقل ذلك في اولادهم إذا كانوا مؤمنين فيصيروا اولاد

«الأمر» هنا في حقل الطاعة المطلقة بعد الله ورسوله، الأمر الذي يقابل النهي لأنهما فرقدان لا يتفارقان فكيف اختصت الطاعة هنا بالأمر؟  
ولا مطلق الإمرة وفيها طليق الإمرة الفاسدة المعارضة لأمر الله، ف «لا طاعة لمن لم يطع الله»<sup>١</sup> أو خليطها قصورا أو تقصيرا، لأن الأمر بطاعة هكذا «أولي الأمر» هو قصور أو تقصير من الله!<sup>٢</sup>  
إنما هو أمر الرسالة بتبليغها وتطبيقها بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فكما أن الرسالة هي من أمر الله وبأمر الله، كذلك الولاة لأمر الرسالة بعد الرسول هم من أمر الله حيث هم أئمة يهدون بأمر الله: «وجعلنا هم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات...»<sup>٣</sup> وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا

---

الرسول تابعين واولاد أعداء الله متبوعين فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.  
ومنها ان الخلق إذا أقروا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر أحد منهم أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاضم ذلك في أنفس الناس وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول فكان كل واحد منهم في نفسه أنه أولى به من غيره ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسخ أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم فكان يكون ذلك داعية لهم الى الفناء والنفاق والإختلاف.

<sup>١</sup> . المصدر: ١٧٦ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميرى فقد عصاني .  
وفيه أخرج أحمد عن أنس أن معاذا قال يا رسول الله أرأيت إن كانت علينا امراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمر في أمرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا طاعة لمن لم يطع الله.

<sup>٢</sup> . نور الثقلين ١: ٤١٥ في كتاب الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليهما السلام حديث طويل يذكر فيه شرايع الدين وفيه قال عليه السلام ولا يفرض الله تعالى على عباده من يعلم انه يغويهم ويضلهم ولا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر ويعبد الشيطان دونه ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوما والأنبياء والأوصياء لا ذنوب لهم لأنهم معصومون مطهرون.  
وفيه ٤١٨ عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده الى سليم بن قيس الهلالي قال سمعت عليا عليه السلام يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه وبني فقال: أطيعوا الله... فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هم؟ قال: الأوصياء من آلي يردون علي الحوض كلهم هادين مهديين لا يضرهم من خذلهم هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه...

<sup>٣</sup> . الانبياء ٢١: ٧٣.

بآياتنا يوقنون»<sup>١</sup> ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.<sup>٢</sup>

وهذه طبيعة الحال في كل من يلي أمر القيادة، حيث يؤمّر ممثلاً له يصدر عنه، ثم و«أولي الأمر» الذين يحملون أمر القائد الأول بما أمر.

وهل يرضى أي قائد أن يؤمّر كل متأمر بنفسه أم بشورى نخبة الأمر، اللهم إلا من يرضاه ولياً لأمره إلا إذا جهل الصالح في أمره؟، فبأحرى أمر الشرعة الإلهية في قيادتها الروحية والزمنية، فإنها في الأصل لله لا سواه، ثم من يؤمّره كرأس الزاوية في قيادات خارجية محوّلة، ومن ثم سائر الولاة المعصومون كما الرسول بفارق رسالة الوحي له دونهم، ووحدة الدعوة الرسالية فيهم كلهم.

والقول أن جمع «أولي الأمر» يحولهم الى غير الخلفاء المعصومين إذ لم يكونوا مجموعين زمن نزول الوحي، بل ولا أولهم علي أمير المؤمنين إذ لم يكن خليفة زمن الرسول صلى الله عليه وآله، إنه غير وارد في ذلك الخطاب المحلّق على كل الزمن الرسالي، دون الرسولي فقط.

فكل ولي لأمر الأمة مطاع في زمنه الخاص، كما هو مطاع على مدار الزمن، وهنا تتجاوب فردية الطاعة مع جمعيتها لأنهم كلهم روات عن الرسول صلى الله عليه وآله فيما كان يفعل أو يقول دون زيادة عليه ولا نقصان حيث يقودهم كلهم كتاب الله.<sup>٣</sup>

ذلك ومن لطيف التعبير من العليم الخبير جعل أولي الأمر منكم في حضانة الرسول وزجّهم فيه لأنهم ليسوا إلا هو وهو مصدرهم بالوحي من ربه، والفصل بين طاعة الله والرسول ليس إلا لفصل الكيان الربوبي عن الكيان الرسالي، ولا فاصل بين أهل بيت الرسالة المحمدية فإنهم ليسوا إلا رواة الوحي الرسالي عنه صلى الله عليه وآله كما روى في الكتاب والسنة، والفارق بينهم وبين من سواهم من الرواة عصمتهم عليهم السلام دونهم أولاً، مهما كانوا عدولاً لعلماء في القمة السامقة، لمكان القصور الذاتي في غير المعصومين.

ولو شمل «أولي الأمر» من يجوز عليه الخطأ قصوراً أو تقصيراً لكان المفروض تقييد طاعته بما هو طاعة الله، وقد قيّد ما هي أدنى منها بما قيد: «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما».

<sup>١</sup> . ( السجدة ٣٢ : ٢٤ .

<sup>٢</sup> . ( فاطر ٣٥ : ٣٢ .

<sup>٣</sup> . ( الدر المنثور ٢ : ١٧٧ - أخرج ابن أبي شيبة والترمذي عن أم الحصين الأحمدية قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وهو يخاطب وعليه برد متلفعا به وهو يقول: إن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله، وفيه عن علي عليه السلام قال: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك كان حقا على المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا إذا دُعوا.



ثم لا نجد في القرآن تصريحاً ولا تلميحاً تقيّد طاعة أولي الأمر منكم بأيّ من القيود، إذا فجزم الأمر بطاعة أولي الأمر - كما في طاعة الله والرسول - ذلك الجزم مما يجزم أنهم هم المعصومون بعد الرسول صلى الله عليه وآله الحاملون رسالته إلى الأمة كما هو حملها عن الله دون أي قصور أو تقصير.

وعناية المجمعين من أهل الحل والعقد من علماء الإسلام غير واردة حيث الإجماع، المطبق المطلق، ضرورة يعرفها كل مسلم، ولا فارق بين الضروريات الإسلامية بين كونها بإجماع الإطباق أم سواه.

فكما لا دور لطاعة المسلمين في الضروريات الإسلامية، فكذلك الأمر في المجمعين المطبقين، ثم الإجماع غير المطبق ليس معصوماً عن الخطأ فكيف يطاع تطبيقاً دون تقيّد.

فلا بد - إذا - أن تعني «أولي الأمر منكم» أشخاصاً خصوصاً كما عرفهم الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله.

ثم فإن تنازعتكم في شيء فردوه إلى الله والرسول. توّصل الرسول بعد الله رسالة عنه في كافة المنازعات الأحكامية زمنياً وروحياً، فشيء «أولى الأمر» المتنازع فيهم بين المؤمنين بهذه الرسالة، داخل في «في شيء» وقضية الرد في أمرهم إلى الله تبين أنهم هنا وفي آيات تناظرها هم الحاملون لرسالة الرسول، وهم ورثة الكتاب بعد الرسول صلى الله عليه وآله: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير. ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير»<sup>١</sup>.

ثم قضية الرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله ما تواتر عنه أنهم هم أولوا الأمر منكم لا سواهم صلى الله عليه وآله<sup>٢</sup> إذ قرن

<sup>١</sup> .( فاطر ٣٥ : ٣٢ .

<sup>٢</sup> .( لقد تواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الرسول أن «أولي الأمر» هنا هم عترته المعصومون عليهم السلام ولكل دوره الخاص في الإمرة النيابية عن الرسول صلى الله عليه وآله.

ففي نور الثقلين ١ : ٤١٦ عن الكافي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فقلت: إن الناس يقولون فما له لم يسم علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتابه عز وجل؟ قال فقال قولوا لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل عليه الزكاة ولم يسم لهم من أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا سبعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ونزلت «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»، ونزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه وقال: أوصيكم بكتاب الله عز وجل وأهل بيتي فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فأعطاني ذلك وقال: لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هديّ ولن يدخلوكم في باب ضلالة فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبين من أهل بيته لادّعاها آل فلان وفلان ولكن الله عز وجل أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وآله «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت أم سلمة

اللَّهِ طاعتهم بطاعته كما قرن طاعته صلى الله عليه وآله بطاعة نفسه تعالى وتقدس، قرنا مثلثا مشرفا لا يعني إلا الطاعة الطليقة عن أي قيد، وليس الخطاب في «تنازعتهم» إلا للأمة دون أولي الأمر كما هو دون

فقلت أم سلمة: ألسنت من أهلك؟ فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.. وفيه عن عيون الأخبار في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل يقول فيه عليه السلام وقال عز وجل في موضع آخر «أم يحسدون الناس..» ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سار المؤمنين فقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما - إلى قوله عليه السلام في شأن ذي القربى - : فما رضيه لنفسه ولرسوله رضيه لهم وكذلك الفيء من رضيه منه لنفسه ولنبيه رضيه لذى القربى كما أجراهم في الغنيمة فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله وكذلك في الطاعة قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته.

ذلك شذر قليل من طريق أصحابنا وقد تواترت الرواية من طريق إخواننا في نزول هذه الآية في علي والائمة من أهل البيت عليهم السلام، وممن أوردها أو أخرجها أبو حيان الأندلسي في تفسير بحر المحيط ٣: ٢٧٨ والنيسابوري في تفسيره ٥: ٧٥ بهامش الطبري، والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٦ نقل عن ابن مردويه في المناقب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام إن المراد من أولي الأمر بالأصالة علي بن أبي طالب وغيره بالتبع ونقل عن فخر الدين الرازي في تفسيره عنه عليه السلام ان المراد منهم الاثنى عشر ونقل عن كشف الغمة عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله عن أولي الأمر فقال: أولهم علي ثم الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن حجة الله في أرضه.

ومنهم أبو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الإعتقاد كما في مناقب الكاشي، والشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة ١١٦ روى عن المناقب بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت عليا عليه السلام يقول - إلى أن قال - : وأما أدنى ما يكون العبد به ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده الذي أمر الله عز وجل عباده بطاعته وفرض ولايته قلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام صفهم لي قال: الذين قرنهم الله تعالى بنفسه وبنييه فقال: «يا أيها الذين آمنوا... وأولي الأمر منكم» فقلت له جعلني الله فداك أوضح لي فقال: الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع وفي آخر خطبة يوم قبضه الله عز وجل إليه: إني تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ان تمسكنم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين وجمع مسيحتة ولا أقول كهاتين وجمع مسيحتة والوسطى فتمسكوا بهما ولا تقدموهم ففضلوا، وروى في المناقب عن تفسير مجاهد أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتخلفني على النساء والصبيان فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى أخلفني في قومي وأصلح.

وروى في المناقب عن الحسن بن صالح عن جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: أولوا الأمر هم الائمة من أهل البيت عليهم السلام.

الرسول صلى الله عليه وآله وكيف يأمر بطاعتهم ويرخص في منازعتهم، إنما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» وغير المعصومين من القادة هم دائماً في تنازع هو لأقل تقدير تنازع القصور، وكثيراً ما هو تنازع التقصير، فكيف تؤمر الأمة بطاعتهم الطليقة على قصور لهم أو تقصير!! ذلك، وإن كان طليق الأمر قد يشمل أولي بعض الأمر كأمراء الجيش المنصوبين من قبل الرسول صلى الله عليه وآله والعلماء الربانيين زمن الغيبة الكبرى حيث يصدر عن كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله ولكن طاعتهم أولاء مشروطة بعدم معصيتهم في أمرهم الله ف «إنما الطاعة في المعروف»<sup>١</sup>. ذلك ولكن المصداق الأصدق لتلك الطاعة الطليقة هم الائمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، لمكان ردف أولي الأمر هنا بالرسول كما ردف هو في تلك الطاعة الطليقة بالله.

ومما يروى عن اول اولي الأمر علي أمير المؤمنين عليه السلام: «ولما دعانا القوم الى أن يحكم بيننا القرآن لم نكن الفرق المتولي عن كتاب الله وقال الله سبحانه فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» فردوه الى الله أن نحكم بكتابه وردوه الى الرسول أن نأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أولى بها.

«وأردد الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ويشتهه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه لقوم أحب إرشادهم: يا أيها الذين آمنوا.. فإن تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول» فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول صلى الله عليه وآله الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة»<sup>٢</sup>.

ثم طاعة الله في كتابه تعم النصوص والظواهر المستقرة من العمومات والإطلاقات وأضربهما، فتخصيص العام الكتابي وتقييد مطلقه خارج عن طاعة الله في كتابه اللهم إلا في مخصّص لا ينافي العام

<sup>١</sup> . الدر المنثور ٢: ١٧٧ - أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري فقال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علقمة بن بجرز على بعث أنا فيهم فلما كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش وأمر عليهم عبدالله بن حذافة بن قيس السهمي وكان من أصحاب بدر وكان به دعابة فنزلنا ببعض الطريق وأوقد القوم ناراً ليصنعوا عليها صنيعاً لهم فقال لهم أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فما أنا أمركم بشيء إلا صنعتموه؟ قالوا: بلى، قال: أعزم بحقي وطاعتي لما توائتتم في هذه النار فقام ناس فتحجزوا حتى إذا ظلّ انهم واثبون قال: أحبسوا أنفسكم إنما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن قدموا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه.

وفيه أخرج ابن أبي شيبة عن علي عليه السلام قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال فأغضبوه في شيء فقال: إجمعوا لي حطباً، فجمعوا له حطباً قال: أوقدوا ناراً فأوقدوا ناراً، قال: ألم يأمركم أن تسمعوا له وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فأدخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا إنما فرزنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله من النار فسكن غضبه وطفئت النار فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكروا له ذلك فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما طاعة في المعروف».

<sup>٢</sup> . نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عنه عليه السلام.

أو مقيد لا ينافي المطلق كما في العمومات والإطلاقات التي نعلم بيقين عدم إرادة الإستغراق منها فلنفتش عن مخصصات ومقييدات نخصص بها أو نقيدها هكذا عمومات وإطلاقات، شرط الإطمئنان بصورها عن مصدر العصمة.

فنص العموم والإطلاق في القرآن وظاهرهما المستقر لا يخصص أو يقيد بالخبر، لاسيما إذا كان القيد بحيث لا يزيدهما عبارة أم يقل، حيث الظاهر هنا كما النص لا يجوز تحويله الى خلافه.

ذلك، وكذلك «أطيعوا الرسول» تخلق على كل أقواله وأفعاله وتقريراته كرسول، فمثلت السنة داخله

في نطاق فرض الطاعة للرسول صلى الله عليه وآله.

هذا، وكما الطاعة الطليقة هذه مستفادة من فرض الأسوة: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»<sup>١</sup>.

ومن الآداب المستفادة من إفراد ذكر الله في خاصة طاعته وجمع الرسول وأولي الأمر منكم، أنه لا يجوز الجمع بينه تعالى وبين خلقه في الذكر فضلاً عن سواه مهما كان رسولاً فضلاً عن سواه، وقد ندد الرسول صلى الله عليه وآله بمن قال: «من أطاع الله والرسول فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى» بقوله: «بئس الخطيبي أنت هلا قلت من عصى الله وعصى رسوله»<sup>٢</sup>.

وأما «أطيعوا الله ورسوله» في آيات دون فصل بتكرار الأمر، فقد يجبر وصلها فصل الرسول عن إستقلاله بجنبه تعالى أنه «رسوله» ليس يقول أو يفعل إلا رسالة لا أصالة.

فلا مرجع أصيلاً في الأمور المختلف فيها والمتنازع عليها إلا الله تعالى شأنه: «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب»<sup>٣</sup> ثم الى الرسول المحدث عن الله: «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» حيث السنة الرسولية هي مبينة لرموز وتأويلات للقرآن وشارحة له غير شارعة، وليس يزيل الخلاف والتنازع إلا الحامل لحق الواقع وواقع الحق، فلو أن أولي الأمر يشمل غير المعصومين لما أنتج الرجوع إليهم زوال الخلاف لأنهم هم أنفسهم في خلافات قاصرة أم مقصرة، وذلك يؤكد تأكيد القرآن والسنة للرجوع الى المعصومين بعد الله ورسوله.

ولا ينافي ذلك الإختصاص ضرورة الرجوع الى العلماء الربانيين زمن غياب المعصومين، وحين لا تتيسر الطاعة المعصومة كما في زمن الغيبة فليكن أمر المؤمنين شورى بينهم فتتبع الشورى من الرعي الأعلی من ربانيي الأمة الإسلامية، وهذه قيادة وحدوية مهما حملها جماعة من أهلها، فالإتباع للأكثر من رأى الشورى إتباع لأحسن القول كما فصلناه على ضوء آية الزمر.

«ذلك» العظيم العظيم من الرد الى الله والرسول «خير» لكم يقابل شرا يحمله عدم الرد الى الله

<sup>١</sup> . الاحزاب ٣٣ : ٢١ .

<sup>٢</sup> . تفسير الفخر الرازي ١٠ : ١٥٠ روي أن واحداً ذكر عند الرسول صلى الله عليه وآله وقال : ..

<sup>٣</sup> . الشورى ٤٢ : ١٠ .

والرسول «وأحسن تأويلاً» مأخذاً هو خالص الوحي ومآلاً هو صالح الحياة الإيمانية في النشآت الثلاث.

ذلك، فقد يختلق على الرسول صلى الله عليه وآله أن «لا تسبوا السلطان فإنهم فيء الله في أرضه»<sup>١</sup> علينا أن نسب مختلفه على الرسول، فإن الله هو الذي يسب السلطان الجائر ويلعنه فكيف ينهى عن سبه، وما هو إلا فرية وقحة على الله، ويكأن الله له ظل الظلم خلافاً لشرعته!

وأما «السلطان ظل الله في الأرض» ففيه تلحيق «يأوي إليه كل مظلوم» فالسلطان العادل الحاكم بحكم الله هو ظل الله حيث يأوي إليه كل مظلوم، دون سائر السلاطين الآوي إليهم كل ظالم.

فهذه هي الآية الرئيسية في فرض الطاعة الحقبة بأبعادها ومن ثم التنديد بالمتحاكمين إلى الطاغوت وهو بقرينة المقابلة لمثلث الطاعة المفترضة عبارة عن كل طاعة متخلفة عنها:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»<sup>٢</sup>.

هنا إرادة التحاكم إلى الطاغوت محكومة بأنها خلاف الإيمان بهذه الرسالة فضلاً عن واقع التحاكم فأصل سبيلاً وأنكى وبيلاً.

والطاغوت هو المبالغ في الطغيان وهي دركات كما الطاعة المثلثة درجات، ذلك! فهل المتحكمون على المؤمنین بالسيف والنار وبالزور والغرور هم أولاء من أولي الأمر الذين افترض الله علينا طاعتهم؟ وإرادة التحاكم إليهم دونهم ضلال بعيد؟!.

وأوضح مصاديق المرادين للتحاكم إلى الطاغوت هم المنافقون ثم ضعفاء الإيمان، وقد تحاكموا إلى الطاغوت بعد الرسول صلى الله عليه وآله تطبيقاً لهذه الملحمة القرآنية النازرة إلى المستقبل مع الحال،<sup>٣</sup> إختلاقاً

<sup>١</sup> . الدر المنثور ٢: ١٧٨ - أخرج البيهقي في الشعب عن أبي عبيدة الجراح قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تسبوا..

<sup>٢</sup> . (النساء ٤: ٦٠).

<sup>٣</sup> . (نور الثقلين ١: ٤٢٢ في تفسير علي بن إبراهيم في الآية نزلت في الزبير بن العوام فإنه نازع رجلاً من اليهود في حديقة فقال الزبير: ترضى بآبى شيبه اليهودي؟ وقال اليهودي: ترضى بمحمد صلى الله عليه وآله فأنزل الله هذه الآية... وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً. وفي در المنثور ٢: ١٧٩ - أخرج الثعلبي عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم انهما احتكما إلى النبي صلى الله عليه وآله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك؟ قال: نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت هذه الآية.

لخلافة خلافة خلاف من انتصبه الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك كل أولئك الذين يطيعون غير المعصومين، حيث الطاعة العاصمة عن الزلل هي مثلثة الطاعة على طول الخط - وهي زمن غياب المعصومين - ليست إلا على ضوء الكتاب والسنة إجتهدا أو تقليدا صالحا.

وليس التحاكم - فقط - في الخلافات الشخصية الراجعة الى حكام الشرع<sup>١</sup> بل والتحاكم في سائر الأحكام الشرعية، فكما الرجوع الى غير العدول من القضاة تحاكم الى الطاغوت، كذلك وبأحرى الرجوع في شرعة الله ككل إلى الذين لا يحكمون بالقرآن والسنة، تحكيما لأراءهم على شرعة الله. فحكم الطاغوت ساقط ماقت مهما كان حقا حيث التحاكم إليه تقرير لمنصبه وتغريب لعينه على عيون الناس فيحسبونه حقيقا لذلك المنصب.

فالراية رايتان راية حق وراية باطل ف «من رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت»<sup>٢</sup>. ولا تعني راية الضلالة إلا ما تنحوا منحى الحق المرام، مهما كان خليص الباطل أو خليطا من الحق والباطل، فالأمر بالمعروف التارك له والناهي عن المنكر الفاعل له، والداعي الى الخير النائي عنه، والحاكم غير الصالح للحكم زمنيا أو روحيا، في حقل القضاء أم سواه، إنهم ككل رافعون راية الضلالة مهما اختلفت دركاتها.

ذلك، ومصبُّ التنديد - الأصيل - في الآية هم المنافقون، مهما شملت كافة المتحاكمين الى الطاغوت تأويلاً.

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا»<sup>٤</sup> «ما أنزل الله» هو القرآن، و«الرسول» هو الرسول بوحى السنة وإنه هو الحاكم بكل ما أنزل الله كتابا وسنة، و«تعالوا» من التعالي الإرتفاع عما كانوا إلى أرفع منه وأعلى، و«يصدون عنك» بديلاً عن «يصدون عما أنزل الله وعنك» إنه يحكم عرى التحاكم الى الرسول في أحكام الكتاب والسنة، فإنه هو

---

<sup>١</sup> . المصدر ١ : ٤٢١ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال يا أبا محمد إنه لو كان لك على رجل حق فدعوته الى حكام أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافعك الى حكام أهل الجور ليقضوا له لكان ممن حاكم الى الطاغوت وهو قول الله عز وجل: ألم تر . .

<sup>٢</sup> . المصدر مقبولة عمر بن حنظلة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا تكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم الى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتا وإن كان حقه ثابتا لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به . . .

<sup>٣</sup> . نور الثقلين ١ : ٤٢١ عن أبي جعفر عليه السلام .

<sup>٤</sup> . النساء ٤ : ٦١ .

الأول في التذكير بالكتاب: «وذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ». وبذلك يبقى المنهج الرباني القرآني - وعلى ضوءه السنة الرسالية - يبقى مهيمنا على ما يطرأ على الحياة من مشكلات ومعضلات وأقضية أمأهيه.

## ترك طاعة الله والرسول مبطل للأعمال

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ»<sup>١</sup>. انه ليس الكفر بالله ومشاقته رسول الله الذي يحبط فقط أعمال الكافرين، بل وكذلك المؤمنين التاركين لطاعة الله ورسوله، رغم إيمانهم بالله ورسوله، انهم تبطل أعمالهم، فما من شجرة يغرسها الإيمان بالله ورسوله، إلا ويحرقها ترك طاعة الله ورسوله<sup>٢</sup> وإما الايمان مع الطاعة هو المصلح المصحح للأعمال.

وانها طاعة الله كأصل وفي القمة، ومن ثم طاعة رسول الله كفرع وعلى الهامش، فإنها طاعته كرسول وسفير صادق عن الله، لا كمحمد بن عبدالله، ولذلك عبر عنه بـ «الرسول» ولذلك فصل طاعته عن طاعة الرسول: «وأطيعوا الرسول» لا «والرسول» حتى لا يُظن أنهما على سواء وفي ردف واحد، وإما «وأطيعوا الرسول» فيما يفعل بوحى أو يقول كرسول، ومن ثم «من يطع الرسول فقد أطاع الله»<sup>٣</sup> لأنه

<sup>١</sup> . ( محمد ٤٧ : ٣٣ .

<sup>٢</sup> . ( ثواب الأعمال للصدوق عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال: سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال: الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قريش: يا رسول الله! ان شجرنا في الجنة لكثير؟! قال: نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها وذلك ان الله عز وجل يقول: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم».

<sup>٣</sup> . ( النساء ٤ : ٨٠ .

كما يقول «لتحكم بين الناس بما أراك الله»!<sup>١</sup>

وطاعة الله هي في اتباع محكم كتابه، وطاعة الرسول في سنته الثابتة، الجامعة غير المفترقة، الموافقة لكتاب الله، فمن زعم أنه يطيع الله، قائلاً: حسينا كتاب الله، ثم يترك سنة رسول الله فقد أبطل أعماله، ومن يزعم أنه يطيع رسول الله، اتباعاً لما يروى عنه مهما خالف كتاب الله، فقد أبطل أعماله، وإمّا طاعة الله في كتابه كأصل، وطاعة رسول الله في سنته كفرع شارح غير جامع، هما الأساسان لا سواهما، في اتباع دين الله!

وترى ما هي الأعمال التي تبطل بترك طاعة الله وطاعة الرسول؟ طبعاً هي الأعمال التي لها صحة ولها بطلان، موافقة الكتاب والسنة أم مخالفتها، سواءً أكانت عبادية أم ماذا!

فالتطاعة في الواجب إيجابه وتطبيقه، وفي الحرام تحريمه وتركه، وفي المباح إباحته، وفي المندوب الانتداب إليه، وفي المرجوح مرجوحته، فمن يأتي بواجب بغير نية الوجود، من استحباب أو مرجوحية أو إباحة أم حرمة! فقد أبطله، وهو أضل ممن لم يفعله، فتجاوب الإيمان والنية والعمل مع الكتاب والسنة، انه لزام صحة العمل - ف «لا قول إلا بعمل، ولا قول إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا باصابت السنة»<sup>٢</sup> سنة الله ورسوله صل الله عليه وآله. فمن أتى بواجب على شروطه ولكنه رثاء الناس فقد أبطل، حيث لم يطع الله في نية العمل: «فادعوا الله مخلصين له الدين»<sup>٣</sup>.

وترى ان البطلان طابع الأعمال التي يؤتى بها دون الطاعة - فقط - أم وأنها تبطل بقية الأعمال التي تؤتى على وجوهها من الطاعة المصححة؟ كأنها هي الأولى كضابطة عامة، ومن ثم الأعمال التي تربطها رباط الشرط والمشروط أم ماذا، كمن يأتي بوضوء فاسد، ثم يأتي بصلاة على شروطها إلا الطهارة، فباطل الوضوء يبطل الصلاة، أو يقال إنها صلاة متخلفة عن الطاعة في الطهارة، فلا تبطل الأعمال الطالحة إلا أنفسها، كما الصالحة تصلح أنفسها، فالأعمال التي يؤتى بها طاعة الله وللرسول صحيحة وسواها باطلة حابطة.

ثم «لا تبطلوا أعمالكم» كما يشمل - كاصدق مصاديقه - ان يؤتى بعمل باطلاً في أصله، كذلك ابطال عمل صحيح رثاءً بعده او ظمنه، او تهديمه ولما يتم، كان تترك صلوةً ولما تتم، فابطاله للأذان متروك او اقامة متروكة مشمول لـ «لا تبطلوا أعمالكم».

<sup>١</sup> . (النساء ٤: ١٠٥).

<sup>٢</sup> . (وسائل الشيعة عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام).

<sup>٣</sup> . (غافر ٤٠: ١٤).



## حول الإمامة

هنا بيدئ بشريطة الإمامة الابراهيمية، وهي الإبتلاء العظيم، إمامة لها شروطها وظروفها الخاصة كنبراس شامل لإمامة الرسالة ورسالة الإمامة على طول الخط.

ذلك - وليعلم بنو اسرائيل، ألا يرثوا الإمامة من إبراهيم كسائر الميراث الذي لا شرط فيه إلا قرابة الدم واللحم على شروطهما، فانما هي على شرط التوفية الشاملة لكل الإبتلاآت الربانية وترك المظالم كلها مهما لم يكن من ذريته، أم كان منهم من إسرائيل، ام كان من بني اسماعيل حين تنقرض شروطات الإمامة في بني اسرائيل:

«وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»<sup>١</sup>

«ابراهيم» مذكورة في سائر القرآن (٦٩) مرة في (٢٥) سورة وهي لغة سريانية قد تعني أب الجماعة الكثيرة وقد قرأت بأشكال تسعة<sup>٢</sup> أثبتها وأضبها «إبراهيم» حسب متواتر القرآن.

ولماذا هنا «ابراهيم ربه» تقدما للمفعول وهو مفضول؟ علّه اختصاصا له بذلك الإبتلاء، ام ولان «ربه» لا مجال له ادبيا لو لا تأخيره إلا تحريرا له ك «ابتلى رب ابراهيم اياه» فنقصان في ادب اللفظ، ام «ابتلى رب العالمين - او - الله - ابراهيم» فنقصان في حذب المعنى حيث القصد بيان ربوبية خاصة في ذلك الإبتلاء.

وهنا ابتلاء رباني خاص لابراهيم الخليل يبتليه به ربه في أخريات حياته كما تلمح له «من ذريتي»

<sup>١</sup> . ( البقرة ٢ : ١٢٤ .

<sup>٢</sup> . ( والثمانية الأخرى هي : «إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم - إبراهيم» والظاهر ان هذه كلها الا لفظ القرآن سريانية ام عبرانية، والمعربة الصحيحة هي «إبراهيم»، وقد فسرت بتفاسير عدة ك «أب رحيم» برىء من الاصنام هام الى ربه - الشديد النظر - والاولان بعيدان لانها سريانية لا تفسر بتجزئات عربية، رغم ان ذلك خلاف التجزئة ايضا، فاين إب من أب واين راهيم من رحيم! مهما عنت الاب الرحيم من غير هذا التحليل، وقد يعني الأب العالي كما في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بؤست، يعني اب الجماعة الكثيرة التكوين ١٧ - ٤ - ٥ : «أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يُدعى إسمك بعدُ ابرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني اجعلك أبا لجمهور من الأمم واثمرك كثيرا جدا واجعلك أمما» .  
وهنا نعرف ان «إب» في السريانية هو الأب و«راهم» هو جمهور الأمم .

فقد كانت له ذرية بعد الإياس: «قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون»<sup>١</sup> فلما وهب له ذريته قال: «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق إن ربي لسميع الدعاء»<sup>٢</sup>. ثم ومن أهم الكلمات التي ابتلي بها فأتهمها بعد نفس الإمامة هي قصة ذبح اسماعيل وهو بكر ذريته: «قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك.. إن هذا لهو البلاء المبين»<sup>٣</sup>. إذا فقد كان ابتلاءه بكلمات فأتهمهن، وكان ذلك في أخريات حياته النيرة، مهما شملت «كلمات» طول حياته النيرة التي كانت كلها ابتلاتات بكلمات مهما كانت درجات ف «من ذريتي» تشمل ذريته من إسماعيل كما من إسحاق.

والإبتلاء الرباني هو الإمتحان الإختبار ليظهر بإتمامه مكنون اللباقة واللياقة، إما للمبتلي والمبتلى أمامه كما في الخلق، أم دون الأول كما للخالق فانه يعلم السر وأخفى، وقد يكون الإبتلاء من خلفيات اعتداء الناس قضية إيمانك أو سواه، أو من نتائج تخلفك عن شرعة الله. ثم وليس الإبتلاء الرباني الإيماني إلا في أمور صعبة ملتوية معقدة، لا يسطع لها إلا الأشداء الأقوياء، ويسقط دونها الضعفاء.

وإذا كان المبتلي هو الرب فالبلية هي الأشد حسب مختلف الأهداف منها بدرجاتها، ولأن الإمامة الرسالية هي القمة المرموقة من درجات الكمال، فالإبتلاء الهادف إليها، المحضّر لها، هي أصعب البليات وأنسبها لهذه الدرجة العليا.

وهنا «ربه» دون «رب العالمين» أمّا شابه، مما تلمح صارحة صارحة أن هذه البلية بكلمات هي بلية ربانية كما تناسب الساحة الإبراهيمية وسماحتها وكما يسطع له ويليق به دوّما إطاقة تزيل الطاقة. وهي مناسبة لتلك الإمامة الخاصة التي هي فوق الرسالة والنبوة حيث جعلت له بعدهما. أتري - إذا - ما هي الكلمات أهي - فقط - كلمات لفظية حملت عليه ليقولها؟ وليست فيها تكلفات وبليات! فكثير هؤلاء الذين يكثر من كلمات طائلة - أية كلمات - وليس لهم فيها ابتلاء، ولا هم أهلون لمعانيتها ومغازيها، ولا أنهم مطبقوها! ثم التلطف بهذه الكلمات ليس اتماما لها: «فاتمهن» بل هو «قالهن» أمّا شابه.

أم هي - فقط - أعمال شاقة لا يسطع لها إلا أقوياء بالإيمان؟ وصحيح التعبير عنها وفصيحه هو

<sup>١</sup> . ( الحجر ١٥ : ٥٥ .

<sup>٢</sup> . ( ابراهيم ١٤ : ٤١ .

<sup>٣</sup> . ( الصافات ٣٧ : ١٠٦ .

<sup>٤</sup> . ( ومن ذلك ابتلاءه بابيه آزر ونمرود وسائر المشركين، ومن أبرز بلائه هنا القاءه في النار وقول جبريل له: الك حاجة وجوابه: أما اليك فلا، وعلّ فوقه بلاء ابتلاءه بذبح اسماعيله عليهما السلام.

«الأعمال» أو «الصالحات» أما شابه دون «كلمات»!.

علها هي كلمات الله التشريعية: الآمرة والناهية، الخاصة بموقف الإبتلاء الإبراهيمي، التي يخلف إتمامها الإمامة بإذن الله؟ ولكن «فأتمهن» بضمير جمع العاقل قد لا تناسبها!.

ام هي - فقط - تطبيق هذه الكلمات بما فيها تحمل الإمامة وذبح إسماعيل فتحقق ضمير العاقل؟ إضافة الى مواد عاقلة في سائر ابتلاءه فانها من منتوجات كمال العقل واللب.

قد تعني «كلمات» هنا كلا الأمرين الإمرين، فإستماع تلك الكلمات التشريعية ولا سيما شرعة الإمامة، الحصيلة عن سائر الكلمات، إنه ابتلاء، وتقبلها دون تعنت وسؤال ابتلاء، كما وقصة أمره بذبح اسماعيل «إن هذا لهو البلاء المبين» تشمل مثلث الإبتلاء، الذي لا يخلد بخلد اي مبتلى.

فإبراهيم: كلمة الله، توجهت إليه كلمة الله - وهي أمر الله - مثل أن يذبح اسماعيل كلمة الله، وذبحه هو كلمة الله، الدالة على قمة التسليم لله، كما وتحمل الإمامة من عليا هذه الكلمات، وهنا «فأتمهن» لائقة بهذه الكلمات، فقد أتم إستماع الأمر، والإيمان به، والتسليم له، ثم وتطبيقه.

ذلك! كما ومن الكلمات كلمات الله العليا الأربعة عشر المحمديون «أتمهن» إلى القائم اثنا عشر إماما تسعة من ولد الحسين<sup>1</sup>.

والإتمام في ميزان الله الذي ليس فوقه إتمام.

إذا فكل الإبتلاآت الإبراهيمية طول حياته النيرة تشمله «كلمات» وهي الدالات على العناية القمة التربوية الربانية فيما أمره ربه ونهاه، والدالات على قمة التسليم قلبيا إذ سلم له، والدالات على تمام التسليم وكما له إذ طبقها، و«أتمهن» هنا كما تعني أن الله أتم هذه الكلمات في ابراهيم تأييدا وتسديدا، كذلك تعني أن ابراهيم أتمهن حسب الطاقة البشرية مزودة بعصمة ربانية، ويقابله تركهن، أو انتقصهن، لا! بل «أتمهن» كما أراده الله منه، وأتمهن الله تكميما لناقص الإرادة البشرية بعصمة إلهية.

قال إني جاعلك للناس إماما..

هنا «قال» دون «فقال»: تفريعا للإمامة على إتمام الكلمات، لأن إتمامها ليس إلا طرفا صالحا لجعل الإمامة، لا نتيجة ضرورية مفرعة عليه، أم ولأن من هذه الكلمات هي كلمات جعل الإمامة: «إني جاعلك للناس إماما. - ومنها قوله: ومن ذريتي، ثم جوابه: «قال لا ينال عهدي الظالمين».

فإن الإمامة ولا سيما هذه الكبرى ابتلاءً عظيم بمسئوليتها الكبرى، ثقيلة على من يحملها، عظيم حملها بحملها، ولكن إبراهيم عليه السلام أتمها وأتى بها كما أريد منه.

ثم «إني جاعلك..» مما يدل على انحصار جعل الإمامة بالله، وانحصاره عن سواه، و«جاعلك.. إماما» حيث اسم الفاعل عامل في مفعوليه هنا، دليل انه جعل في الحال، حيث الفاعل الماضي لا يعمل، واما

<sup>1</sup> .( نور الثقلين ١ : ١٢٠ في الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن الآية ما هذه الكلمات؟ قال: التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو انه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه أنه هو التواب الرحيم، فقلت له يا بن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله فاتمهن؟ قال: اتمهن إلى القائم...

الإستقبال فهو مجاز يحتاج إلى دليل، وصدق المشتق بمادته ليس إلا بصادق واقعها في الحال. والإمامة بإطلاقها هي القيادة الحققة كما هنا أو الباطلة كما «جعلناهم أئمة يدعون إلى النار» وليس المعني منها في ذلك الجعل ما دون العصمة من القيادة فان ابراهيم معصوم حينه بأعلى درجات النبوة - إلا الخاتمة - وان الله لا يجعل قيادة روحية بانتصاب لمن هو دون العصمة، فانه قد يخطأ او يقصر او يقصر، فكيف يأتمنه الله على قيادته للناس؟!.

بل وليست هذه الإمامة هنا هي الرسالة او النبوة، فانهما مجعولتان له ماضيتان، ونفس «إني جاعلك» وحيا دليل على حاضر الوحي رسالة ونبوة، فكيف يجعله صاحب وحي وهو رسول، كما وهو الآن في مختتم عمره وقد آتاه الله الحكم والنبوة في شبابه: «رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين»<sup>١</sup> - «واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا. إذ قال لأبيه..<sup>٢</sup> وذلك حين كان فتى وهو يحارب الآلهة المزيفة وعبّادها: «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا»<sup>٣</sup>.

فلأن الإمامة هنا هي بعد كامل العبودية والنبوة والرسالة والنبوة والخلة<sup>٤</sup> حيث تخطأها إلى القمة مرحليا كلاً تلو الأخرى، إذا فهي الإمامة بين المرسلين دون سائر الناس فحسب، حيث الإمامة الرسالية على الناس كانت له سابقة، فلتكن الإمامة الحاصلة بعد إتمام كلماتها هي الإمامة على المرسلين كما هم على سائر الناس.

فكل رسول - من غير اولي العزم الذين دارت عليهم الرحي - هو إمام أمته، وولي العزم فوقه هو إمامه، مهما كان في زمنه أم يأتي بعده، فقد جعل الله كلاً من اولي العزم إماماً لسائر الرسل والنبیین. فموسى إمام وكتابه إمام، وطبعا لكافة الرسل الإسرائيليين إلا المسيح عليه السلام: «أفمن كان على بينة من

<sup>١</sup> . ( الشعراء ٢٦ : ٨٣ .

<sup>٢</sup> . ( مريم ١٩ : ٤١ .

<sup>٣</sup> . ( مريم ١٩ : ٤٩ .

<sup>٤</sup> . ( تفسير البرهان ١ : ١٤٩ عن الكافي بسند متصل عن زيد الشحام قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبدا قبل ان يتخذه نبيا وان الله اتخذ نبيا قبل ان يتخذه رسولا وان الله اتخذ رسولا قبل ان يتخذه خليلاً وان الله اتخذ خليلاً قبل ان يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: «اني جاعلك لناس إماماً» قال: فمن عظمها في عين ابراهيم «قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» قال: لا يكون السفيه إمام التقى. اقول: «نبيا» هنا تؤول الى النبوة فبعدها الرسالة ثم لم يذكر النبوة بعدها اكتفاءً بالخلة.

ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة...<sup>١</sup>  
ثم الرسل الإسرائيليون بين الإمامين: موسى والمسيح، هم كذلك أئمة لمن دونهما: «ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين»<sup>٢</sup>. ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقاءه وجعلناه هدى لبني اسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»<sup>٣</sup>.  
وهنا مرتبة ثالثة من الإمامة الرسالية تحلّق على ولاية العزم وما دونها من رسالات هي الإمامة المحمدية السامية، المنقطعة النظير بين ملاء العالمين، من الملائكة والجنة والناس أجمعين، كما بيّنها هكذا أمثال قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين»<sup>٤</sup>.

محمد صلى الله عليه وآله إضافة إلى أنه إمام سائر المكلفين، كذلك هو إمام المرسلين والنبيين، وإمام على اولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، كما وهو امام على الأئمة الإثني عشر- من عترته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وامام على كافة الكروبيين.  
ف «إني جاعلك للناس إماما» تعني الإمامة الوسطى، دون العليا المحمدية، ولا الدنيا الرسالية لغير من دارت عليه الرحي من الرسل.

اجل! وإنها لا تعني أية إمامة رسالية بدرجاتها، لكي تطرد رسالة آدم عليه السلام إذ ظلم بما أكل من الشجرة فعوى و«لا ينال عهدي الظالمين» يعني عهد الإمامة الوسطى كما لإبراهيم، وباحرى العليا كما لمحمد صلى الله عليه وآله دون سائر الإمامات في سائر الرسالات وأدناها رسالة آدم وقد «عصى» آدم ربه فعوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»<sup>٥</sup>.

ف «عهدي» هنا هو ذلك العهد الخاص، دون أي عهد كان، فعهد الفطرة الإنسانية - المعبر عنها بفطرت الله - يناله كل إنسان، وعهد العقلية الإنسانية يناله كل عاقل، وعهد الشريعة الإلهية يناله كل مؤمن، وعهد الرسالة الإلهية لا يناله إلا المصطفون مهما سبق لهم ظلمٌ ما كآدم، ثم عهد الإمامة بين

<sup>١</sup> . (هود ١١ : ١٧ .)

<sup>٢</sup> . (الانبياء ٢١ : ٧٣ .)

<sup>٣</sup> . (الاحزاب ٣٣ : ٢٤ .)

<sup>٤</sup> . (آل عمران ٣ : ٨١ .)

<sup>٥</sup> . (طه ٢٠ : ١٢١ .)

المرسلين لا ينال الظالمين، مهما كان ظلما سابقا مغفورا. وحتى لو عنت! «عهدي» كل إمامة في مثلثها - شاملة لرسالة آدم - لم تكن «الظالمين» تعم ماضية الحال، بل هي حسب الوضع والإستعمال تعني الحال والاستقبال، فليكن من يُجعل إماما غير ظالم حال جعله وحتى آخر عمره.

اترى آدم الذي ظلم بما عصى «ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى» هل هو طي هذه المراحل تشمله «الظالمين» وصفا ماضيا بدّل إلى تمام العدل والإصطفاء؟!.

إذا فلتشمل «المشركون» كل الموحددين الذين كانوا مشركين، ثم آمنوا واصبحوا من المقربين كسلمان أمن شابهه من أفاضل المؤمنين.

وكما «الظالمين» حالاً عند جعل الإمامة خارج عن «عهدي» كذلك «الظالمين» استقبالاً، بمناسبة العهد الخاص الرباني الواجب ذكره على أية حال.

بل وكذلك «الظالمين» ماضيا حين يكون فاحشا كالشرك، ام ايا كان حين تكون الإمامة المطلقة التي تقتضي الإصطفاء المطلق بين ملاّ العالمين.

فكما لا ينال عهد الإمامة الوسطى ثم آدم عليه السلام على عصمته حين اصطفاه بالرسالة، فأحرى ألا ينال أمثال الخلفاء الثلاث، أن يحملوا الإمامة القمة عن الرسول صلى الله عليه وآله.

فالإمامة التي هي عهد خاص رباني هي القيادة الروحية، مهما حملت - واقعيا كما هو شرعيا - القيادة الزمنية.

فمهما عُتُون الخلفاء الثلاث ثم الأئمة الاربع بعنوان الإمام، فهم ليسوا أئمة يحملون شرعة الله بذلك الإنتصاب الخاص بعهد خاص.

ثم «عهدي» هنا - وإن على القدر المتيقن - هو عهد الإمامة الإبراهيمية وهي بعد المحمدية فضلاً عنها، و«الظالمين» بعد «فاتمهن» هم المنتقصون الكلمات المبتلى بها، ولان الابتلاء لإبراهيم بتلك الكلمات يحلق على كل حياته، فإتمامها كذلك حذو النعل بالنعل.

فكل من انتقص كلمة من هذه الكلمات طيلة حياته، انتقاصا في عِدَّتْها ام عُدَّتْها، في مادتها ام هيئتها، فقد يعد من «الظالمين» الذين لا ينالهم «عهدي» هذا.

ومن أشر الإنتقاص هو الإشارك بالله، فكيف يجعل إماما - بهكذا إمامة أم فوقها وهي المحمدية - من عبد وثنا ردحا عظيما من عمره كالخلفاء الثلاث الأول!.

فمهما لم تدل «الظالمين» على الماضي، إلا الإنتقاص في تلكم الكلمات المحلقة على مثلث الزمان، يمنع منعا باتا عن جعل تلك الامامة الكبرى.

ولم تقل «ينال عهدي العادلون» لأن العدل مهما كان ظرفا لتأهل الإمامة لم تكن لزامه تلك الإمامة العليا، فقد اكتفى بالشرط السلبي وهو عدم انتقاص الكلمات في مثلث ازمنة الحياة، حيث يراد هذه الإمامة الخاصة.

إذا فكيف يحتل الإمامة المحمدية وهي المطلقة القمة، من عبد وثنا فيما مضى، لا وحتى آدم الذي عصى ربه فغوى، ولا ذا النون إذ ذهب مغاضبا.. فنأدى في الظلمات «اني كنت من الظالمين» ولا موسى «رب إني ظلمت نفسي» فضلاً عن الخلفاء الثلاث الذين لا يسوون شسع آدم عليه السلام!.

ثم «لا ينال عهدي الظالمين» لا يستلزم انه يناله غير الظالمين بصورة مطلقة، وانما هو سلب لأهلية

هذه الامامة عن الظالمين، لا واثبات للزوم الإمامة لغيرهم، فهم اذا من هو كإبراهيم ام فووه، وقد تحققت الامامة فوق الإبراهيمية لمحمد صلى الله عليه وآله وعترته المعصومين اللهم إلا لفاطمة عليها السلام حيث اكتفي بعصمتها.

فإنما «أبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة فصارت في الصفة»<sup>١</sup> وهم المصطفون حين جعل الإمامة حتى الموت، مهما زادت الصفة العليا صفة في ماضيها، كما في حالها واستقبالها بأدلة أخرى.

أجل قد يمنع الظلم الماضي من عهد الإمامة إذا كان من كباثر الإثم والفواحش ومن أكبرها وافحشها الإشراف بالله مهما كان مغفورا بالآمان، ولكنه ليس مغفورا لمنصب هذه الإمامة العليا، فان الإصطفاء، وقاعدة امكان الأشراف، يمنعان انتصاب من كان مشركا لمنصب تلك الإمامة، مهما أصبح من أعدل العدول، كما والغضاضة الشركية السابقة تمنع المأمومين عن الإلتزام بذلك الإمام، مهما صحت الصلاة خلفه، وصح قضاءه وشهادته أما إذا سوى القيادة الروحية العليا وهي إمامة الأمة.<sup>٢</sup>

ثم «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما» تنفي عن مثل آدم عهد الإمامة المعني بـ «عهدي» فليس يكفي في ذلك العهد حاضر العدالة، بل وماضيها كما في حاضرها، حتى تحل في ظرف ظريف طريف حفيف في مثلث الزمان لكل أبعاد العدالة.

<sup>١</sup> . تفسير البرهان ١ : ١٥٠ عن الكافي بسند متصل عن عبد العزيز بن مسلم في حديث فضل الامامة قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرور - الى ان قال عليه السلام: - ان الامامة اجل قدرا واعظم شأننا واعلى مكانا وامنع جانبنا وابعد غورا من ان يبلغها الناس بعقولهم او ينالوها بأرائهم وقيموا اماما باختيارهم، ان الامامة لله عز وجل خص بها ابراهيم الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال عز وجل «اني جاعلك للناس اماما» فقال الخليل مسرورا بها «ومن ذريتي» قال الله تبارك وتعالى «لا ينال عهدي الظالمين» فابطلت هذه الآية...

<sup>٢</sup> . روى الشيخ في اماليه بسند متصل عن عبدالله بن مسعود والشافعي ابن المغازلي في المناقب على ما في تفسير اللوامع ١ : ٦٢٩ - باسناده يرفعه اليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف صارت دعوة إبراهيم ابيك؟ قال: اوحى الله عز وجل الى ابراهيم «اني جاعلك للناس اماما» فاستخف ابراهيم الفرح فقال يا رب ومن ذريتي مثلي، فاوحى الله عز وجل اليه ان يا ابراهيم اني لا اعطيك عهدا لا أفي لك به، قال: يا رب ما العهد الذي لا تفي به؟ قال: لا اعطيك عهدا الظالم من ذريتك، قال يا رب ومن الظالم من ولدي لا ينال عهدك؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا اجعله اماما ابدا ولا يصلح ان يكون اماما، قال ابراهيم: واجنبي وبنيتي ان نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله فانتهدت الدعوة إلي والى اخي علي عليه السلام لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبيا وعليا وصيا (تفسير البرهان ١ : ١٥١).

وممن أخرجه عن ابن مسعود المير محمد صالح الترمذي الكشفي في مناقب مرتضوي ص ٤١، روى عن الحميدي عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله ما ترجمه انه قال: ان دعوة ابراهيم الإمامة لذريته لا تصل إلا لمن لم يسجد لصنم قط ومن ثم جعلني الله نبيا وعليا وصيا لي.

مطلق الإمامة الشامل لإمامة الجماعة وإمامة القضاء وإمامة التقليد، لا يقتضي هذه المرتبة القمة من الإصطفاء، ولا تعني الإمامة في الآية مطلقها الشامل لها، بل هي الإمامة المطلقة لمكان «لنناس» دون اختصاص بحقل أو ناس خواص، كما وأنها فيها بعد الرسالة والنبوة.

فمن يحمل قيادة الأمة الإسلامية ككل بعد إمام الأئمة محمد صلى الله عليه وآله ليس إلا من أصفى الأصفياء كما محمد صلى الله عليه وآله في قمتهم على الإطلاق، فكيف يصح أن تشمل هذه الإمامة من عبد صنما، كما و«إني جاعلك» تختص جعل ذلك العهد بالله، والخلفاء الثلاث بعد الرسول لم يكونوا منتصبين من قبل الله، ولا هم أصفياء الأمة ككل، باجماع الأمة الإسلامية ككل!.

ثم النسبة بين هذه الإمامة والنبوة عموم من وجه، فقد يكون نبيا وليس هكذا إماما، كآدم ومن فوّه من غير اولي العزم، أم يكون إماما وليس نبيا ولا رسولا، كالأئمة الإثني عشر المحمديين عليهم السلام، أم هو إمام ونبي كالخمسة أولي العزم، أم هو إمام الانبياء ككل وهو محمد صلى الله عليه وآله. ولأن أئمة اهل البيت عليهم السلام يحملون الإمامة فهم أفضل من سائر اولي العزم عليهم السلام وقد تدل على ذلك آية التطهير وما أشبهه.

وترى الخليل تطلب من ربه الإمامة المجعولة له للبعض من ذريته: «ومن ذريتي»؟ إنها هي إمامة مطلقة لا مطلق الإمامة كما وأنها قضية الموقف: «إني جاعلك..» إذا ف «لا ينال عهدي الظالمين» تجتث كل دركات الظلم، ناحية منحى كل درجات العدل في حياة الإمام كلها، وذلك منطبق على أئمة المرسلين بعده: موسى والمسيح ومحمد عليهم السلام، أمّن حذى حذوهم من أئمة الإسلام المعصومين، فلا تشمل - ولأقل تقدير - مثل آدم، الذي عصى ربه قبل رسالته فغوى، مهما اجتباه ربه - بعده - فتاب عليه وهدى.

ومن ميّزات هذه الإمامة أن ليس يختص وحيها بالعلوم والمعارف بل وفعل الخيرات، كما والهداية بأمر الله تكوينيا وتشريعيًا، فكما هم مهتدون بأمر الله فيهما، كذلك هم هادون بأمر الله فيهما، وهم عاملون الخيرات بوحى الله: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين»<sup>١</sup>. وإطلاق القول «وكانوا لنا عابدين» ضاربا الى كل أبعاد الماضي - وهي قبل الإمامة - ذلك الإطلاق يخرج مثل آدم عليه السلام.

وفي رجعة أخرى إلى آية الابتلاء:

«و» اذكر يا إمام أئمة الهدى، الرسول المصطفى، «اذكر» ذكرى من ابراهيم الخليل عليه السلام كأفضل ممثّل من أمثولات الإمامة بالابتلاء، ولكي تكون على أهبة لابتلاء أشد وأقوى لإمامة هي أشمل وأنبأ وأعلى، اذكر «إذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات... فربك يبتليك بكلمات ويجعلك للناس إماما على العالمين أجمع - كما جعله!».

«فاتمهن» ابراهيم و«اتمهن» ربه، وأين إتمام من إتمام، وكذلك الله يتم لك وتممه أنت، واين كلمات

<sup>١</sup> .( الانبياء ٢١ : ٧٣ .



من كلمات.

«قال اني جاعلك للناس إماما» وقد جُعِلتَ أنت إماما على النبيين «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين...»  
«قال ومن ذريتي» وكما قال موسى «واجعل لي وزيرا من أهلي» ولكن الله جعل لك من ذريتك أئمة  
يحملون أمانة امامتك ككل وكما يبدوا من آية التطهير، الجاعلة طهارتك القمة لأهل بيت رسالتك  
القدسية وهم الأئمة الإثني عشر عليهم السلام.

وقد تعني «بكلمات» قسما منها يناسب الإمامة الإبراهيمية، ولمحمد صلى الله عليه وآله كل الكلمات لأن  
إمامته هي كل الإمامات: «فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته..»<sup>١</sup> إيمانا علميا  
وعقيديا وعمليا في كل حقول المعرفة والعملية، دون ابقاءٍ لكلمة يبتلى بها إلا وأتمها كأتمها حتى نال  
الإمامة الكبرى.

ولئن نال الخليل مرتبة الإمامة بعد العبودية والرسالة والنبوة والخلة كما تناسب إمامته، فقد نال  
الحبيب الإمامة الكبرى بعد أن أصبح أول العابدين: «قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» ثم  
أصبح آخر النبيين ورسولاً إليهم اجمعين: «واذ اخذ الله ميثاق النبيين..»<sup>٢</sup> ثم حبيبا لرب العالمين لحد  
يحلف بعمره ربُّه «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون»<sup>٣</sup> كما ويحلف بنفسه «فلا وربك لا يؤمنون  
حتى يحكموك فيما شجر بينهم...»<sup>٤</sup>

#### من يهدى الى الحق؟

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَا تُوَفُّوْنَ.<sup>٥</sup>  
تلك هي بداية الخلق وأصل التدبير حيث تعترفون أنهما لله ربكم الحق، وقضيته أن تعبدوه مخلصين

<sup>١</sup> . (الاعراف ٧: ١٥٨).

<sup>٢</sup> . (الحجر ١٥: ٧٢).

<sup>٣</sup> . (النساء ٤: ٦٥).

<sup>٤</sup> . (يونس ١٠: ٣٤).

له الدين، ثم من ناحية أخرى هي عود الخلق يوم الميعاد الحساب هي الأخرى الخاصة بالله ربكم الحق، ف «قل هل من شركاءكم من يبدؤا الخلق» بحذاقيره وتفصيله «ثم يعيده» ولأنهم ينكرون المعاد بعد إقرارهم بالمبدء، فهنا: «قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده» لا سواه «فأنتي تؤفكون» حيث تؤخذون بكل إفك وزور إلى إتخاذ شركاء لله وكأنها آلهة من دون الله.

ذلك، ومن ناحية أخرى ثالثة بعد انحصار البدء والإعادة بالله وانحسارهما عما سواه: «قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»<sup>١</sup>

هنا الفارق بين «يهدي إلى الحق» و«يهدي للحق» أن «إلى» للغاية و«ل» للنهائية، حيث الله يؤصل من يشاء الحق، فله هدايتان اثنتان، أولاهما الهداية إلى الحق بيناته وهي الدلالة إليه، وأخراهما الإيصال إليه من هو مهتد إليه ف «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين»<sup>٢</sup>.

إذا ف «يهدي للحق» مختصة بالله، و«يهدي إلى الحق» تعمه إلى سواه من دلالة لطريق الحق، وهم كل من يحمل الرسالة الربانية من معصومين وسائر الربانيين.

وذلك السؤال المؤنب مطروح أمام كل هؤلاء الذين يتبعون «من لا يهدي إلا أن يهدى» ويتركون الهداة إلى الحق بإذنه، المهتدين به: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا»<sup>٣</sup>.

من مشركين يتركون رب العالمين، عاكفين على «من لا يهدي إلا أن يهدى» لو كان لهم مجال الهدى كالعقلاء من المعبودين ومن تاركين رسول الحق إلى من سواه من الخاطئين غير المهتدين.

ومن تاركين أئمة الهدى عليهم السلام بعده صلى الله عليه وآله، متخذين الخاطئين لإمامة الأمة<sup>٤</sup> ولقد كثرت الأخطاء

<sup>١</sup> . ( يونس ١٠ : ٣٥ .

<sup>٢</sup> . ( القصص ٢٨ : ٥٦ .

<sup>٣</sup> . ( الانبياء ٢١ : ٧٣ .

<sup>٤</sup> . ( نور الثقلين ٢ : ٣٠٢ في روضة الكافي بسند عن عبد الرحمن بن مسلمة الجويري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يويخونا ويكذبونا أنا نقول: أن صبيحتين تكونان يقولون: من أين تعرف المحقة من المبطله إذا كانتا؟ قال: فماذا تردون عليهم؟ قلت: ما نرد عليهم شيئا، قال: قولوا يصدق بها إذا كانت من يؤمن بها من قبل ان الله عز وجل يقول: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون».

وفيه عن كشف المحجة لابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه يقول: إسمعوا قولي يهدكم الله إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فو الله لئن أطعتموني لا تغووا، وإن عصيتموني لا ترشدوا، قال الله تعالى: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع...».

وفي ملحقات إحقاق الحق (١٤ : ٥٨٨) روى الحسكاني في شواهد التنزيل (١ : ٢٦٥) بسند عن ابن عباس قال:

من الخلفاء فهدهم علي عليه السلام إلى الصواب<sup>1</sup> لحد قال الخليفة عمر: لولا علي لهلك عمر. ومن سائر هؤلاء الذين يقدمون المفضول على الفاضل في أي حقل من حقول التفضيل. فالأصل في الإِتِّبَاع هو اتباع المهتدي الهادي إلى الحق ولحق دون «من لا يهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» وهو في الكتب القرآن العظيم، وفي سائر الدعاة المعصومون الرساليون رسلاً وخلفاء لهم معصومون، ثم في زمن غياب العصمة الظاهرة هو القرآن بمن يتبناه ويفتي به من الربانيين الذين هم دون العصمة الربانية، قاصرين فيما يخطئون غير مقصرين: فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

اختصم قوم إلى النبي فأمر بعض أصحابه أن يحكم بينهم فحكم فلم يرضوا به فأمر علياً أن يحكم بينهم فحكم بينهم فرضوا به فقال لهم بعض المنافقين: حكم عليكم فلان فلم ترضوا به وحكم عليكم علي فرضيتم به بئس القوم أنتم فأنزله الله تعالى في علي «أفمن يهدي..» وذلك أن علياً كان يوفق لحقيقة القضاء من غير أن يعلم، وبسند آخر عن أبي جعفر قال: أمر عمر علياً أن يقضي بين رجلين فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه: هذا الذي يقضي بيننا؟ وكأنه إزدري علياً فأخذ عمر بتبليبه فقال: ويلك وما تدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب هذا مولاي ومولى كل مؤمن فمن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

<sup>1</sup> (المصدر في الكافي بسند متصل عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما قضى بها أحد كان قبله وكانت أول قضية قضى بها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضى الأمر إلى أبي بكر أتى رجل قد شرب الخمر فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟ فقال الرجل: نعم، فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال: انني أسلمت ومنزلي بين ظهرائي قوم يشربون الخمر ويستحلونها ولو أعلم انه حرام اجتنبتها، قال فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة وأبو الحسن لها، فقال أبو بكر: يا غلام أدع لنا علياً، فقال عمر: بل يؤتى الحكم في منزله فأتوه ومعه سلمان الفارسي فأخبروه بقضية الرجل فاقتض عليه قصته فقال علي عليه السلام لأبي بكر إبعث من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه، ففعل أبو بكر ما قال علي عليه السلام فلم يشهد عليه أحد فخلى سبيله فقال سلمان لعلي عليه السلام: لقد أرشدتهم فقال علي عليه السلام: إنما أردت أجدد تأكيد هذه الآية فيهم وفيهم «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون» وفيه عن تفسير العياشي عن عمرو بن القاسم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثم قرأ هذه الآية فقلنا من هو أصلحك الله؟ فقال: بلغنا أن ذلك علي عليه السلام.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام وذكر فضائل الإمام ورتبه حديث طويل يقول فيه الرضا عليه السلام: إن الأنبياء والأئمة يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتونه غيرهم فيكون علمهم فوق كل علم أهل زمانهم في قوله عز وجل: «أفمن يهدي إلى الحق..». وفيه عن تفسير القمي عن أبي جعفر عليهما السلام في الآية: فأما من يهدي إلى الحق فهو محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد عليهم السلام بعده وأما «من لا يهدي إلا أن يهدي» فهو من خالف من قرئش وغيرهم أهل بيته.

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب»<sup>١</sup>. ذلك ورأس الزاوية هنا في «من يهدي إلى الحق» هو الله تعالى شأنه العزيز إذ يهدي ولا يهتدي وهم قد يهتدون كالصالحين وقد ليسوا ليهتدوا كالطالحين وغير ذوي العقول والشعور، ثم الذين يهدون بما اهتدوا يتبع الأهدى منهم، فهم على هامش الهداية الطليقة الربانية، وفي غيار «يهدي للحق» الخاصة بالله إلى «يهدي إلى الحق» لمحة للشمول، فالهادي إلى الحق لا بد وأن يكون هاديا بذاته وهو الله، أم مهتديا قبل أن يهدي كسائر المهتدين على درجاتهم، حيث يحق لهم أن يهدوا قدر ما اهتدوا، وأما الذي لا يهدي إلا أن يُهدى فليس له أن يهدي قبل أن يُهدى فيصبح أهدى من هاديه أم مثله في الهدى، والمصدق الثالث ل «من يهدي إلى الحق» هو علي والأئمة من ولده المعصومين عليهم السلام وكما تواتر عنه صلى الله عليه وآله مثل قوله: «علي مع الحق والحق مع علي»<sup>٢</sup>.

وهذه الآية من عساكر البراهين الدالة على فرض إتباع الأهدى فالأهدى، فرأس الزاوية هو الحق المطلق الهادي إلى حقه وهو نفسه الحق، دون من دون الله الذين لا يهدون إلا أن يُهدوا، فضلاً عن لا يهدى وإن هدي.

وهنا الهداية تعم التكوينية والتشريعية أماهيه، فإن أزمة الأمور طرا بيده. والكل مستمدة من مدده. ولأن الله هو الحق لا سواه فهو - إذا - يهدي للحق، لا إلى الحق فقط إلا بتأويل، ثم زاوية تالية هي الزاوية الرسالية لهندسة الهدى الحقة إلى الحق، إذ ليس الله ليهدي إلى شرعة إلا بوسائط رسله، فهم يهدون إلى الحق - لا للحق - بما هدوا بالوحي.

ومن ثم زاوية ثالثة هي خلافة العصمة الرسالية ما حضر منهم من حضر.

ثم زاوية رابعة هم ربانيوا الأمة الأعلّم الأتقى منهم فالأتقى.

فأما المفضول في هدى الحق فضلاً عن لا يهدى وإن هدي، فلا يحق اتباعهم في سبيل الحق.

ذلك، وكل هذه المراحل هي باذن الله وكما حده الله انتجابا رسوليا أو رساليا، بالنص الخاص، أم خيرة ربانية انتجابا للأهدى فالأهدى في سبيل الحق.

وهكذا يكون دور كتب الهدى، فالقرآن - إذا - يحتل القمة العليا في حقل الهدى، أقيترك القرآن

<sup>١</sup> .( الزمر ٣٩ : ١٨ .

<sup>٢</sup> .( ملحقات إحقاق الحق ٥ : ٢٨ ، ٤٣ ، ٦٢٣ - ٦٣٨ و ١٦ : ٣٨٤ - ٣٩٧ ، وفيه ٥ : ٧٧ «بل هو مع الحق والحق معه» وفيه ٤ : ٢٧ : «إن عليا مع الحق والحق معه كيفما دار دار به» وفيه : «اللهم أدر الحق معه» ٤ : ٤٤١ و ٦ : ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٣٠٣ وج ١٦ : ٣٩٣ - ٣٩٦ و ١٧ : ١٣٥ - ١٣٦ و ٢٠ : ٥٨٤ - ٥٨٥ و ٢١ : ٨٨ ، وفيه : «تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحق - يعني عليا عليه السلام» ٥ : ٦٣٥ ، و ١٧ : ١٦٩ و ٢١ : ٣٩٦ . وبالنسبة للأئمة كلهم قوله : «فإنهم مع الحق والحق لا يفارقهم ولا يفارقونه» ٩ : ٤٧٩ و «لا يزالوه ولا يزالهم» ٥ : ٣٦ و «ومعنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق» ٩ : ٤٧٦ ، فقال عمر : لا بل الملك عقيم والحق لابن أبي طالب ٤ : ٨١ ، وهو أحق بالنبى من جبرئيل ٦ : ٤٩٧ و ١٧ : ٣٤ و «إن لعلي حقا لا يعلمه إلا الله وأنا» ٥ : ١٢١ .

الهادي إلى الحق المطلق، إلى الحديث الذي لا يهْدِي إلا أن يُهْدَى، ولا سبيل في تصديقه بهداه إلا وفقه للقرآن.

ذلك، فإذا تحقق الحق إمرةً وسواها في أهله فالمفروض أن يُتَّبَع، وكما في خطبة للإمام الحق علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«أما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقا بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم، والحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتة على عبادته، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضاءه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب فضلاً منه وتوسعا بما هو من المزيد أهله» (الخطبة: ٢٠٧).

وفصل القول حول الآية أن الإِتِّبَاع مخصوص لمن هو هادٍ لا يحتاج إلى الإِهْتِدَاء، أم هو مهتدٍ فيهدي من ليس على هداه، ففي مسرح الهدى الطليقة الذاتية «من يهدي للحق وإلى الحق» هو الله تعالى شأنه ليس إلا هو، وفي مسرح طليق الهدى فالحاصل عليها كأفضلها يتَّبَع، وغير الحاصل أو غير الأفضل لا يُتَّبَع، وهذه ضابطة ثابتة في كل الأعراف العاقلة أن المتَّبَع لا بد وأن يتَّبَع الأهدى فالأهدى، فإذا وجد الهادي الطليق في هداه فهو المتَّبَع ليس إلا، وإلا فمن دونه وهو فوق سائر الهادين.

فهذه الآية هي من عساكر البراهين القرآنية الدالة على وجوب تقليد الأعلَم الأتقى فإنهما الهدى اللائقة بالإِتِّبَاع، ثم الأتقى العالم أمام التقي الأعلَم، حيث الهدى في أصلها في حقل التقي.

ثم «من لا يهدي إلا أن يُهْدَى» هو منطبق تماماً على من يهتدى حين يُهْدَى، ثم على من لا يهتدى وإن يُهْدَى فإن فيه أصل قبول الهدى مهما يرفضها، ثم من لا يمكن أن يُهْدَى اللهم إلا أن يخلق فيه قابلية الهدى، وهي الجمادات أو الأشجار المعبودة من دون الله وسواها، أو يقال إن الهدى هنا عامة تشمل الخلق كله إذ «ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فالخلق ككل ليس ليهدى إلا أن يُهْدَى، والمهدي منه بين من يهدي إلى الحق ومن لا يهدي إلى حق أو باطل أم يهدي إلى ضلال، فهل إن الله الذي يهدي ولا يهدى أحق أن يتَّبَع، أم الخلق الذي لا يهدى إلا أن يهدى مهما كان من الهداة، فضلاً عن الضالين أو الذين لا يهدون ولا يضلون.

إذا قربنا هو الذي يهدي كأصل، ثم الذين يهدون بأمره قدر ما اهتدوا، الأهدى منهم فالأهدى. وهنا «هل من شركاءكم من يهدي إلى الحق» تعني غير الصالحين من الملائكة والنبين إذ هم يهدون إلى الحق بإذن الحق، وحتى إذا شملهم إلى الطواغيت والأصنام فهم ممن لا يهدى إلا أن يهدى، فهل يترك هاديهم - وهو الله - إليهم وهم المهتدون بالله.

ولو أنهم اتبعوا الملائكة والنبين كوسطاء بينهم وبين الله فقد اتبعوا الله، ولكنهم وهم يعبدونهم بين سائر المعبودين من دون الله، إنهم ليسوا - إذا - يُتَّبَعون أصالة، إذ ليسوا ليهدوا إلا أن يُهدوا، والله هو الهادي غير المهدي، فهو الأصل في الهدى، فهو - إذا - الأصل في الإِتِّبَاع ليس إلا.

«قل هل من شركاءكم من يهدي إلى الحق» تكويننا وتشريعنا كما الله الذي «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» ففي حقل التكوين أن يضع نظاماً كونياً، وفي التشريع أن يرسل رسلاً وينزل كتباً توقظ غفلان القلوب وتهديهم إلى الحق المُرَام، وحق الملائكة والنبين إذ هم مهتدون بما هداهم الله في عمالة

التكوين وحمل الشريعة إلى الرسل ولم يكونوا ليهودوا أنفسهم فضلاً عن سواهم.  
«فما لكم كيف تحكمون» بواجب أو راجح الإتيان لغير الله طاعةً وعبادةً أماهيه من شؤونه؟.  
«وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ»<sup>١</sup>  
هنا آيات عدة تندد بالظنون، وهي الاعتقادات غير المسنودة إلى علم قاطع من قاطع الفطرة  
والعقلية السليمة، أم - فوقهما - قاطع الكتاب والسنة.  
فالأصل عقلياً وشرعياً في كل إقبال وقبول هو العلم الهادي إلى سواء السبيل، في مثلث الفطرة  
والعقلية السليمة ولا سيما الشريعة الربانية.  
وقد يعبر عن كل المحاصيل لهذه الثلاث - ولا سيما الأخيرة - بالعلم، وتقابلها محاصيل من غيرها  
حيث يعبر عنها بالظن مهما كان علماً.  
فإنما الحجة المقبولة، القابلة للإستناد إليها في حقل الشريعة الربانية، إنما هي محاصيل صالحة من  
المستندات الشرعية، دون ما سواها مهما كانت علمية مصدقة عند كافة الأعراف البشرية.  
ولأن الآيات التي تندد باتباع الظن، وأنه لا يغني من الحق شيئاً، لأنها تحمل موضوع الظن، وهو  
كبرهان لتزييفه بنفسه، فقد لا تقبل الإختصاص بظن دون ظن، رغم ما خيل اختصاصه بالظن في  
حقول الأصول العقائدية، مهما وردت الكثيرة من آيات الظن في تلك الحقول، ولكن منها التي تعمها  
وسواها ك «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون»<sup>٢</sup> مما يدل على أن الظن  
بالكتاب - الحاوي لكلا الأصول والفروع - إنه مرفوض مرضوض، فإنما العلم هو الحجة لا سواه.  
ذلك، إضافة إلى أن المحتاج إليه في الكتاب كأصل ليس إلا الفروع، وأما الأصول العقيدية فلها حجج  
الفطرة والعقلية السليمة، مهما تتبلور بحجج الكتاب.  
ذلك، وكما منها كالخاصة بالفروع ك «ولا تقف ما ليس لك به علم...»<sup>٣</sup> بعد كثير من المحرمات الكبيرة  
الفرعية.  
ذلك، فحجية ظن أو شك أو احتمال، مسنودة إلى علم، هي نفسها حجية العلم، فالأصول العملية  
المسنودة إلى قاطع العلم، هي أصول علمية مهما لم تفد حتى الظن كما الإستصحاب والبراءة وما  
أشبهه. لضرورات موضوعية شخصية لا سبيل إليها بطريق العلم قضية قصور المكلفين.  
وتقابلها الضوابط غير المسنودة إلى علم مهما حصل بها علم، كالأجماعات والشهادات والسيرة والخبر  
الواحد والقياسات والإستحسانات والإستصلاحات، إما هو آت من غير المصادر العلمية المقبولة في  
شريعة الله.

<sup>١</sup> . ( يونس ١٠ : ٣٦ .

<sup>٢</sup> . ( آل عمران ٣ : ٧٨ .

<sup>٣</sup> . ( الاسراء ١٧ : ٣٦ .

فحين نستند إلى أحكام الأصول والأدلة غير العلمية، المسنودة إلى علم أو إثارة من علم، لسنا لنستند إلى أحكام غير مسنودة إلى الكتاب والسنة، كغير الكتاب والسنة من مراجع متخيلة. وهنا على ضوء الآيات الناهية عن العمل والإفتاء بغير علم، روايات متواترة بنفس النمط وإليكم نماذج منها:

- ١ - «خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر له من لِين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال قولاً آل منه إلى غيره، وقال قولاً وُضِعَ على غير موضعه وكُذِّبَ عليه، فقام إليه علقمة وعبيدة السلماني فقالا: يا أمير المؤمنين فماذا نصنع بما قد خُبرنا في هذه الصحف عن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: سلا عن ذلك علماء آل محمد صلى الله عليه وآله»<sup>١</sup>.
- ٢ - في وصيته عليه السلام للحسن عليه السلام: «لا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم».
- ٣ - وقال عليه السلام: «لو سكت من لا يعلم سقط الإختلاف»<sup>٢</sup>.
- ٤ - وعن الباقر عليه السلام سئل: ما حق الله على العباد؟ قال: «أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون»<sup>٣</sup>.
- ٥ - وعنه عليه السلام قال: «لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا لم يجحدوا ولم يكفروا»<sup>٤</sup>.
- ٦ - وعنه عليه السلام قال: «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه»<sup>٥</sup>.
- ٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى عيَّر عباده بآيتين من كتابه: ألا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردوا ما لم يعلموا، قال الله عزَّوجلَّ: «لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق» وقال «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»<sup>٦</sup>.

---

<sup>١</sup> . (العوالم ٢ - ٣ : ٤١٨) عن كتاب عاصم بن حميد عن خالد بن راشد عن مولى لعبيدة بن السلماني قال: ..

<sup>٢</sup> . (المصدر ٤٢٠) عن كنز الكراچكي ١٤٧.

<sup>٣</sup> . (المصدر ٤٢٠) عن أمالي الصدوق (٣٤٣).

<sup>٤</sup> . (المصدر ٤٢٠) عن المحاسن للبرقي.

<sup>٥</sup> . (المصدر عن المحاسن).

<sup>٦</sup> . (المصدر ٤٢٣) عن أمالي الصدوق (٣٤٣).

- ٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام: «إياك وخصلتين فيهما هلك من هلك، إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»<sup>١</sup>.
- ٩ - وعنه عليه السلام: «إن من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإن ضرك على الباطل وإن نفعك، وأن يجوز منطقتك علمك»<sup>٢</sup>.
- ١٠ - وعنه عليه السلام قال: إنه لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت فيه والرد إلى أمة المسلمين حتى يعرّفوكم فيه الحق ويحملوكم فيه على القصد قال الله عزّ وجلّ: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»<sup>٣</sup>.
- ١١ - وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسيك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله عزّ وجلّ قال: «ولا تقف ما ليس لك به علم» ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رحم الله عبدا قال خيرا فغنم، أو صمت فسلم، وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عزّ وجلّ يقول: «إن السمع والبصر - والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً»<sup>٤</sup>.
- ذلك، والأسوة الطليقة برسول الله تقتضي لزاما ألا تعدوا الكتاب والسنة فيما نفتي ونعمل به، كما والأمة عليهم السلام ما كانوا يفتون إلا بالكتاب والسنة: فحين يُسأل الإمام الصادق عليه السلام: بأي شيء يفتي الإمام، يقول: بالكتاب. فما لم يكن في الكتاب؟ يقول: بالسنة، فما لم يكن في الكتاب والسنة؟ يقول: ليس شيء إلا في الكتاب والسنة، فيكرّر عليه، فيقول: يسدّد ويوفق، فأما ما تظن فلا»<sup>٥</sup> يعني أن يفتي من غير سناد إلى كتاب أو سنة فلا.
- ١٢ - وكما عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا جابر! إنا لو حدثناكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> . (٤٢٤) عن الخصال (٥٢).

<sup>٢</sup> . المصدر عن الخصال ٥٣.

<sup>٣</sup> . المصدر (٤٢٦) عن لمحاسن ٢١٦/١ ح ١٠٤.

<sup>٤</sup> . المصدر (٤٢٧) عن العلل ٦٠٥ ح ٨٠.

<sup>٥</sup> . العوالم (٢ - ٣: ٤٨٩) عن بصائر الدرجات ٣٨٧ ح ١.

<sup>٦</sup> . المصدر ٤٨٦ عن الإختصاص ص ٢٧٤ والبصائر ٢٩٩ ح ١.



- ١٣ - وعنه عليه السلام قال: «لو أنا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه صلى الله عليه وآله فبينها لنا»<sup>١</sup>.
- ١٤ - وعنه عليه السلام قال: «لو كنا نفتي برأينا وهوانا لكننا من الهالكين، نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علم عندنا نتوارثها كابرا عن كابر، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»<sup>٢</sup>.
- ١٥ - وعنه عليه السلام: «إنا على بينة من ربنا بينها لنبيه صلى الله عليه وآله فبينها نبيه صلى الله عليه وآله لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس»<sup>٣</sup>.
- ١٦ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل<sup>٤</sup>.
- ١٧ - وعن أبي الحسن عليه السلام قيل له: «كل شيء تقول في كتاب الله وسنته؟ أو تقولون فيه برأيكم؟ قال: بل كل شيء نقوله في كتاب الله وسنته»<sup>٥</sup>.

#### المصطفين السابقين بالخيرات

<sup>١</sup> . (المصدر عن البصائر ٢٩٩ ح ٢ .)

<sup>٢</sup> . (المصدر انه عليه السلام قال: يا جابر...)

<sup>٣</sup> . (المصدر عن الإختصاص ص ٢٧٤ والبصائر ٣٠١ .)

<sup>٤</sup> . (المصدر عن منية المريد ١٩٤ .)

<sup>٥</sup> . (المصدر ٤٩ عن الإختصاص ٢٧٤ والبصائر ٣٠١ .)

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ.<sup>١</sup>

«هو الحق» كله، ثابتا ما بقي الدهر دون نسخ ولا تحريف، مهما كان ما بين يديه حقا لردح من الزمن، ولكنه بطل أولاً بتحريف ومن ثم بنسخ، فالقرآن هو الترجمة الصحيحة النهائية لحقيقة الكون، والصحيفة المقروءة من كتاب الكون وهو الصفحة الصامتة!

«والذي اوحينا.. مصدقا لما بين يديه» من وحي، دون خليطه بغير وحي، ف «ان الله بعباده خبير بصير» انهم بحاجة الى حق لا ينسخ ولا يحرف، وانهم حرفوا كتابات السماء من قبل، لذلك اوحى اليك «الحق» كله هدى للناس.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.<sup>٢</sup>

«الكتاب» هنا هو القرآن لسابق ذكره «والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق» ف «ثم» بعد «ما اوحينا اليك من الكتاب» «اورثنا الكتاب..».

فَمَنْ هُوَ الْوَارِثُ لِلْكِتَابِ؛ الْقُرْآنَ، بَعْدَ مَنْ أَوْحِيَ إِلَيْهِ؟ أَهَمُّ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ وَكَمَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ.<sup>٣</sup> وقد تشمل الوارث الشاك!: «وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب»<sup>٤</sup> كما يشمل حملة وحي الكتاب الآخرين: «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء»<sup>٥</sup>.

وهنا «اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» دون من هو في شك مريب، ولا المتوسطين في الايمان، بل المصطفين، فميراث الكتاب هنا ميراث خاص لمن يحمله كما حمّله من انزل عليه، وهناك عام يعم كل من حمّله! صحيح ان «عبادنا» هنا يعم كافة المسلمين من اهل الجنة كما تشهد التالية: «جنات عدن...» (٢٣) مقابلة لهم باهل النار: «والذين كفروا...».

ولكن وارث الكتاب هنا ليس كل «عبادنا» ليعم كل المسلمين، بل «الذين اصطفينا من عبادنا» اذا فهم المصطفون من المسلمين منذ إيراثه الى يوم الدين، لا كلهم.

<sup>١</sup> . ( فاطر ٣٥ : ٣١ .

<sup>٢</sup> . ( فاطر ٣٥ : ٣٢ .

<sup>٣</sup> . ( غافر ٤٠ : ٥٤ .

<sup>٤</sup> . ( الشورى ٤٢ : ١٤ .

<sup>٥</sup> . ( المائدة ٥ : ٤٤ .

ولان الإصطفاء في مصطلح القرآن ليس إلا للمعصومين، انبياء وسواهم من المخلصين<sup>١</sup> ف «الذين إصطفينا من عبادنا» لا تعني الا المعصومين بعد الرسول صلى الله عليه وآله من امته، اورثوا القرآن ليحملوه كما حملة من اوحى اليه كمبراث خاص.

ثم التقسيم الثلاثي ل «عبادنا» الى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات،... دليل قاصد قاطع لا مرد له، أن ليسوا داخلين في ذلك الإيراث الا المصطفين، إلا أن يسوّى بين «ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات» في انهم من «الذين اصطفينا من عبادنا»<sup>٢</sup> وتلك اذا تسوية ضيزى!

فحتى ولو عمت «اصطفينا» غير المعصوم، ليست لتعم المأثوم في تلك المقابلة الثلاثية الواضحة. ثم من هذا الذي اصطفي عليه «ظالم لنفسه» وليس للظالم صفاء حتى يفضل في صفائه على سائر الاصفياء وسواهم!.

هنا الله تعالى يقتسم عباده الى هؤلاء الثلاث ليوضح من هم «الذين اصطفينا من عبادنا» وعلى من اصطفاهم؟

فالمسلمون بين ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، والظالم لغيره هو خارج من «عبادنا» والمصطفى بينهم - بطبيعة الحال - ليس إلا السابق بالخيرات، فهم مفضلون على اصحاب اليمين المقتصدين، فضلاً عن الظالمين: «وكنتم ازواجاً ثلاثة\* فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة\* واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة\* والسابقون السابقون\* اولئك المقربون»<sup>٣</sup>.

اذا فورثة القرآن بعد نبي القرآن هم المصطفون السابقون المقربون، دون اصحاب اليمين المقتصدين،

<sup>١</sup> . فأيات الإصطفاء هي بين نبي مصطفى «ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» (٣: ٣٣) -

ام وملك مصطفى: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس» (٢٢: ٧٥).

ومعصوم غير نبي «يا مريم ان الله اصطفاك..» (٣: ٤٢) وملك عادل مصطفى «قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم» (٢: ٢٤٧) ام دين مصطفى: «ان الله اصطفى لكم الدين» (٣: ١٣٢).

فاقل المصطفين في قرينة خاصة هم اعدل العدول!.

<sup>٢</sup> . الدر المنثور ٥: ٢٥١ - اخرج الطيالسي واحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة وفيه اخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم من هذه الامة وكلهم في الجنة. أقول: صحيح ان كلهم من هذه الامة كما تلمحناه من الآيات، وكلهم من اهل الجنة على شروط الاهلية، ولكن كيف يكون هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة؟ تنزيلاً للمصطفين الى منزلة الظالمين وترجيحاً للظالمين الى منزلة المصطفين؟.

<sup>٣</sup> . الواقعة ٥٦: ٧ - ١١.

فضلاً عن الظالمين المسلمين وان لم يكونوا من اصحاب المشئمة والداخلين في الجحيم!.  
ذلك المثلث البارع الرائع من مواصفات ورثة القرآن لا نجده في سائر القرآن اللهم إلا لنبى القرآن ثم  
من اورثوا القرآن من بعده.

وهنا قيد «ظالم» بـ «لنفسه» لاجراج الظالمين من المسلمين لغيرهم، فالمعتدون منهم الطغاة على  
الإسلام والمسلمين ليسوا من اهل الجنة والسلام.

و«منهم مقتصد» لا ظالم لنفسه، كاصل في حياته، ولا سابق بالخيرات، بل هم عوان بين ذلك، فهم  
المعتدلون من امة الاسلام عدولاً وسواهم ف «ظالم لنفسه» هم غير العدول الذين قد تنالهم  
الشفاعة وهم مصيرهم الى الجنة، من اصحاب الكبائر الصالحة للشفاعة، فاما امثال يزيد ومعاوية  
الطاغية واضرابهم من طغاة هذه الامة، فخارجون عن هذا التقسيم، داخلون مع الذين كفروا في  
الجحيم، ف «الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حوم قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حوم  
ربه»<sup>١</sup>.

فورثة القرآن العظيم علماً وعملاً وتطبيقاً هم المصطفون السابقون المقربون، فوق المقتصدين العدول  
فضلاً عن الظالمين! ومن ذا الذي يدعي ذلك الإصطفاء العاصم، المعصوم اهله من كل رين وشين!  
أهم الخلفاء الثلاث، المعترف بكثير اخطاءهم وخلافاتهم وتخلفاتهم بين اتباعهم؟  
ام هم الائمة الاربعة ومن يحذو محذاهم، المختلفين - في اقل تقدير - في تفهم الكتاب والسنة،  
والمختلفين احياناً عن نص الكتاب والسنة.

ام هم الائمة الإثني عشر الذين لم يختلفوا فيما بينهم، ولم يتخلفوا قيد شعرة عن الكتاب والسنة،  
وهم الثقل الاصغر بعد الكتاب: الاكبر؟! وهنا نجد تجاوباً فيهم بين الكتاب والسنة القدسية المحمدية

صلى الله عليه وآله.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> .) في معاني الاخبار مسندا عن الصادق عليه السلام قال: .. وفي الدر المنثور ٥ : ٢٥١ - اخرج جماعة عن ابي  
الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: «ثم اورثنا الكتاب..» فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة  
بغير حساب واما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً واما الذين ظلموا انفسهم فأولئك يحبسون في طول  
المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون: الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور  
شكور... .

اقول وقد تظافر مثله في نفس المصدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو المستفاد من الآية كما بيناه.  
وفيه عن ابن مردويه عن النبي صلى الله عليه وآله في «ومنهم ظالم لنفسه» قال: الكافر وهو خلاف ظاهر الآية كما بيناه.

<sup>٢</sup> .) في تفسير البرهان ٣ : ٣٦٣ عن ابن بابويه القمي بسند عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام  
مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع اليه في مجلسه جماعة من اهل العراق وخراسان فقال المأمون اخبرني عن معنى  
هذه الآية «ثم اورثنا الكتاب..»؟ فقال العلماء اراد الله عز وجل الامة، فقال المأمون: ما تقول يا ابا الحسن عليه السلام  
فقال الرضا عليه السلام لا اقول كما قالوا ولكن اقول: اراد العترة الطاهرة، فقال المأمون: وكيف اراد العترة الطاهرة؟  
فقال له الرضا عليه السلام لو اراد الامة لكانت باجمعها في الجنة لقول الله تبارك وتعالى «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم

وهنا «باذن الله» يخص «سابق بالخيرات» اذنا تكوينيا وشرعيا لسبقهم سائر الخيرين في الخيرات وهو العصمة القمة المتعالية، دون «ظالم لنفسه» حيث الظلم غير مأذون في تشريع ولا تكوين، وكذلك «مقتصد» فان الله لا يقتصر من عباده بالاقتصاد في معرفته وطاعته!

فاذنه تعالى للسابق بالخيرات هو ارادة التطهير وكما في آية التطهير: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا»<sup>١</sup>

هنا «باذنه» وكما في الدعوة الرسالية: «وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا»<sup>٢</sup> او يرسل رسولا فيوحي ما يشاء انه علي حكيم»<sup>٣</sup> كما «ما من شفيح إلا من بعد اذنه»<sup>٤</sup> ويمسك السماء ان تقع على الأرض إلا باذنه»<sup>٥</sup>

فهناك للمصطفين السابقين إذن يخصهم، تكوينيا في عصمة وتشريعا في ولاية شرعية، لا يعم سواهم فكما «النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم» كذلك ورثة الكتاب طاعتهم مفروضة على من سواهم: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم»<sup>٦</sup> الذين وُلّوا وراثّة الكتاب بعد وحيه الى الرسول، فولوا ازمّة امور المسلمين كما وُلّي!

ولان «سابق» مطلق غير محدد، فسبقهم - اذا - مطلق غير محدد، فهم السابقون على كافة المصطفين

---

مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها» فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم، فقال المأمون، من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم في كتابه فقال عز وجل: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما، ايها الناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم.

<sup>١</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٣٣ .

<sup>٢</sup> . ( الاحزاب ٣٣ : ٤٦ .

<sup>٣</sup> . ( الشورى ٤٢ : ٥١ .

<sup>٤</sup> . ( يونس ١٠ : ٣ .

<sup>٥</sup> . ( الحج ٢٢ : ٦٥ .

<sup>٦</sup> . ( النساء ٤ : ٥٩ .

على مر الزمن في الإصطفاءات، اللهم إلا من أوحى إليه القرآن!. ولأن «الخيرات» جمعا محلى باللام تعم كافة الخيرات عدّة وعدّة، فهي الخيرات المعرفية والعقائدية والعملية. أما هيبة، المعنية من «ويطهركم تطهيرا» المسبوقة بـ «انما» الحاصرة فيهم قمة العصمة الإلهية.

وليس السبق هنا زمنيا - اذ ليس له فضل على اللاحق الأفضل، بل هو سبق في الرتبة، كما الرسول في كونه «أول العابدين» مهما سبق في علم الله وتقديره سبقهم هذا!.

فهؤلاء الأكارم الذين اورثوا الكتاب بعد الرسول صلى الله عليه وآله سبقوا بعده كافة السابقين في ميادين الخيرات ومسارحها، فلذلك يفضلون على سائر النبيين في سباق الخيرات طول الزمان وعرض المكان!. ترى ولماذا يتقدم في هذا العرض العريض ظالم لنفسه على مقتصد وهما على سابق بالخيرات، والأخير متقدم في ناصية الآية «الذين اصطفينا..»؟

انه بيان لطرف الإصطفاء، تقدما للاكثر افرادا «ظالم لنفسه» حيث تربوا سيئاته لنفسه على حسناته، ثم «مقتصد» قد تتعادل سيئاته وحسناته، ام هو عادل، ثم «سابق بالخيرات» المصطفين من بينهم اذ ليست لهم سيئات!. لا قصورا ولا تقصيرا، ولا في نية او طويهن بل سابقون - كل سابق - بالخيرات كل الخيرات: علميا، عقديا، معرفيا وعمليا، في الطول التاريخي، الا خاتم النبيين صلى الله عليه وآله فهو «اول العابدين» في مثلث الزمان على كافة العابدين.

## ولاية الكافرين

- ١ -

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ\* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»<sup>١</sup>  
«تولى» الطليقة هنا عن كل تعلق، تتولى كلاً من الإنصاف «الى» ك «ثم تولى الى الظل» او «عن»: ثم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق<sup>٢</sup> وهما الخروج من عند من كنت عنده، كما

<sup>١</sup> . ( البقرة ٢ : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

<sup>٢</sup> . ( التوبة ٩ : ٩٢ .

الأخنس عن النبي ﷺ وفعل ما فعل ككل نسناس خناس، وكذلك تولي الحكم تقبلاً للولاية بتكلف عارم وهم صارم ك «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم»<sup>١</sup> حيث التولي المطلق ظاهر في الولاية والزعامة، ولكن الثاني ألمح من جو الآية وألمع، فإن الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل بحاجة إلى سلطة على أية حال، ثم «أخذته العزة بالإثم» دليل ثان على تولي الحكم مهما كان قليلاً، إذ العزة هنا هي سلطة ما بها يستطيع على الإفساد قدرها. هذا! إلا أن لفظ الآية يشملهما، حيث السلطة المقتضية للإفساد والإهلاك تقدر بقدرهما، فقد تكون قدر الإفساد الذي يستطيعه ككل مفسد في الأرض، وأخرى إفسادا واسعا في بلد او قطر أما زاد حسب سعة السلطة.

إذا فكل تول فاسد مفسد تشمله «وإذا تولي» وأصدق مصاديقها السلطات الشريرة على مر الزمن فانها بدورها «سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل»..  
إهلاك الحرث والنسل هما من أنحس مصاديق الإفساد في الأرض، وترى الحرث - إذا - تختص بحرث الزرع حنطة وشعيرا وما أشبه، وإهلاك حرث الدين والعقيدة أهلك وأهلك، تسويدا لصفحة الإنسانية، وإهلاكا لكل حيوياتها!.

«الزرع» هنا تعم كل المحاصيل الإنسانية الصالحة، مادية وروحية: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب»<sup>٢</sup> وحرث الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح المعبر عنهما بـ «الدين»<sup>٣</sup> وهو الحياة الإيمانية المحلقة على حسنة الدنيا والآخرة، فمهما شمل «الحرث» هنا الزرع،<sup>٤</sup> ولكنه ليس ليختص به.

ثم ومن الحرث النساء: «نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم»<sup>٥</sup> ومن إهلاكهن هو إهلاك الأنثوية الصالحة لهن بدعارة وتخلّف جنسي، ام نشوز جماعي، ولا سيما في حقل الزوجية وبالنسبة للناشئة الوليدة، والنسل هو الذرية المنتسلة، واهلاك النسل يعم «الناس»<sup>٦</sup> ككل فإنهم منتسلون من

<sup>١</sup> . ( محمد ٤٧ : ٢٢ .

<sup>٢</sup> . ( الشورى ٤٢ : ٢٠ .

<sup>٣</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٣٠٤ عن المجمع وروي عن الصادق عليه السلام ان الحرث هنا الدين .

<sup>٤</sup> . ( المصدر عن ابي الحسن عليه السلام والحرث الزرع، وفيه عن الصادقين عليهما السلام والحرث الأرض .

<sup>٥</sup> . ( آل عمران ٣ : ٢٢٣ .

<sup>٦</sup> . ( المصدر عن المجمع عن الصادق عليه السلام «والنسل الناس» .

الأبوين الأولين وَمَنْ بعدهما من الآباء، فهو - إذا - إبادة الناس بحرب وسواها. وكذلك ذرية الناس إجهاضاً للأجنة، أم قتلاً لهم بعد الولادة صغاراً وكباراً، ثم وإفساداً للنسل بضروب التخلفات الجنسية لواطاً ومساحقة وزناً، ومن ثم إهلاكاً خلقياً وعقائدياً للناشئة، هذا وقد يشمل النسل الصالح لسائر الحيوان، حيث النسل هنا لم يختص بنسل الإنسان، فقد انتظمت الآية أصول الإفساد في الأرض بثالوثها: عقائدياً واقتصادياً وأنفسياً، في كل أبعاد الإفساد «والله لا يحب الفساد». واصول الحرمات والنواميس وهي ناموس النفس والعقل والعرض والدين والمال، كما هي مشمولة ل «يفسد في الأرض» وهي أرض الحيوية الإنسانية، كذلك تشمله «ويهلك الحرث والنسل» فاي حرث للإنسان أحرث من دينه، وعقله الذي يعرف به دينه، وعرضه الذي هو أهم من ماله أو نفسه، ومن ثم ماله وكل ماله حاجيةً لحياته.

وأي نسل أنسل من حياته، ومن ذريته الصالحة انتسلاً وتربيةً، ف «يهلك الحرث والنسل» هو الإفساد في الأرض ككل، ام هما أهم ما فيه من إفساد.

وهؤلاء الساعون في الأرض فساداً يقرر جزاءهم باستئصال أيدي الفساد قدر الإمكان: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض...»<sup>١</sup> - ولو لا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»<sup>٢</sup>.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ»<sup>٣</sup>.

فمن السياج على تخلفات المفسدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ينتظمهما «اتق الله» ومن ثم الثورة الجماهيرية اجتثاثاً لجرثومة الإفساد.

وهذا اللدود الخصيم، المنافق اللئيم، حين يتولى فيسعى فيما يسعى «إذا قيل له اتق الله» في أرض الله وبين عباد الله «أخذته العزة بالإثم» فعزة التولي الحاصلة بالإثم أخذته بالإثم.

فالبراء في الأولى للسببية والثانية للتعدي، وقضيتها إن عنيت وحدها «إلى الإثم» إلا أن عنيتهما مع بعض تقتضي الباء.

وبطبيعة الحال العزة الحاصلة بالإثم، ودون حق إلا رعونة السلطة وحظوة الرئاسة، هي تأخذ صاحبها كل مأخذ من إثم، لئياً لعنق الغي، وإصراراً على الإفساد أو يزيد، كيف لا؟ وقد تأخذ العزة الحاصلة بغير إثم - وبحق وصلاح - تأخذ صاحبها اخذة الغرور والإستكبار، فتحمله على الإفساد، ولكن أين أخذة من أخذة، وأين افساد من إفساد ف : «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون

<sup>١</sup> . ( المائدة ٥ : ٣٣ .

<sup>٢</sup> . ( آل عمران ٣ : ٣٥١ .

<sup>٣</sup> . ( البقرة ٢ : ٢٠٦ .



علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»<sup>١</sup>.

عزة الطغوى - هي بطبيعة الحال - تأخذ بالإثم، وأحيانا تأخذك إليه عزة التقوى، كمن اتقى ويرى نفسه فوق العظة فيتأنف على من يقول له «اتق الله» ولكن التقي الصالح ليس ليتجبر بتقواه، فتحمله على طغواه أمام من يعظه، بل هو صاغ له بكل إنصات، اللهم إلا لمن يسخر منه في عظته، او يفتري عليه فيها، يقول له اتق الله وصم حال أنه غير صائم، فهو هنا وهناك يعظه لكي يردعه عن عظته الطالحة الى عظة سالحة.

فكما على التقي النقي ان يصغي الى عظة ربه، كذلك إلى عظة الواعظين عن ربه، استصلاحا لنفسه، وتعبيدا لسبيل الإصلاح للمصلحين، وخالقا لجو العظة السالحة من الصالحين مهما كانوا فقراء ضعفاء لا دور لهم في دنيا الحياة.

فلتكن العظة السالحة بشروطها طليقة في كل الوجوه وبكل الوجوه، إنارة للوجوه، وإضاءة للأجواء بصالح الأخلاق.

فذلك النسناس الخناس الذي تأخذه العزة بالإثم، عليه ما عليه في الحياة الدنيا ثم «فحسبه جهنم ولبئس المهاد» ممهدة له بما مهّد، ومعدّة بما أعدّ، فانه بنفسه ونفسياته هنا جهنم، فحسبه نفسه البارزة في الأخرى جهنم يصلها.

#### ولاية الكافرين

- ٢ -

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ.<sup>٢</sup>

«الكافرون» هنا يعم ثالث الكفر إحادا وإشراكا وتوحيدا كتابيا.

والولاية المنهي عنها هنا هي مطلق الولاية ما صدقت، حبا وعمل الحب وقوله، والسلطة الكافرة، ثالث منحوس من ولاية الكافرين يجمعها التحبب والتودد اليهم كيفما كان.

<sup>١</sup> . ( القصص ٢٨ : ٨٣ .

<sup>٢</sup> . ( آل عمران ٣ : ٢٨ .

والإتخاذ في الاصل هو القصد الى اخذ الشيء والعزم عليه والتمسك به والملازمة له كما «اتخذ الله ابراهيم خليلاً»<sup>١</sup> - «لنتخذن عليهم مسجدا»<sup>٢</sup> - «واتخذوا من دون الله آلهة»<sup>٣</sup> انقطاعا اليها واقامة على عبادتها، فقلة الولاية قد لا يشملها الإِتخاذ حتى تخلف «ليس من الله في شيء» فانها من اللمم والسيئات غير الكبيرة المكفرة بترك الكبيرة: «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً».

فالمتخذون الكافرون اولياء من دون المؤمنين لا يؤمنون بالله مهما ادعوه، فهم بين ملحد يوالي الكافرين ولا يوالي المؤمنين، او مشرك او كتابي ومن أشبه يواليهما مع بعض. واما المتفلس في ولاية للكافرين في لفظة قول ام فعل خارجين عن الاستثناء، فلا يشملها «ليس من الله في شيء».

ثم «من دون المؤمنين» تعني من دون توحيد الولاية لهم كما «من دون الله» في إتخاذ من سواه، فكما الالحاد والاشراك في ولاية الله محذور، كذلك هما في ولاية اهل الله محذور، فانها استمرار لولاية الله.

إذا فولية الكفار محظورة في مثلها على أية حال، توحيداً لولايتهم دون المؤمنين - وهو الحاد - فأنحص وأنكى، ام اشراكا لهم بالمؤمنين في ولايتهم، فما صدقت ولاية الكافرين إتخاذا لها فهي محظورة، اذ كما تجب ولاية الله الموحد دون إلهاد به فيها ولا اشراك؛ كذلك تجب - على هامشها - ولاية المؤمنين الموحدة، دون إلهاد بهم فيها ولا اشراك، فان ولاية المؤمنين من خلفيات ولاية الله، فلا تتخلف عن ولاية الله اشراكا فيها للكافرين بالله.

فالمراد بالمنع هنا ليس ان يفردوا بالمولات فلا تمنع موالاتهم معهم! بل هو المنع من إتخاذهم اولياء جملة وتفصيلاً، كما إتخاذ من دون الله آلهة يعني ضمهم اليه في الألوهية.

والنهي بات في ثالوث المثنى، وهما توحيد الكفار في الولاية ام اشراكهم بالمؤمنين فيها على أية حال وان كان قليلاً ضئيلاً، فان «لا يتخذ» تجتث كل دركات الولاية في ثالوثها.

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء. كما المشرك بالله والملحد في الله ليس من الله في شيء: «في شيء» من مربع الولاية حبا وعمل الحب وقوله وسلطانه، اذ لا يرضى من عباده إلا توحيد الولاية له لا لسواه، وعلى هامشه اهل الله ف «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم» لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان

<sup>١</sup> . (النساء : ٤ : ٢٥).

<sup>٢</sup> . (الكهف : ١٨ : ٢١).

<sup>٣</sup> . (مريم : ١٩ : ٨١).

وايدهم بروح منه...<sup>١</sup> - وإما يُنسيك الشيطان فلا تتعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين<sup>٢</sup> - يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم...<sup>٣</sup> تلك هي المفصلة القاطعة دون أية مواصلة في ولاية بين كتلة الايمان والكفر، لاشذوذ عنها ولا استثناء فيها على أية حال، والولاية حبا وقولاً وعملاً وسلطة زمنية ام روحية، موحدّة في اهل الله محبورة، محظورة في غير اهل الله ولا سيما قلبيا وسلطة روحية فإنهما لا يلائمان الايمان على أية حال، وليست التقية الا في الثلاثة الوسطى على اختلافها في الحظر.

«إلا ان تتقوا منهم تقاة» ومع العلم ان التقية لا موقع لها ولا دور إلا في المظاهر، نعلم أن الاستثناء محصور فيها محصور عن الباطن، وهو المحبة القلبية والاعتقاد في ولايتهم وعقد القلب عليها، فهي اذا تقية اللسان، لا ولاء القلب، بل ولا ولاء العمل إلا عند الاضطرار.

فكما يستثنى مورد الاكراه في الكفر وليس إلا ظاهره: «من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان»<sup>٤</sup> كذلك التقية في ولاية الكفار ليست إلا فيما سوى القلب اكرهاها على المظاهر وقلبه مطمئن بولاية موحدة للمؤمنين.

فقد بقيت عند التقية الولاية الظاهرة اظهارة للحب قولاً او عملاً ثم ولاية السلطة، والاستثناء ظاهر في أولاهما، منقسما الى تقية الخوف على أية حال وتقية الحب جذبا لهم الى الايمان فيمن يرجى منهم، إذ: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين. انما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»<sup>٥</sup>.

فما امكن جذب الكفار إلى الإيمان بتوليهم في ظاهر الحال وعشرة الأعمال، فهو من تكاليف داعية الايمان وقد يجب، وكما لهم كمؤلفة قلوبهم حق من الزكاة الواجبة مهما كانوا اغنياء، كما ويسلم على الكفار بنفس السبب كما سلم ابراهيم عليه السلام على آزر من قبل ان يتبين له انه من اصحاب الجحيم.

وعند الاياس منهم فلا ولاية إلا عند تقية الخوف على ما هو أهم من محذور الولاية نفسا وعرضا وما

<sup>١</sup> .( المجادلة ٥٨ : ٢٢ .

<sup>٢</sup> .( الانعام ٦ : ٦٨ .

<sup>٣</sup> .( المائدة ٥ : ٥١ .

<sup>٤</sup> .( النحل ١٦ : ١٠٦ .

<sup>٥</sup> .( الممتحنة ٦٠ : ٩ .

أشبهه.

واما ولاية السلطنة ولا سيما الروحية فالتقية فيها اضيق من الأخرى، حيث السلطنة الكافرة قاضية على خطوط الإيمان وخيوطه مهما كانت بصورة تدريجية، فلا تقية فيها على أية حال، اللهم إلا إذا ترجحت ميزانية الحفاظ على النفس والنفيس على وجوب معارضة السلطنة الكافرة، وحرمة الإبقاء عليها تظاهرا بالولاء، ولا دور لهذه الرجاحة إلا في غربة غريبة للمؤمن، حيث لا يجد ناصرا له في دولة الكفر، ولا سبيل له للقضاء عليها او معارضتها عمليا وقوليا، فقد يتربص المؤمن في دولة الكفر - حين لا يجد حيلة لتك الموالاتة، ولا وسيلة للفرار الى دولة أخرى - يتربص نَظْرَةً ان يأتي دور المعارضة على السلطنة والقضاء عليها<sup>١</sup> وأية ولاية مسموحة بالنسبة للكافرين هي مقدره بقدر الضرورة في تقية الحب والخوف، دون استرسال فيها كما في المؤمنين حيث الضرورات تقدر بقدرها.

«ويحذركم الله نفسه والى الله المصير» فحذار حذار من ولاية الكفار كما اتخذ من دون الله آلهة، حيث الولاية هنا هي من فروع الإلحاد في الله والاشراك بالله، والمصير الى الله يقتضي الصمود على ولاية الله وولاية اهل الله «إلا ان تتقوا منهم تقاة»، وترى كيف «يحذركم الله نفسه»؟ والله نفسه لا يتحذر لانه عدل كريم!.

إنه يحذركم نفسه لمكانة عدله، فليس عذابه إلا من خلفيات عدله تعالى، وعمل «نفسه» دون «عقابه» قصداً الى خاصة عقابه الذي يأتي من قبله ويصدر عن امره، دون الذي يجريه على ايدي خلقه، حيث العقاب على الوجه الأول أبلغ ألماً وأشد مضمناً. ونفس الله هي ذاته سبحانه دون شيء من كيانه اذ لا يتجزء، فهي من إضافة الكائن إلى نفسه، ولا تأتي لله إلا مضافة دون أفراد.

هذا، ومن الولاية الظاهرة للكفار مخالطتهم التي تجركم إلى أهواءهم شئتم أم أبيتم، مخالطة قولية أو عملية هي الولاية الوسطى بعد المحبة وقبل السلطنة الكافرة، التي كانت مجالاً للتقية. فانها في غير تقية الخوف ككل، وغير تقية المحبة - في مجالاتها غير المحظورة - محظورة وقد نزلت فيما نزلت - بشأن الحظر عنها.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> ( . للوقوف على تفصيل البحث حول موارد التقية راجع تفسير الإكراه «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» في تفسير الفرقان .

<sup>٢</sup> ( . الدر المنثور ٢: ١٦ - أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمر وحليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس ابن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبيرة وسعد بن خيثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباظنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر فأنزل الله فيهم «لا يتخذ المؤمنون الكافرون...». وفيه أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين أولياء فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله: «إلا أن تتقوا منهم تقاة».

ولأن التقية هي وقاية الأهم بتفدية المهم فليراع فيها الأهم من المهم دونما فوضى جزاف، ان يُتقى بأس الكافر في خطر دخولاً في الأخطر، فانما التعرض للهلاك حفاظا على ادنى منه محظورا هو خلاف التقية المحبورة<sup>١</sup>.

فمن الايمان حفظ الأوجب في الايمان تفدية للواجب فيه كضابطة ايمانية صارمة، اذا ف «لا ايمان لمن لا تقية له»<sup>٢</sup> كما وان «التقية في كل شيء يضطر اليه ابن آدم فقد احله الله له»<sup>٣</sup> و«التقية تُرس الله بينه وبين خلقه»<sup>٤</sup> ولا ترس إلا في المعركة ففي معركة الصدام بين الأهم والمهم دور للتقية دائر حفاظا على الأهم، ولا بد - إذا - من تمييز الأهم في شرعة الله اجتهادا او تقليدا صالحا. فالتقية قد تكون واجبة حينما يحافظ بها على الأهم المفروض، أم محرمة حينما يهدر الأهم فيصبح المفروض كتقية السحرة من فرعون الطاغية، وثالثة تتخير بين المحظورين وهما المتساويان وقد فرض احدهما عليك، ورابعة يترجح احد المحظورين برجاحة غير مفروضة. ف «إلا ان تتقوا منهم تقاة» لا تعني إلا تقاة الأهم تركا للمهم الواجب وهو ترك توليهم، احرازا للأهم الأوجب وهو ترك النفس إذا كانت أنفس من الواجب الآخر. «قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>٥</sup>. اجل - وانه لا فارق في علم الله بين ما تخفونه في صدوركم وما تبدونه، ف «انه يعلم السر واخفى» بل وككل «ويعلم ما في السماوات وما في الأرض».

<sup>١</sup> .( نور الثقلين ١: ٣٢٥ في الإحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه لبعض اليونانيين: وأمرک أن تستعمل التقية في دينک فإن الله يقول «لا يتخذ... إلا أن تتقوا منهم تقاة» - وإياک ثم إياک أن تتعرض للهلاك وأن تترك التقية التي أمرتک بها فإنک شایط بدمک ودماء إخوانک، معرّض لنعمک ونعمهم للزوال، منذ لهم في أيدي أعداء الدين وقد أمرک بإعزازهم.

<sup>٢</sup> .( المصدر في تفسير العياشي عن الحسين بن زيد بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا إيمان... ويقول قال الله: «إلا أن تتقوا منهم تقاة».

<sup>٣</sup> .( المصدر عن جماعة من أصحاب الباقر عليه السلام سمعناه يقول: «التقية...».

<sup>٤</sup> .( المصدر عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ...

<sup>٥</sup> .( آل عمران ٣: ٢٩.

ذلك، وانه إمعان في التحذير والتهديد واستجاشة الخشية وافتقاء التعرض للنقمة التي يساندها العلم والقدرة، فلا ناصر منها ولا عاذر، وإلى حاذر العذاب في تجسد الأعمال:  
 «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»<sup>١</sup>  
 «ما عملت من خير» عليها تعم مربع العقائد والنيات والاعمال والأقوال، إذ أفرد العمل بالذكر، حيث العقيدة والنية هما عمل الجنان والآخرا ن هما عمل الأركان.  
 وعَلَّ «ما عملت» على اختصاصها بعمل الأركان تطوي العقيدة والنية الصالحتين، حيث العمل قولاً او فعلاً ليس خيراً إلا بصالح العقيدة والنية.  
 ثم الوجدان هناك كما هو وجدان نفس العمل بصورته وسيرته.

### ولاية الكافرين

- ٣ -

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»<sup>٢</sup>  
 هؤلاء المنافقون المصلحيون «الذين يتربصون بكم» سجال الحرب «فإن كان لكم فتح من الله» وهم أولاء غير فاتحين ولا متفتحين معكم في جبهات القتال «قالوا ألم نكن معكم» في الايمان.  
 إذا فلنا نصيب من غنيمة الفتح كما لكم نصيب «وان كان للكافرين نصيب» من الحرب وليس فتحا أيا كان، ولا من الله تأييدا لهم «قالوا» لهم «ألم نستحوذ عليكم» إستحفاظا لعلبكم عليهم «وغمعنكم من المؤمنين» بما كننا نوصلكم من أخبارهم مُنعة لكم عن أوضارهم؟.  
 وذلك من لقاء النفاق العارم، أنهم يلقون كلاً من المؤمنين والمنافقين بوجه إمساكا للعصا من وسطها، وتلويًا وتلويًا كالديدان والثعابين مذبيين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إنتفاعا من الجانبين

<sup>١</sup> .( آل عمران ٣ : ٣٠ .

<sup>٢</sup> .( النساء ٤ : ١٤١ .

وتحدُّرًا عن بأس الجانبين.

ففي فتح المؤمنين «أم نكن معكم» معية بقلوبنا، أم ومعية في نفس المعركة، فقد كانوا يخرجون إليها أحيانًا تخلصًا للصفوف وإظهارًا للوجود فيها مع كل حائطة على أنفسهم كيلا يُقتلوا أو يصابوا بشيء. وفي نصيب الكافرين «أم نستحوذ عليكم» أن غلبنا لكم من ذي قبل «ومنعكم من المؤمنين» حيث أزرناكم ووازرناكم بحمى ظهوركم وتخذيل المؤمنين لصالحكم إذ تخللنا في صفوفهم لصالحكم والتجسس والتحسس لكم، حيث الإستحواذ هو الغلبة، وقد تعني - فيما عنت - أن البعض منكم همتمم الدخول في الإسلام ونحن حدُّرناكم عنه فغلبناكم على ما همتمم فغلبتم عليهم، فهاتوا نصيبنا من غلبكم عليهم لأن لنا شطرا من ذلك الغلب.

فهم أولاء الأنكاد البعاد بطنوا في قلوبهم السم ضد المؤمنين وعلى ألسنتهم الدهان لكي ينتفعوا من الجانبين ويأمنوا الضر من الناحيتين.

«فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

واقعيا لا حَوْلَ عنه ولا تحويل، مهما حكم يوم الدنيا شرعيا وبعض الواقع قدر ما لا يزول الإبتلاء من البين، ثم

«وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا».

فالكافر أيًا كان وأينما كان لا سبيل له على المؤمن، و«لن يجعل» سلب بات لواقع الجعل وشرعته، شرعيا يوم الدنيا، وواقعيا في النشآت الثلاث.

فالمؤمنون مزودون بكافة الآيات الربانية آفاقية وأنفسية، وبكافة الحجج الفطرية والعقلية والكونية والشرعية، ولا حجة للكافرين عليهم مكافحة، إلا تسويلات إبليسية لاسبيل لها الى المؤمنين، ف «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» «من طريق الحجة»<sup>١</sup> ولا أية محجة ومبلجة، فحجة المؤمنين بما جعل الله بالغة وحجة الكافرين دامغة.

ولأن الله يحكم بينكم يوم القيامة<sup>٢</sup> فليست الحرب السجال بغلب الكافرين على المؤمنين سبيلاً لهم عليهم حيث يجبر كل كسر لهم منهم يوم البرزخ والقيامة.

ثم إن ذلك الغلب هو بين محنة لهم ومهنة، محنة حين لم يقصروا في واجبههم تجاه الله، ترفيعا لدرجاتهم، ومهنة حين قصروا كما في أحد، ولن يضيع حق المؤمن بشرف الإيمان أينما كان.

فحين يجد المؤمنون سبيلاً للكافرين عليهم في سلطة زمنية أماهيه، فليس ذلك من جعله سبحانه في

<sup>١</sup> . ( الدر المنثور ٢: ٢٣٥ - أخرج عبد الرزاق والفرياني وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن علي عليه السلام أنه قيل له: أرايت هذه الآية «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» وهم يقاتلون فيظهرون ويقتلون؟ فقال: أدنه أدنه ثم قال «فإن الله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً».

<sup>٢</sup> . ( المصدر السابق.

شرعة له أو تكويننا منه كما من عنده، فصحيح أنه «كل من عند الله» ولكن «ما أصابك من سيئة فمن نفسك» شخصيا أو من أنفس الآخرين.

فالسطة الشرعية للكافرين على المؤمنين مستأصلة عن بكرتها في شرعة الله، والسطة الزمنية لهم عليهم كما الشرعية ليست من شرعة الله، فإنما هي لقلّة الهمم الإيمانية أمّاهيه من ملابسات قضيتها أن يتسلطوا علينا ردحا من الزمن ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتمّ الأعلون إن كنتم مؤمنين<sup>١</sup> ولن يضرّوكم إلا أذىً وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا يُنصرون<sup>٢</sup>، والمخاطبون هنا هم المؤمنون المحققون شرائط الإيمان فرديا وجماعيا، وذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم<sup>٣</sup>.

وليس قتل الكافرين الأنبياء والأئمة وسائر الصالحين سبيلاً منهم عليهم<sup>٤</sup> حيث الحجة الربانية بالغة على هؤلاء الظالمين، وليس من الله إلا عدم المنعة التكوينية عن هذه المظلمات، وقد يمنع أحيانا كما في نار إبراهيم وملاحقة موسى وإغتيال المسيح عليهم السلام، وفي ليلة المبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وكلّ حسب الحكمة العالية الربانية في أصليين أصليين، أصل الإختيارات وأصل الحفاظ على الرسالات.

وترى الشهداء في سبيل الله هم المغلوبون بسبيل القتل عليهم؟ وقد رفعت درجاتهم بالشهادة الكريمة والمغلوب هو القاتل الظالم إذ لم يقتل إلا الجسد وأما الروح فهو الغالب.

فليس لأسنة الظالمين ورماحهم نصيب إلا الأبدان وللأرواح التعالي وإرتفاع الدرجات، وأحسن بما أنشد في حق سيد الشهداء والإمام الحسين عليه السلام:

قد غير الطعن منهم كل جارحة سوى المكارم في أمنٍ من الغير

١ . (آل عمران ٣ : ١٣٩ .)

٢ . (آل عمران ٣ : ١١١ .)

٣ . (الأنفال ٨ : ٥٣ .)

٤ . (نور الثقلين ١ : ٥٦٤ في عيون الأخبار عن أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله في سواد الكوفة قوم يزعمون أن الحسين بن علي عليهما السلام لم يقتل وأنه ألقى شبهه على حنظلة بن أسعد الشامي وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليهما السلام ويحتجون بهذه الآية «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فقال كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبي الله صلى الله عليه وآله في أخباره بأن الحسين عليه السلام سيقتل والله لقد قتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيرا من الحسين أمير المؤمنين والحسن بن علي عليهما السلام وما منا إلا مقتول وإني والله لمقتول بالسم بإغتيال من يفتالي أعرف ذلك بعهد معهود اليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره به جبرئيل عليه السلام عن رب العالمين عز وجل وأما قوله «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فإنه يقول: «لن يجعل الله لهم على أنبياء عليهم السلام سبيلاً».



أجل «فإنه يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً». ثم «لن يجعل» تعم في الشرعي منه الإمضاء مع الإنشاء، فكما الله لن يجعل سبيلاً للكافرين على المؤمنين في أي حقل من الحقول فردية وجماعية، أحكامية وزمنية، كذلك لن يمض ما يجعله المؤمن على نفسه للكافر.

فلا ولاية للكافر على المؤمن أصلية ولا فرعية، ومن فروعها عدم ولاية الأب الكافر على الولد المؤمن اللهم إلا مصاحبة معه معروفة «وصاحبهما في الدنيا معروفًا».

ومنها عدم جواز نكاح المؤمنة بالكافر لعدم جواز طاعته عليها ولاية، إضافة إلى نص «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن»<sup>١</sup>، ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا»<sup>٢</sup>.

فسلطة الولاية وسلطة الملكية والمالكية أماهيه من سلطات وسبل لهم على المؤمنين منفية منهية، فليس للكافر أن يشتري عبدا مؤمنا، ولا يُقتل مؤمن بكافر ذميا وسواه، ولا يملك الكافر مال المؤمن بغنيمة وسواها إلا أن تكون تجارة عن تراض أماهيه من تعامل مشروع.

وترى حين تختص السبيل المسلوبة للكافرين على المؤمنين بهم، فهل المنافقون وسائر المسلمين الذين لمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم، هل للكافرين عليهم سبيل؟

المنافقون هم مثل الكافرين بحكم المماثلة المنصوصة في الآية إلا فيما خرج بقاطع البرهان كظاهر الأحكام الإسلامية التي تعم كافة المسلمين، ثم الباقيون داخلون في المؤمنين بقرينة قرنتهم بالكافرين والمنافقين.

فحين تعم «يا أيها الذين آمنوا آمنوا» مؤمني أهل الكتاب وسائر الموحدين، فكيف لا تشمل هنا طليق «المؤمنين» غير المنافقين الرسميين، الذين آمنوا بهذه الرسالة السامية مهما كانوا فيه درجات! فكما لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين بهذه الرسالة سبيلاً، كذلك لن يجعل الله للكافرين بسائر الرسائل على المؤمنين بها سبيلاً، ولن يجعل للمشركين والملحدين على الموحدين سبيلاً، ضابطة عامة روعيت فيها رجاحة الإيمان بدرجاته على أية حال.

ذلك! فالقدر المعلوم هنا من «المؤمنين» المؤمنون - على درجاتهم - بهذه الرسالة السامية، فكما لا سبيل للكافر عليهم، كذلك لا سبيل للمنافق عليهم مثلاً لا يتفارقان إلا في البعض من المظاهر المنافقة، فلا يجوز تزويج المؤمنة بمنافق ولا منافقة بمؤمن حيث الغاية المجوزة في آية البقرة «حتى يؤمنوا... وحتى يؤمن» والمنافق ليس مؤمناً، بل هو أكفر من الكافر وكذلك كافة الأحكام التي موضوعها الإيمان لا تشمل المنافقين والمنافقات، مهما شملت المسلمين والمسلمات ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم.

فهذا وعد يحمل كل إنشاءٍ واخبارٍ من الله، يستأصل كل سبيل للكافرين والمنافقين على المؤمنين،

<sup>١</sup> . (الممتحنة ٦٠ : ١٠).

<sup>٢</sup> . (البقرة ٢ : ٢٢١).

فالهزائم اللاحقة بالمؤمنين ليست إلا من خلفيات ثغرات في إيمانهم، في شعورهم أو عملهم. فحين يؤمر المؤمنون بأن لا حول عنه .وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة... فلا يعني إنهم أحياناً عن الكفار إلا إنهم عن ذلك الإعداد المستطاع.

ولئن تتبعنا الهزائم الإسلامية طول التاريخ الإسلامي، نجدتها كلها من مخلفات ثغرات، ففي أحد ثغرة ترك الطاعة لقائد القوات المسلمة الرسولية.

«ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين..»

فإعجاب المؤمنين بكثرتهم ثغرة في محكم إيمانهم، يبتليهم الله بهزيمة وقتية لكي ينتبهوا ثم نصرهم بإيمانهم لما انتبهوا ف «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين... ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم»<sup>١</sup>.

والهزيمة الإبتلائية للمؤمنين كما في حنين وكذلك هزيمة البلاء كما في أحد، كانت هزيمة ظاهرية حملت معها قوة في نفوس المؤمنين، حيث تبعث الهمة وتدكي الشعلة وتبصر - لمزالق وتكشف عن الأخطاء عن طبيعة المعركة، فإنها تقدمات للعلب بعد الهزيمة مهما طال الطريق.

ف «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً. تقرر إنتصار الروح الإيمانية على مدار الزمن، غالبين في المظاهر أو مغلوبين.

فكما الله عزيز غالب على أمره، كذلك المؤمنون بالله هم أعزة لا يذلون ولا يُذَلُّون ما هم مؤمنون، فهناك فرق بين دعوى الإيمان ومظهره وحقيقته، فحقيقته في التصور والعقيدة والعمل لا تُغلب أبداً، ولكن دعواه دون مظهر، أو مظهر دون حقيقة، إنها بطبيعة الحال تُغلب كما يُغلب سائر من لا حقيقة له.

«إِنَّ الْمُتَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»<sup>٢</sup>.

«يخادعون الله»: يعاملون معه عمل المخادع كأنه - وعوداً به - يُخَادِعُ «وهو خادعهم» كما هم يخادعون، ولكن أين مخادعة من مخادعة. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون»<sup>٣</sup> ف «إن الله عز وجل لا يخادع ولكنه يجازيهم جزاء الخديعة»<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> . (التوبة ٩ : ٢٧ .

<sup>٢</sup> . (النساء ٤ : ١٤٢ .

<sup>٣</sup> . (البقرة ٢ : ٩ .

ذلك ومن مخادعتهم الله «وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى» قاموا حال أنهم كسالى وهم في كل أحوالهم في القيام الى الصلاة كسالى «وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين» وعبءٌ وحمل ثقيل على الذين لا يؤمنون.

«يراءون الناس» حتى في قشر الصلاة، فلولا الناس لتركوها كما تركوا باطنها. «ولا يذكرون الله» بألسنتهم «إلا قليلاً» ذكروا قليلاً، وقليلاً منهم، فلا يذكرونه بقلوبهم لا كثيراً ولا قليلاً لأنهم لا يؤمنون، ثم وحتى لو ذكروا الله بألسنتهم كثيراً فهو قليل في ميزان الله<sup>٢</sup> حيث الذكر إنما هو بالعدّة الباطنية لا بالعدّة الظاهرية إلا إذا صاحبها الباطن. فذلك الثالث بشأن الصلاة هو الشأن الشائن الفاتن للمنافقين. فهم لا يقيمون الصلاة بل يقومون الى الصلاة كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، فيذكرون الله في الصلاة لفظاً باللسان فيما يجهر فيه إذا كانوا مع المؤمنين ثم يتكون سائر الذكر واجباً أو راجحاً إذ لا يؤمنون.

كما وفي غير الصلاة لا يذكرون الله متجاهرين إلا إذا لزم الأمر لمصلحة النفاق، فذكرهم المخصوص بألسنتهم، قليل في قليل في قليل مهمما كان كثيراً إذ ليس له معنى في القلب، وقليل في ظاهر اللسان إذ ليس إلا إذا لزم الأمر، وقليل في إخفاته باللسان إذ ليس كذلك إلا إذا لزم الأمر، قلات ثلاث وهي بثلوها قليلة بجنب ذكر المؤمنين مهما كان قليل المظاهر. فالصلاة حالة الكسل حالة منافقة وإن حصلت للمؤمنين بفارق أن حال المنافقين في حقل الصلاة كلها كسل، والمؤمن قد تتفق له تلك الحالة البتيسة. وهم يراءون الناس في كل عباداتهم ومظاهر أفعالهم وليس كذلك بسطاء المؤمنين فضلاً عن وسطائهم أو الكملين.

وهم لا يذكرون الله على أية حال إلا قليلاً، والمؤمنون قد يذكرونه كثيراً وأخرى قليلاً، ثم وذكر المؤمن

---

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٥٦٥ في عيون الأخبار عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال سألت الرضا عليه السلام - إلى أن قال - وسألته عن قول الله عز وجل «سخر الله منهم» وعن قوله «يستهيء بهم» وقوله تعالى «ومكروا ومكر الله» وعن قوله عز وجل «يخادعون الله وهو خادعهم» فقال: إن الله عز وجل لا يُسخر ولا يُستهيء ولا يُمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الإستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

<sup>٢</sup> . ( المصدر ٥٦٦ في أصول الكافي قال أمير المؤمنين عليه السلام من ذكر الله عز وجل في سر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر فقال الله عز وجل: يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

وفي الدر المنثور ٢ : ٢٣٧ - أخرج مسلم وأبو داود والبيهقي في سننه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً.

كأصل هو بكل القلب واللسان وذكر المنافق لا يتجاوز اللسان.  
 أجل وهؤلاء المنافقون ليسوا من الكافرين - بفارق مظاهر الإيمان - وليسوا من المؤمنين - إذ هم في قلوبهم كافرون - وليسوا من المسلمين - ولما يدخل الإيمان في قلوبهم - إذ لا ينتظر منهم إيمان حيث تعرّف الكفر في قلوبهم - يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله.<sup>١</sup>  
 ذلك «وللمنافق ثلاث علامات: يخالف لسانه قلبه وفعله قوله وعلايته سريره وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع حتى يأتّم، وللمراي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده<sup>٢</sup> وينشط إذا كان الناس عنده ويتعرض في كل أمر للمحمدة.<sup>٣</sup>  
 فيا أيها المؤمن «لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلال النفاق»<sup>٤</sup> ف «من حسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك إستهانة إستهان بها ربه»<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٥٦٥ في أصول الكافي عن محمد بن الفضيل قال كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسألة فكتب إلي: إن لمنافقين - إلى - فلن تجد له سبيلاً ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر لعنهم الله.

<sup>٢</sup> . ( وفيه عن معاني الأخبار عن عبد الله بن سنان قال كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال له رجل من الجلساء جعلت فداك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أخاف علي أن أكون منافقاً فقال: إذا خلوت في بيتك نهاراً أو ليلاً أليس تصلي؟ فقال: بلى فقال: فلمن تصلي؟ فقال: لله عز وجل فقال كيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عز وجل لا لغيره؟.

<sup>٣</sup> . ( المصدر في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال لقمان لابنه يا بني لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها - إلى قوله - وللمنافق ..

<sup>٤</sup> . ( المصدر في كتاب العلل بإسناده إلى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل يقول فيه: ولا تقم إلى الصلاة... وقد نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني من النوم وقال للمنافقين «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً».  
 أقول: يعني من النوم بيان لأخف المصاديق للسكر وأخفاها فإن أصل السكر من الخمر.

<sup>٥</sup> . ( الدر المنثور ٢ : ٢٣٥ - أخرج أبو يعلى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ...

والكسل على أية حال فشل، إن في أمر الآخرة فلها وإن في أمر الدنيا فلها<sup>١</sup> و«مثل المنافق مثل جذع أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنيانه فلم يستقم له في الموضوع الذي أراد فحوّله في موضع آخر فلم يستقم فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار»: <sup>٢</sup> «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ»<sup>٣</sup>

«مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا»<sup>٤</sup>

حالة جامعه جامعة للمنافقين «مذبذبين بين ذلك» الذي سبق من إيمان وكفر. والذبذبة هي الحركة الدائبة وتنقله مستمرة كذبذبة الساعة غير المستقرة على حال، وقد تكون مركبة من «ذب - ذب» فكلما يميلون الى جانب يذبون عنه الى آخر، فلأنه مكرور منهم دون ثبات فهم إذا «مذبذبين بين ذلك» ثم «لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء» تفسر تلك الذبذبة الحائرة المائرة: «لا الى هؤلاء» المؤمنين باطنا الى ظاهر، «ولا الى هؤلاء» الكافرين ظاهرا الى باطن، فقد اقتسموا إسرارهم وإعلانهم بين الفريقين، يعتذرون الى كل إن عرفوا حالهم أنهم لمنهم، فإمّا يسايرون عدوهم مستهزئين، وذلك هو الضلال المبين.

«ومن يضل الله» بما ضل هو نفسه عن سواء الصراط «فلن تجد له سبيلاً» الى الهدى: «ولما زاغوا أزاغ قلوبهم» فقد ذبذبوا أنفسهم بين ذلك فأضلهم الله بأن ذبذبهم «فلن تجد له سبيلاً» حيث أذاقهم الله وبال أمرهم.

ذلك والذبذبة بين الحق والباطل هي نفاق عارم على أية حال، مهما تسربت الى بعض المؤمنين البسطاء دون الفضلاء والوسطاء.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا لَكُمْ سُلْطَانًا

<sup>١</sup> . المصدر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه، وفيه قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فتتجا بينهما الفقر.

وفيه عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إن المنافق ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي وإذا قام إلى الصلاة اعترض قلت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وما الاعتراض؟ قال: الالتفات فإذا ركع رخص يمسى وهمه العشاء وهو مفطر ويصبح وهمه النوم ولم يسهر وإن حدثك كذب وإن ائتمنته خانك وإن غبت اغتابك وإن وعدك اخلفك».

<sup>٢</sup> . المصدر عن سعيد بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المنافق...

<sup>٣</sup> . المنافقون ٦٣: ٤.

<sup>٤</sup> . النساء ٤: ١٤٣.

مُبيناً.<sup>١</sup>

لقد كان للأنصار بالمدينة في بني قريظة رضاع وحلف ومودة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله من نتولى؟ فقال: المهاجرين، فنزلت الآية.<sup>٢</sup>

و«الكافرين» هنا تعم المنافقين وسائر الكافرين بل هم أولاء أكفر منهم وأضل سبيلاً لتجسسهم في نفاقهم عن المؤمنين واضلالهم بسطاءهم في عشرتهم اللئيمة.

فإتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين هو إتخاذ للشيطان وليا من دون الله وهذا سلطان مبين لله على هؤلاء.

إِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا.<sup>٣</sup>

الدرك هو الهابط كما الدرج هو الصاعد، فكما للجنة درجات حسب درجات المؤمنين، كذلك للنار دركات حسب دركات الكافرين: «لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم»<sup>٤</sup> وقد تكون أبوابها عمودية فوق بعض فأسفلها هو الدرك الأسفل، فلأن «لكل باب منهم جزء مقسوم» فليست النار فسحة واحدة فإن مختلف أبواب فسحة واحدة لا تخلّف مختلف العذاب، فهي - إذا - أبواب سبعة سفلى بعض أسفلها جحيم المنافقين، فلأن المنافقين هم في أهبط دركات الكفر، فهم - إذا - في الدرك الأسفل من النار.

وهذا مخصوص بالمنافقين الرسميين لأنهم «أئمة يدعون الى النار» دون من يوافقهم في بعض النفاق وهم مؤمنون.

وقد يروى عن رسول الهدى صلى الله عليه وآله قوله «معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون. معاشر الناس إن الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأشياهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مئوى المتكبرين»<sup>٥</sup>.

هؤلاء المنافقون الذين عرف الله بهم في بضع آيات وهددهم بما هددهم والى الدرك الأسفل من النار، فهل لهم بعد من توبة؟ أجل:

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ١٤٤ .)

<sup>٢</sup> . (تفسير الفخر الرازى ١١ : ٨٦ والسبب فيه أن الأنصار...)

<sup>٣</sup> . (النساء ٤ : ١٤٥ .)

<sup>٤</sup> . (الحجر ١٥ : ٤٤ .)

<sup>٥</sup> . (نور الثقلين ١ : ٥٦٧ في كتاب الإحتجاج عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل وفيه يقول: ..)

الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا.<sup>١</sup>

هنا الإستثناء يعم كل الكافرين منافقين وسواهم، فليس باب التوبة مسدودة ما وجدت إليها سبيلاً مهما كنت كافراً أو منافقاً فضلاً عن فاسق.

وهذه المعية المشرفة لهم بالمؤمنين تتبناها قواعد أربع هي التوبة والإصلاح والإعتصام بالله وإخلاص الدين لله، جبراً لكل كسر هو من خلفيات الكفر والنفاق في كل دركاتهما.

ذلك ولا نجد مريع التوبة إلا هنا لأنه يواجه نفوساً منافقة مذبذبة متولية عن الله إلى سواه فلا بد لها في سبيل التوبة أسباب زائدة على العاصين الآخرين.

١ - «إلا لذين تابوا» عن كفرهم نفاقاً وسواه، رجوعاً إلى الله بقلوبهم فأعمالهم دون خاوية الأقوال.

٢ - «وأصلحوا» ما أفسدوا من أحوالهم وأحوال المؤمنين قدر المستطاع، إذ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

٣ - «وأعتصموا بالله» في تلك التوبة وذلك الإصلاح وفي سبيل الفلاح إلى الله، بعدما اعتصموا بما سواه.

٤ - «وأخلصوا دينهم» وطاعتهم «الله»، بعد ما أخلصوه لما سواه، فالإخلاص هو الأصل في كل عمل ف

«أخلص دينك يكفك القليل من العمل»<sup>٢</sup> و«طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل

فتنة ظلمات»<sup>٣</sup> ف «ما أخلص عبد لله أربعين صباحاً إلاّ ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»<sup>٤</sup>

و«قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته

مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة، فأما الأذن فقمع والعين مقرة لما يوحي القلب وقد أفلح من

جعل قلبه واعياً»<sup>٥</sup> أجل «ألا لله الدين الخالص»<sup>١</sup> عن كل شوب. قل الله أعبد مخلصاً له ديني»<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ١٤٦).

<sup>٢</sup> . ( الدر المنثور ٢ : ٢٣٦ - أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وابن أبي حاتم والحاكم وصححه البيهقي في الشعب عن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله حين بعثه إلى اليمن أوصني قال: اخلص... )

<sup>٣</sup> . ( المصدر عن ثوبان سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: طوبى.. )

<sup>٤</sup> . ( المصدر أخرج ابن أبي شيبة والمروزي في زوائد الزهد وأبو الشيخ بن حبان عن مكحول قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما اخلص... )

<sup>٥</sup> . ( المصدر أخرج أحمد البيهقي عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد أفلح... )

وفيه أخرج البيهقي عن أبي فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سلوني عما شئتم فنأدى رجل يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة قال فما الإيمان قال: الإخلاص، قال فما اليقين؟ قال: التصديق بالقيامة، وفيه أخرج البزار بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حجة

وللإخلاص لله بُعدان إثنان، خَلَقِي بتقديم كافة المحاولات لكامل الإخلاص حسب المستطاع، ورباني يُتَمَّ إخلاص العبد فيجعله خالصاً طليقاً لله لا نصيب فيه لمن سواه، والآخرون هم المعصومون، والأولون يتطرقون طرق العصمة.

فإذا تحققت هذه الشروط الأربع «فأولئك مع المؤمنين» والمؤمنون هنا هم الأصلاء في الإيمان الذين تعرقت فيهم وتقومت هذه القواعد الأربع.

فلأن هؤلاء التائبون الآتبون الى الله هم في بداية المسير ولماً تتحقق فيهم هذه القواعد، «فأولئك مع المؤمنين» الأصلاء وليسوا منهم.

ذلك وكما الطالبون لهديهم الصراط المستقيم هم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» ما لم يصلوا الى ما وصلوا، فإذا وصلوا فهم منهم وليسوا معهم.

(١)

حرمة العمل بالظن

و

وجوب اتباع العلم

«إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً»<sup>١</sup>

الوداع: «نضر الله إمرأاً سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط من وراءهم» وفيه أخرج النسائي عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم.

<sup>١</sup> .( الزمر ٣٩ : ٣ .

<sup>٢</sup> .( الزمر ٣٩ : ١٤ .

<sup>٣</sup> .( النجم ٥٣ : ٢٧ - ٢٨ .



كلام في العلم والظن:

مما لا بد منه أن تكون كل حالة نفسية أمام الواقع، مسنودة الى برهان مبين، سواءً أكانت قطعاً أو علماً أو ظناً أو شكاً أو وهماً<sup>١</sup> وإن كان البرهان هو عدم وجود الدليل أو عدم وجدانه، فالظن غير المسنود إلى دليل وثيق مرفوض، فإنه ظن الهوى وليس ظن الهدى.

وهنا يندد بظن الهوى مرة أخرى بعدما مضى: «ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى».

فالظن ظنان: ظن من هوى وهو مردول، وظن عن هدى وإليها وهو مقبول، فهنا تُعرضنا الآيات على التمسك بالعلم، ولكنه ليس ليحصل دوماً وفي كل شيء، فليكتفَ بالظن المسنود إلى العلم، والنابع عنه، فإنه اتباع للعلم، كالأدلة والأصول، غير المفيدة للعلم، الاستفادة من العلم: عقلاً ونقلاً: كتاباً وسنة، فهي داخلة في اتباع العلم، خارجة عن الظن المرفوض.

ففي ساحات الحجاج لإبرام أمر أو نقضه: «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون»<sup>٢</sup> تنديداً باتباع ظن الهوى، وإن كان اعتقاداً راجحاً، فضلاً عن الشك والوهم، بل وكذلك العلم الحاصل عن الهوى دون أصل وثيق أو هدى أو كتاب منير: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»<sup>٣</sup>. «أئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين»<sup>٤</sup>. «أن تطؤوهم فتصيبكم معرّة بغير علم»<sup>٥</sup>. «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا»<sup>١</sup>. «نبئوني

<sup>١</sup> . من الملاحظ ان القرآن قد يصف الشك بأنه مريب، مما يدل على أن من الشك ما لا يريب، فالشك

المريب هو المسنود إلى برهان متين يسببه، وغير المريب ليس الا شك الهوى، وكما ان من العلم واليقين ما هو نابع عن الهوى، ومهما لم يكن ردع هذا القاطع عن قطعه ما دام قاطعاً، الا ان بالامكان تنبيهه على خطاء الطريق، وبذلك يزول قطعه، وهكذا قطع ليس بحجة لأن مقدماته الخاطئة اختيارية، مهما لم تكن ازالة القطع دون نظر ثانوي ثاقب الى المقدمات خارجة عن الإختيار.

وقد يسمى القطع والعلم الحاصل عن الهوى ظناً ويراد به الوهم، كما يراد من الظن في الآيات الرادعة عن الظن والعمل به.

<sup>٢</sup> . الانعام ٦ : ١٤٨ .

<sup>٣</sup> . لقمان ٣١ : ٢٠ .

<sup>٤</sup> . الاحقاف ٤٦ : ٤ .

<sup>٥</sup> . الفتح ٤٨ : ٢٥ .

بعلم إن كنتم صادقين<sup>٢</sup>. إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم<sup>٣</sup>.  
 فإنما المغني من الحق هو علمٌ أو أثارة منه، أو هدىً أو كتاب منير ليس إلا.  
 فالعلم هنا، لكونه قرنَ كتاب منير أو هدىً، هو الحاصل عن غير الوحي، علم وجداني أو عقلي أو حسي، ومن ثم فـ «هدى» هذه، هي وحي يوحى إلى صاحبه، فـ «كتاب منير» كتاب يحمل وحي الله، فالأخير علم صادق قاطعة، والأولان علم دراية ذاتية، أو من وحي وهو أعلى منهما، وأثارة من علم هي رواية تحمل أثرا من العلم، مهما حصل منها علم أو دونه، وهو ظنٌ مسنود إلى علم أو كتاب منير.

فإنما الظن المرفوض، الذي لا يغني عن الحق شيئاً، هو ظن الهوى كما مضى، وظن الجاهلية: يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية<sup>٤</sup>. ظن لا يستند إلى علمٍ أو أثارة منه ولا هدىً ولا كتاب منير، وإنما إلى هوى جاهلية، كيفما كانت دركاته ودركاتها، فقد يكون علماً كما يخيل، أو اعتقاداً راجحاً أو شكاً أو وهماً، وتشملها كلها صيغة الظن، تعني الوهم، إذ لا سناد لها كلها إلا هوىً جاهلية، مهما زينتها بما يخيل إلى صاحبها أنها علمٌ! ولكنها بدركاتها لا تغني من الحق شيئاً<sup>٥</sup>.  
 كما وان للأربعة المسبقة من منابع العلم والظن الحق درجات، فمنها ما تغني من الحق كلَّ شيء، كالعلم الخالص المصيب، وهدى الوحي، من نصوص الكتاب المنير، الحامل للوحي، وظواهرها المناهضة للنص، فإنها تصيب ولا تخطأ، فهي تغني من الحق كل شيء.  
 ومنها ما تغني من الحق بعض الشيء، كالظن الحاصل من أثارة من علم، من رواية تحمل الوحي وعليها أثره، وهو موافقتها له وعدم مخالفتها إياه، كأخبار الآحاد، التي لا تنافي الكتاب والسنة القطعية، وتوافقهما اجماًلاً.

<sup>١</sup> . (الانعام ٦ : ١٤٨).

<sup>٢</sup> . (الانعام ٦ : ٤٣).

<sup>٣</sup> . (النور ٢٤ : ١٥).

<sup>٤</sup> . (آل عمران ٣ : ١٥٤).

<sup>٥</sup> . (كمن يقولون «ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر» - فيرد عليهم «ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون» (٤٥ : ٢٤) حيث اعتبر علمهم المدعى ظناً ووهماً - مهما كان علماً عندهم - اذ لا يستند الا الى الوهم).

وكظواهر الكتاب، والسنة القطعية، فيما تختلف فيها الأنظار، وبعد تثبت شامل، واجتهاد كامل، فإنها قد تفيد العلم، وقد لا تفيد إلا الظن، ومن هنا يأتي اختلاف الفتاوى، مهما كانت الأنظار ثاقبة، والأفكار صائبة، فإنها ليست بوحى مباشرة، أو نصا قاطعا.

فهذه الظنون النابعة عن ظاهر علم، أو أثارة من علم، إنها ليست مرفوضة لأنها تنبع عن هدى، دون جهل أو هوى، والآيات المنددة باتباع الظن، الأمرة باقتفاء العلم، الناهية عن اقتفاء غير العلم، لا تعني إلا التحرز عما يحصل عن جهل أو هوى، فالظن الحاصل عن علم أو هدى، هو علم وفي حساب العلم: «ولا تقف ما ليس لك به علمٌ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا»<sup>١</sup>. ثم الظن قد يكون ظن القلب، النابع عن علم من العقل، المتجاوب مع العمل، فهذا الظن أفضل من العلم غير المتجاوب مع العمل، غير الواصل الى القلب: «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين»\* الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون<sup>٢</sup>، فترى كثيرا من العالمين بعقولهم غير خاشعين، فالخشوع حالة قلبية لا تحصل إلا بعلم عقلي ممارس عمليا، ولكي يتجاوبا في اعتقاد راجح قلبي.

ومنه: «إني ظننت أني ملاق حسابيه»<sup>٣</sup>. وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا<sup>٤</sup>، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، فإنها علم كلها. وأما الظن، بمعنى الاعتقاد الراجح العقلي - كما مضى - فهو ممدوح إذا لم يكن عن جهل أو هوى، مهما لم يغن عن الحق كل شيء في أصول الدين وما ضاهاها، إلا أنه في طريق الحق، فممدوح في هذه السبيل حتى يتحقق العلم فيغني من الحق كل شيء، حيث الحق لا يحصل، أو قليلا ما يحصل، دون تدرج من اعتقاد راجح إلى أرجح وإلى جزم.

وأما الأحكام، فلا سبيل للجزم بها إلا قليلا من سبيل علم أو أثارة من علم أو كتاب منير، وكثيرا ما يحصل الظن كما في معظم الأدلة والامارات، من رواية أو ظاهر أم ماذا، وكثيرا ما لا يحصل حتى

<sup>١</sup> .( الاسراء ١٧ : ٣٦ .

<sup>٢</sup> .( البقرة ٢ : ٤٦ .

<sup>٣</sup> .( الحاقة ٦٩ : ٢٠ .

<sup>٤</sup> .( الجن ٧٢ : ١٢ .

<sup>٥</sup> .( البقرة ٢ : ٢٤٩ .

الظن كأصول، المضاهية للامارات وسواها<sup>١</sup>. فلو انحصرت السبيل إلى تحصيل الأحكام بالعلم، حصرت الأحكام في قليل من الضروريات الثابتة قطعياً، ورفضت الأكثرية الساحقة منها عن ميادين العمل، وبطلت الشريعة في قسم كبير من فروعها، وليس في سماح العمل بهذه الظنون تخصيص في عمومات الآيات الناهية عن العمل بالظنون، فإنها آبية عن التخصيص، وأتية إلى ظنون الجهل والهوى فلا حاجة إلى تخصيص. ومن وصمات الظنون المرفوضة انها لمن تولى عن ذكر الله ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهم يرفضون الهدى إلى الردى، والعلم إلى الظن، وقد جاءهم من ربهم الهدى: فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا. ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى». «ذلك»: - الظن البعيد البعيد - «مبلغهم من العلم»، يحسبونه علماً، وليس إلا وهما لا يملك برهاناً، فلا يغني من الحق شيئاً. فإذا أصبحت الدنيا مبلغ العلم، وأكبر الهم، أصبح طالبها كالأنعام وأضل سبيلاً، اللهم «لا تجعل الدنيا أكبر همنا ومبلغ علمنا»<sup>٢</sup>.

(٢)

<sup>١</sup> . كالاستصحاب وقاعدة الاشتغال والفراغ، فانها لا تفيد الظن الا قليلا وان كانت تشبه الامارات، وكقاعدة الطهارة وامثالها التي وضعت للخروج من موارد الشك بحجة وضابطة، فإنها لا تفيد الظن اطلاقاً، فإذا كنت على ظن من نجاسة شيء من دون حالة مسبقة، تجري هنا قاعدة الطهارة وتحكم بها، وفي اعتقادك الراجح انه غير طاهر، وقد تمر عليك تفاصيل عن الحجج الشرعية في مجالاتها الأنسب والأوسع. وأما الآراء الناتجة عن القياسات والاستحسانات وسواها مما لا أثر له في الدين، فكلها باطلة، ومن لطيف ما يروى ممن رأى آراء في الدين من هذا القبيل ما أخرجه ابن أبي حاكم عن عمر بن الخطاب قال: «أحذروا هذا الرأي على الدين فانما كان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله مصيباً لأن الله كان يريه وانما هو هنا تكلف وظن، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً» (الدر المنثور ٦: ١٢٧).

<sup>٢</sup> . الدر المنثور ٦: ١٢٧ - اخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم من مجلس حتى يدعوا بهؤلاء الدعوات لاصحابه: «اللهم اقسم من خشيتك ما يحول..

## حرمة اتباع الظن ومطواعته

«وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»<sup>١</sup>  
هذه قضاء من القضاء على «أكثر من في الأرض» أنهم على شتات أهواءهم ضالون ومضلون، فإنهم «إن يتبعون إلا الظن» وبالنتيجة «إن هم إلا يخرصون» تخميناً دون علم ويقين، فهم - إذا - يكذبون، مهما اتفق منهم صدق فيما يظنون، فإن اتباع الظن كذب في الإلتباع مهما اتفق صدقه، كما اتباع العلم صدق فيه مهما أخطأ.

فالفيتا الصادرة عن إلتباع الظن لا تُتَّبَعُ مهما كانت شهيرة أو مجمعا عليها، ثم الصادرة عن إلتباع العلم تتبع مهما كانت وحيدة شاذة عن الجمع فإنها غير وهيدة.

وكيف يتَّبَعُ رسول الهدى الحاصل على علم الوحي أكثر من في الأرض فيما يظنون؟ وسبيل الله هي سبيل العلم أو أثاره من علم! سبيل عاصمة معصومة إلا لغير المعصوم، ولكنه تقل أخطاءه حين يستند إلى الكتاب المعصوم والنبى المعصوم.

ذلك فقد «ذم الله الكثرة»<sup>٢</sup> اللهم إلا كثرة متبعة للعلم، فليست الكثرة بما هي كثرة أصلاً يتَّبَعُ، إنما هو الحق في قلة أو كثرة.

وترى كيف يحذّر الرسول صلى الله عليه وآله عن أن يطيع أكثر من في الأرض وهو كيانه بقاله وحاله «إن اتبع إلا ما يوحى إلي»؟ عله قطعاً لآمال الأكثرية الضالة إعلاماً وعلاناً صارخاً في هذه الإذاعة القرآنية، أم إنه من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة» أو أن الخطاب يعم كافة المكلفين دون اختصاص بالرسول صلى الله عليه وآله كلاً على قدره وقدره.

ولأن النهي معلل بـ «إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون»، فليس التنديد بالأكثر إلا لأن الأكثر عليلون بهذه العلة، فلو أن الأكثرية تتبع العلم فلا ضير في اتباعها لمن ليس على علم وليس ليحصل عليه بجهوده، فاتباع العلم ضابطة عامة في حقل الإجتهد والتقليد، كما أن اتباع الظن هابطة عامة في الحقلين جميعاً، اللهم إلا أننا يؤمر باتباعه بدليل قاطع كالأصول الأحكامية الموضوعية في موارد الشك.

والآيات في حرمة اتباع الظن - كأصل - وحرمة قفو غير العلم أو اثاره من علم، عديدة في عدة مجالات، واتباع الظن - حتى فيما يضطر إليه - محذور إلا أن يتبع فيه دليل العلم من كتاب أو سنة قطعية كأدلة الاستصحاب والإشتغال والبراءة والظاهر وقاعدة الفراغ والتجاوز، فليس اتباع الظن فيها إلا باتباع العلم فيما لا سبيل علمياً إليه، فهي بين تهديد هذير أم تقرير منير.

<sup>١</sup> . الانعام ٦ : ١١٦ .

<sup>٢</sup> . نور الثقلين ١ : ٧٦١ في اصول الكافي بعض اصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يا هشام ثم ذكر الله الكثرة فقال: وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.

ذلك ولأن امثال الإجماع والشهرة والقياس والإستحسان والإستصلاح لا دليل على حجيتها في الظنون الحاصلة منها، بل والدليل قائم على أُلَّ حجية فيها، فالظنون الحاصلة منها مردودة بل والقطع الذي يحصل من غير دليل شرعي عقليا وسواه، مَثَله كمثل تلك الظنون، وقيلة أُلَّ سبيل إلى نقض القطع للقاطع أيا كان، عليلة، حيث القاطع ليس ليدعي الحيطة القاطعة العلمية غير المتخلفة عن الواقع، فللشارع نصب الوسائل كما يراها صالحة للحصول على القطع، وقد نصب الكتاب وعلى ضوئه السنة «وما يمكرون إلا أنفسهم وما يشعرون»، فان ضرر المكر راجع - أولاً - إلى أنفسهم دون رادع، ثم الله رادع مكرهم عن المؤمنين الصالحين، مهما لم يردع عن «زاغوا فازاغ الله قلوبهم» فإنهم من ذلك النمط.

ذلك و«أكابر مجرميها» تحلَّق على كافة الكبراء والمستكبرين بدولة الحال أو دولة المال، والحاصلين على أية وسيلة من وسائل الإستكبار الاستعمار الاستثمار الاستعمار، والاستبداد الاستخفاف الاستضعاف، الأبواب السبع الجهنمية المفتحة من قبل الأكابر على سائر الناس. وهنا «أكابر» مفعول ثان ل «جعلنا» والأول هو «مجرميها» ان «جعلنا مجرميها اكابر» حيث الاسم الأوَّل هو في الأصل مبتدئٌ فليكن معرفاً.

ولأن الإجماع ليس إلا على قدر الكبر، فذلك يجعل يعني انه تعالى لم يمنع الأكابر عن اجرامهم الكبير «ليمكروا فيها» كما يستطيعون حتى يخلص الغث من السمين والخائن من الأمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين..

وقد تعني اللام في «ليمكروا» العاقبة لذلك الجعل اتوماتيكيا، دون ان يريد الله توفيقا لهم في مكرهم، كما لم يرد اجرامهم اللهم إلا عدم الصد عما يفعلون، فهي ك «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا»<sup>١</sup> في قصة أخذ موسى من اليم، إذ لم يقصدوا منه إلا خيرا: «لا تقتلوه عسى- أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون»<sup>٢</sup> أم هي غاية لهم مقصودة، ف «جعلنا ليمكروا» تعني - إذا - ما صددناهم عن مكرهم «يمكروا فيها» مخيرين غير مسيرين.

ذلك واكبر الاجرام ما إذا جمع ثلوث الذرايع اليه والدوافع له من دولة المال ودولة الحال والعلم بمختلف الأحوال ولا سيما ظاهرة علم الدين، فيا ويلاه من ذلك الاجرام المثلث حيث لا قبل له. «ألا فالحذر الحذر من طاعة سادتكم وكبائركم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم اركان الفتنة، وسيوف اعتزاز الجاهلية»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> . ( القصص ٢٨ : ٨ .

<sup>٢</sup> . ( القصص ٢٨ : ٩ .

<sup>٣</sup> . ( ٣٦١/١٩٠ .

وهؤلاء الأَكْبَر المجرمون، وحماقى الطغيان المتفرعنون، يحيلون إيمانهم بآية إلا كما يشتهون: «وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ»<sup>١</sup>؛

هذا من أمكر المكر حيث يخيّل إلى البسطاء أن صاحب آية غير ما أوتي رسل الله ليس من رسل الله، وكأنهم من مصدقي رسل الله إذا صدقت رسالتهم بآياتهم المتواصلة المتشابهة، وأما إذا تخلفت آية عنها فليسوا هم بمصدقها كآية القرآن العظيم، ويكأنهم أعلم من الله بكيان الآية الرسولية التي تثبت الرسالة، والله أعلم حيث يجعل رسالته. فحيثية الرسالة الختمية تتطلب آية خالدة تمشي مع الزمن وتهدى كل أهل الزمن، فلو أن الله بعث خاتم الرسل بآيات الرسالات الأخرى، المؤقتة لردح من الزمن الرسولي، لكانت آية ناقصة ناقضة لخلود الرسالة.

صحيح أن الآيات الرسالية السابقة كانت عابرة غير باقية عبر كل رسالة إلا أن الرسل اللاحقين كانوا بآياتهم مصدقين لكل سابقة، رسالات متواتية بآيات متشابهة يصدق بعضها بعضاً، ولكن الرسالة الأخيرة لا مصدق لها بعد ارتحال رسولها إلا آيتها الخالدة: القرآن العظيم.

وهؤلاء الأَكْبَر المجرمون المختلقون لهذه الشبهة الماكرة أصابوا بها القرآن صغاراً كأنه آية صغيرة غير كافية أم ليست آية، ف «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ». أجل، ولو كانوا هم أولاء - كما يدعون - عاملين حيث تجعل رسالة الله في «الله أعلم» منهم «حيث يجعل رسالته» لأنه هو الله العالم الغيب والشهادة، وهو المرسل - كما يعلمون - سائر الرسل بسائر الآيات المعجزات.

وليست آية القرآن شاذة عن سائر الآيات إلا في صورتها، وأما سيرتها فهي أقوى وأبقى دلالة خالدة على خلود هذه الرسالة السامية، فكيف تصبح الآية الأقوى والأبقى فاعلية أبعد عن التصديق بعدم التشابه في صورتها مع الآيات الأخرى، ويكأنها هي الأصلية التي تقاس عليها غيرها. ذلك، ولو أن عدم التشابه الصوري بين آيات الرسالات يقضي - على حجّية اللاحقة غير المتشابهة لل سابقة، فلتكن الآية الأولى هي المصدّقة فقط، ثم اللاحقة لها كلها مطرودة لعدم التشابه الكامل، ولا تشابه بين فلّق البحر لموسى وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام!

ولئن قالوا إن الأصلية هي الأولى بازغة الرسالات، يقال لهم بآية حجة هي الأصلية والتالية ليست بها، رغم أن الرسالات بآياتها متدرجة إلى أعلى فأعلى حتى تنتهي إلى عليها الوحيدة الخالدة كما القرآن العظيم.

وهنا «الله أعلم حيث يجعل رسالته» لا تختص بآية الرسالة، بل هو حيث الرسالي رسولاً ورسالة بآياتها المثبتة لها وأصلها وزمانها ومكانها حيث حيث هنا يحلّق على كل حقول الرسالة وأبعادها، فقد نظر الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد وأصفاها واضفاها فاصطفاه لنفسه فأضفاها لرسالته الأخيرة التي تحمل الرسالات كلها، وجعل لها آيتها الخالدة الرسولية ورسالية: القرآن العظيم. وقالوا لو لا انزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين\* أولم يكفهم أنا أنزلنا

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ١٢٤ .

عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون\* قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون.<sup>١</sup>  
 فقد عنوا من قالتهم: «لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله» المشابهة الطليقة بين الرسل بما أوتوا من آيات رسولية، وآيات رسالية هي شرعتهم وكتاباتهم، وحدوية في الرسائل بكل أبعادها دون أي اختلاف صوري في الأحكام ولا الآيات، مما ينقُص وينقض كل الرسائل بعد الأولى، فإنها تختلف رسوليا ورساليا في بعض المظاهر الأحكامية وآياتهم، وما أسخفه قولاً هو بظاهره صالح حيث يتظاهر بوحدة الرسائل، وفي باطنه مكرٌ يجتث كل الرسائل - بعد أولها - عن جذورها: «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا».<sup>٢</sup>  
 ويا للهول من مكرهم الماكر الحاكر في خِصْمِهِ كلِّ صنوف المكر، أنهم وهم أكابر المجرمين الناكرين للرسالات كلها يرفعون عَلمَ الوحودية الرسالية، محتاطين في الأخيرة لأنها لا تشبه سائر الرسائل؟ زعم أن المتقدمة هي الأصيلة لقدمتها!.

وما قيلتهم الغيلة، تلك الغائلة العليقة، إلا كقيلة اليهود: «فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل...».<sup>٣</sup>  
 وقد تلمح «حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله» أن تطلبوا - فيما هم مقترحون - أن يُؤتوا رسالة كما أوتي رسل الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته. جواب قاطع لا مرد له أن محطة الرسالة الربانية لا بد وأن تكون ربانية تناسب رسالة الله من القلوب الطاهرة الباهرة دون القلوب المقلوبة الباترة الهاترة: «بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة»<sup>٤</sup> فقد أرادوا أن تجمع لهم القيادة الروحية الى القيادات الزمنية حتى يصبحوا أكابر في القيادتين، فلا تعارضهم القيادات الروحية في كبريائهم وعلاؤهم الظالم المظلم جو الإنسانية جمعاء.

والحق أن «الله أعلم...» إجابة عن كل الشطحات الثلاث المحتملة لاقتراحهم «حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله» حيث الحيث تعم حيث الرسالة وآيتها الرسولية والرسالية، مثلث من الحيثيات في حقل

<sup>١</sup> . (العنكبوت ٢٩ : ٥٢ .)

<sup>٢</sup> . (الزخرف ٤٣ : ٣٢ .)

<sup>٣</sup> . (القصص ٢٨ : ٤٨ .)

<sup>٤</sup> . (قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة «والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أحق بها من محمد صلى الله عليه وآله فاني أكثر منه مالاً وولداً فنزلت هذه الآية» .)

<sup>٥</sup> . (المدثر ٧٤ : ٥٢ .)



الرسالة كانت مقترحة على مدار الزمن الرسالي بصيغ مختلفة تجمعها بجواباتها هذه الجملة الجميلة الشاملة.

والقول إن تعميم الوحي لكافة المكلفين كان أصلح للإصلاح؟ غولٌ وتأثيرٌ من القول!، حيث الرسالة والوحي أمانة ربانية لا تحل إلا محلها المناسب لها، والمناسبة للرسالة قابليةً وفاعليةً هي بين عصمة بشرية تحقيقاً لكل المساعي تحليفاً عليها للحصول على أسمى الصفاء، ومن ثمَّ عصمة ربانية كما يراه الله ويرضاه.

وكيف تليق هذه القلوب المقلوبة العفنة التنتة، المستكبرة الرادة على الله رسالاته، كيف تليق أن تكون حملةً رسالات الله جمعاً بين النور والظلام، نقضاً لحكمة الملك العلام؟ كلا: «الله اعلم حيث يجعل رسالته...»

فأقل ما يشرط في مهابط الوحي والتنزيل التخلية عن كل مكر وغدر ثم التحلية بحلية الإيمان، ومن ثمَّ الإيمان القممة المصفاة عن أية كُدرة، وهؤلاء الكبراء المجرمون ماكرون وغادرون في قولتهم: «لن نؤمن» فكيف يحتملون رسالة الوحي؟.

فهؤلاء الأكاير المجرمون سيصيبهم صغار عند الله، بالرغم مما خيل إليهم أنهم كبار عند الله، يجب عليه أن يكون عند متطلباتهم الجاهلة الغائلة، صغار باستكبارهم وانهم جعلوا رسالة الله وحكمه صغارا يستصغرونه لحد يتطلبونه لأنفسهم الحضيضة البغيضة.

ويا ليتهم لمسوا جانبا من طبيعة الرسالة الربانية والوحي حتى لا يلفظوا بهذه الشطحات، فالقلب المتجرد عن كافة الحظوظ الذاتية والعرضية غير الربانية، المتحلي بحب الله ومرضاته، والمتجلي لمعرفة الله وعبوديته، المتفئد بنور الله، هو اللائق لتحمل رسالة الله، دون القلوب المقلوبة عن انسانيته، المتفئدة بنيران الشهوات والحيوانات.

ثم الله هو وحده الذي يصطفي من أصفياه من يصلح لحمل الرسالة، بصالح القابلية والفاعلية الرسالية، بالعصمة البشرية والإلهية، دون الناس الصالحين أيا كانوا فضلاً عن هؤلاء الطالحين الكالحين!.

(٣)

حرمة اتباع الظن وطاعته

وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ<sup>١</sup>!

<sup>١</sup> . (الانعام ٦ : ١١٦ .)

هذه قضاءً من القضاء على «أكثر من في الأرض» أنهم على شتات أهواءهم ضالون ومضلون، فإنهم «إن يتبعون إلا الظن» وبالنتيجة «إن هم إلا يخرصون» تخميناً دون علم ويقين، فهم - إذا - يكذبون، مهما اتفق منهم صدق فيما يظنون، فإن اتباع الظن كذب في الإلتباع مهما اتفق صدقه، كما اتباع العلم صدق فيه مهما أخطأ قصورا دون تقصير.

فالفيتا الصادرة عن إلتباع الظن لا تُتَّبَعُ مهما كانت شهيرة أو مجمعا عليها، ثم الصادرة عن إلتباع العلم تتبع مهما كانت وحيدة شاذة عن الجمع فإنها غير وهيدة.

وكيف يتَّبَعُ رسول الهدى الحاصل على علم الوحي أكثر من في الأرض فيما يظنون؟ وسبيل الله هي سبيل العلم أو إثارة من علم! سبيل عاصمة معصومة إلا لغير المعصوم، ولكنه تقل أخطائه حين يستند إلى الكتاب المعصوم والنبى المعصوم.

ذلك فقد «ذم الله الكثرة» اللهم إلا كثرة متبعة للعلم، فليست الكثرة بما هي كثرة أصلاً يتَّبَعُ، إنما هو الحق المعلوم بقاطع الدليل في قلة أو كثرة.

وترى كيف يحذّر الرسول صلى الله عليه وآله عن أن يطبع أكثر من في الأرض وهو كيانه بقاله وحاله «إن أتبع إلا ما يوحى إلي»؟ علّه قطعاً لآمال الأكثرية الضالة إعلاماً وإعلاناً صارخاً في هذه الإذاعة القرآنية، أم إنه من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة» أو أن الخطاب يعم كافة المكلفين دون اختصاص بالرسول صلى الله عليه وآله كلاً على قدره وقدره.

ولأن النهي معلل بـ «إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون»، فليس التنديد بالأكثر إلا لأن الأكثر عليلون بهذه العلة، فلو أن الأكثرية تتبع العلم فلا ضير في اتباعها لمن ليس على علم وليس ليحصل عليه بجهوده، فاتباع العلم ضابطة عامة في حقلي الإجتهد والتقليد، كما أن اتباع الظن هابطة عامة في الحقلين جميعاً، اللهم إلا أننا يؤمر باتباعه بدليل قاطع كالأصول الأحكامية الموضوعات لموضوعات في موارد الشك.

والآيات في حرمة اتباع الظن - كأصل - وحرمة قفو غير العلم أو إثارة من علم، عديدة في عدة مجالات، واتباع الظن - حتى فيما يُضطر إليه - محذور إلا أن يتبع فيه دليل العلم من كتاب أو سنة قطعية كأدلة الإستصحاب والإشغال والبراءة والظاهر وقاعدة الفراغ والتجاوز، فليس اتباع الظن فيها إلا باتباع العلم فيما لا سبيل علمياً إليه، فهي بين تهديد هذير أم تقرير منير.

ذلك ولأن أمثال الإجماع والشهرة والقياس والإستحسان والإستصلاح لا دليل على حجيتها في الظنون الحاصلة منها، بل والدليل قائم على ألا حجية فيها، فالظنون الحاصلة منها مردودة بل والقطع الذي يحصل من غير دليل شرعي عقلياً وسواه، مثله كمثل تلك الظنون، وقيلة ألا سبيل إلى نقض القطع للقاطع أي كان، عليه، حيث القاطع ليس ليدعي الحيطة القاطعة العلمية غير المتخلفة عن الواقع، فللشارع نصب الوسائل كما يراها صالحة للحصول على القطع، وقد نصب الكتاب وعلى ضوءه

<sup>١</sup> .( نور الثقلين ١: ٧٦١ في اصول الكافي بعض اصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يا هشام ثم ذكر الله الكثرة فقال: وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.

السنة، والعقلية الصالحة المتفق عليها، البديهية بين كافة العقلاء وهي الطريقة الصالحة لتفهّم الكتاب والسنة وغيرهما من الحقائق.

(٤)

#### حرمة قفو غير العلم

«وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»<sup>١</sup>  
آية وحيدة في صيغتها الخاصة: «ولا تقف..» وأدلتها الخاصة: «إن السمع والبصر..» تختص اقتفاء المسلم واتباعه بما له علم دون ما دونه من ظن أو شك أو احتمال، وتحمل مسؤولية افتناء غير العلم «السمع والبصر والفؤاد».

هذه الآية - كأضرار لها - تحرم قفو غير العلم، لا سيما في الأحكام كالتى مضت مثل قتل الأولاد، والزنا، وقتل سائر الأنفس وقرب مال اليتيم وإيذاء الكيل، والوزن بالقسطاس المستقيم، فلا تختص بالعقائد كما زعم<sup>٢</sup>.

وفي سائر القرآن آيات عدة تنهى عن اتباع الظن<sup>٣</sup> وتامر باتباع العلم أو إثارة من علم<sup>٤</sup>. «لا تقف» من القفو: الإتيان المختار<sup>٥</sup> لفظيا أو فكريا أو عقيدا أو عمليا، فنقل غير المعلوم دون نقد قفو، واعتقاده قفو، والعمل وفقه قفو، وأنت في كل ذلك مسؤول، دون فرق بين الأصول والفروع في

<sup>١</sup> . (الاسراء ١٧: ٣٦).

<sup>٢</sup> . (زعمه الشيخ الانصاري في رسائله دون مراجعة الى هذه الآية وامثالها!)

<sup>٣</sup> . (راجع ص ٤٣٢ ج ٢٧ من الفرقان تحت عنوان: كلام في العلم والظن).

<sup>٤</sup> . (راجع ص ١٠... تحت عنوان: كتاب أو إثارة من علم).

<sup>٥</sup> . (حيث الإتيان اعم من المخير والمسير، المكروه والمختار، ولكنهما القفو هو المختار فقط ولذلك اختير على الإتيان).

صيغة النهي<sup>١</sup> ولا صبغة الفطرة السليمة، تجاوبا بين كتابي التكوين والتشريع في لزوم اتجاه الإنسان الى صلب الواقع ما وجد إليه سبيلاً.

وهنا «علم» وليس «العلم» لكي تشمل درجات العلم مما تضمّن النفس، ظنا متآخما الى العلم، ثم علما: من علم اليقين او عين اليقين، او حق اليقين، سواءً أكان علما لك ميسورا بما تبرهن من براهين، او علما لمن تعلمه عالما ثقة فتتبعه فيما لا تجد لنفسك سبيلاً، فهذا علم بعلم، وذلك علم، فيشملهما «علم» كما شمل سائر ما يُطمئن الإنسان.

وترى ان الآيات هي مظنونة الدلالة ومنها هذه، فكيف يستدل بها على المنع من اتباع غير العلم؟.. هذه طنطنة أصولية هراء: «ان القرآن قطعي السند ظني الدلالة والحديث ظني السند قطعي الدلالة» فمن الحديث ظني الدلالة وهو الكثرة الساحقة، وهذه الكثرة - ولا قلة - لا توجد في الدلالة القرآنية حيث الاعجاز القمة في بلاغته وفصاحته الدلالية يقضي- على الدلالة الظنية ويجتثها من جذورها، ولا سيما في آيات الاحكام والمعارف الأصلية فانها صريحة مهمما كانت بحاجة الى تأملات وتدبر، وليس في آية القفو ما يريب في دلالتها فلا نطمئن بمدلولها!.

او ان «علم» هنا يشمل بعض الظن وكما في آيات اخرى منها «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين\* الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم»<sup>٢</sup>.

ولكنه «علم» والعلم فقط، ولم يعن العلم فيما يعنيه ظنا ولا الظن علما، فكل يعني معناه لا سواه، والظن في الآية ظن القلب وهو من اوسط العلم في العقل، ولو ان الظن يستعمل في العلم بقرينة - ولا يستعمل - فلا يعني ذلك استعماله فيه دون قرينة، او ان العلم يعني الظن دونها!.

واتباع أصول كأصل البراءة والإستصحاب والظاهر ام ماذا من أصول في مواردها الموضوعية ليس اتباعا للظن، حيث لا يشترط فيها حصول الظن بل هي اصول تتبع بدلالة العقل والشرع فيما لا دليل على مواردها، فاتباعها إذا اتباع للعلم وان لم يحصل به علم ولا ظن، أو لان الاصول لا ترد الا في موارد الشك حيث لا سبيل الى علم، فهل يبقى المكلف دون نفي او اثبات؟ والتكليف باقٍ في نفي او اثبات! ام يقفوا خلاف هذه الاصول وهو قفو للمرجوح عقليا وعاديا، ونقض لليقين المتعود بالشك كما في موارد الاستصحاب والبراءة والظاهر؟.. ثم إنها لا تقرر حكما وإنما تبين موضوعات لأحكامها اذ

---

<sup>١</sup> . لا سيما ان هذا النهي واقع بين احكام فرعية من واجبات ومحرمات، وليس فيها من اصول الدين الا «ألا تعبدوا الا الله» أولاً وأخيراً وليربط كافة الفروع الى اصل الأصول: التوحيد، وأيضاً لا يصلح هذا النهي للتقيد فإنه من القضايا التي قياساتها معها، فما ليس للإنسان به علم وله طريق الى العلم لا يقفي ويصطفى غير المعلوم على المعلوم، ثم وليس هناك ادلة من كتاب أو سنة تسمح باتباع غير العلم حتى تأتي مقيدة للآية، فإن موارد الأصول العملية هي الشك الذي لا طريق فيه الى العلم والمكلف بين نفي واثبات، وهذه الموارد خارجة عن نطاق الآية فانها تختص بما يوجد فيه طريق الى العلم.

<sup>٢</sup> . البقرة ٢: ٤٥.

لا نجد سبيلاً علمياً إليها، ومورد النهي عن إتباع غير علم مخصوص بما نجد لعلم إليه سبيلاً. أم لا نجد ولا تكليف ثابتاً بنفي أو إثبات.<sup>١</sup>

والضابطة الإسلامية السارية هي اتباع علم ما يمكن، وإلا فلا اتباع ولا متابعة إلا بدليل قاطع من كتاب أو سنة ثابتة أو حس أو عقل أم ماذا، كما الأصول العملية ثابتة بالكتاب والسنة ودليل العقل وهي خارجة عن محور الآية.

فالقياسات والاجتماعات والشهرات والروايات التي لا توافق الكتاب والسنة أو تخالفهما، إنها لا تقف إذ لا تفيد علماً ولا اطمئناناً، أم نظمناً بخطأها كالتى تضاد الكتاب أو السنة الثابتة، حيث الأدلة القاطعة تطاردها.

إذا فلا نقفوا ما ليس لنا به علمٌ، ولم تخصص الآية كثير تخصيص حتى تسقط عن الدلالة العلمية، ولا قليله حيث الأصول غير العلمية التي نقفوها إنما نقفوها بعلم من كتاب أو سنة أو إثارة من علم ولا سبيل في مواردها إلا احكامها.

هناك علمي وهنا علم، والعلمي ما يستند الى العلم كحجية الأصول العملية والشهادات ام ماذا من حجج شرعية، دون خروج عن ضابطة الآية، وكما العلم علمان: اجتهادي وتقليدي.

فالتثبت عن كل خبر وكل ظاهرة وحركة قبل نقلها والإعتقاد بها والحكم عليها، والعمل وفقها، إنه دعوة قرآنية صارمة سارية، ومتى استقام السمع والبصر والفؤاد على هذا المنهج لم يبق بعد مجال للأوهام والخرافات في المعتقدات، ولا مجال للظنون والشبهات في الأحكام والأفضية والتعاملات، ولا مجال في العلوم للإفتراضات والحدسيات، حيث يتبنى الإنسان حياته في كل الجهات حياتاً علمية دون تحكم للظنيات، اللهم إلا المسنودة الى علم، او الاستفادة من علم، فيما لا سبيل الى العلم، والضرورة قائمة بنفي أو إثبات، كما في موارد الأصول العملية والشهادات، تداوما في سير عجلة الحياة.

هناك طريقة آفاقية لعلم أو ظن ام ماذا، هي السمع والبصر، واخرى أنفسية هي الفؤاد، ففيما تسمع حقّ وباطل، وفيما تبصر حقّ وباطل، وفيما تعتقد فطرياً او فكرياً وعقلياً وفي الفؤاد حق وباطل، وبين الحق والباطل أربع أصابع، فما تسمعه أكثره الباطل وما تبصره اقله الباطل، وما تتفأده فيه حقّ وباطل ف لا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع والبصر - والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً.

ان السمع والبصر في تلقيهما ما يتلقيان، ثم ما يلقي منهما بلسان او قلم او اعتقاد او عمل ام ماذا، إنهما مسؤولان! ف «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال»<sup>٢</sup> «ومن قفا مؤمناً بشيء يريد شينه حبسه الله على

<sup>١</sup> . فإذا تشك أو تظن ان فلانا زنى تجد سبيلاً الى علم او لا تجد ليس عليك شيء، ولكنك اذا كنت مديونا ثم تشك انك ادبته أم لا، هنا عليك تكليف ان وجدت سبيلاً الى علم وتكليف آخر ان لم تجد هو اشتغال الذمة استصحاباً...

<sup>٢</sup> . الدر المنثور ٤ : ١٨٢ - اخرج الحاكم وصححه ابن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله...

جسر جهنم حتى يخرج مما قال»<sup>١</sup> و«من بهت مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرج مما قال»<sup>٢</sup>. ثم الفؤاد وهو القلب المتفئد المشتعل بما اعتقده او عقده، اشتعال النور بالحق او النار بالباطل، ومعه معداته بما يتفاد، إنه مسؤول، حيث يفعل او يقول ما اعتقده دون علم!. إنها امانة كبرى للجوارح كلها واهمها السمع والبصر، وللجوانح كلها واهمها الفؤاد ما يأخذه الانسان وما يؤتية، اللهم إلا قفوا العلم.

امانة ترتعش أركان كيان الانسان لجسامتها وضخامتها في دقتها: «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا: مسؤولية تضرب إلى اعماق الزمن منذ جرى عليه قلم التكليف.

ف «ليس لك ان تتكلم بما شئت»<sup>٣</sup> حيث الإنسان مسؤول عن كل ما يفعل او يعتقد او يقول ف «السمع وما وعى والبصر وما رأى والفؤاد وما عقد عليه»<sup>٤</sup> كل اولئك مسؤول.

ترى ولماذا «اولئك» والثلاثة هي من اعضاء الإنسان؟.. لأن الفؤاد هو المتن في عقلية الإنسان، والسمع والبصر هما الإدراكان على عقل، فهي إذا «اولئك» حيث تجمع مدارك الروح من الإنسان!. ثم المسؤول هل هو الإنسان يسأل سؤال تأنيب عما يفعله بهذه الأعضاء؟ فيرجع ضمير الغائب «كان» الى الإنسان!: «كان الإنسان عنه (اولئك) مسؤولاً» لماذا استعملها في غير علم؟.. ام هو كل من السمع والبصر والفؤاد، ان كلاً منها مسؤولٌ عنه فيما فعل، فالضمير لكل منها على

<sup>١</sup> . المصدر اخرج ابو داود وابن ابي الدنيا في الصمت عن معاذ بن انس عن النبي صلى الله عليه وآله من حمي مومنا من منافق بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن قفا.

<sup>٢</sup> . نور الثقلين: ١٦٤ ح ٢٠٦ في تفسير علي بن ابراهيم في رواية ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام في الآية قال: «لا ترم احدا بما ليس لك به علم» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من بهت ...

<sup>٣</sup> . نور الثقلين ٣: ١٦٥ ح ٢٠٩ في كتاب علل الشرائع باسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال حدثني علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه قال قال علي بن الحسين عليه السلام: ليس لك ان تتكلم بما شئت لأن الله عز وجل يقول: «ولا تقف ما ليس لك به علم» ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رحم الله عبدا قال خيرا فغنى او صمت فسلم، وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول: «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً».

<sup>٤</sup> . المصدر ح ٣١٣ عن الحسن قال: كنت اطيل الجلوس في المخرج لأسمع غناء بعض الجيران. قال: فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي يا حسن، «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً» السمع ...

البدل؟ «كان كل عن نفسه مسؤولاً» ام الضميران راجعان الى الإنسان فالإنسان هو المسؤول عنه في هذه الأخطاء.

«كان» هذه تتحملها أدبيا ومعنويا، فقد يسأل الإنسان عنها ما فعله بها «وقفوهم إنهم مسؤولون» وتساءل الأعضاء فتحدّث أخبارها بما تحمّلت وسجّلت الأقوال والأعمال، وكل إنسان الزمناء طائرته في عنقه...<sup>١</sup> وكذلك الفؤاد حيث يخبر بما ارتسم فيه من عقائد، حيث يوقف موقف الاستنطاق فلا جَوْل له عما سجل: «حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون»<sup>٢</sup> كما الإنسان مسؤول عنه في أخطائه بهذه الثلاث أم ماذا؟  
فالإنسان مسؤول عن هذه الاعضاء ومسؤول عن نفسه بما فعل بها، والاعضاء مسؤول عنها، مسؤولية كبرى تشمل الإنسان كل الإنسان.

«ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا»<sup>٣</sup>  
ان المشي في الأرض مرحا اختيال وإفتخار فإسراف واستكبار، فهو ممنوع مذموم كما أن تصعير الخد للناس وتصعير كيانك عند الناس مذموم، فذلك إفراط وهذا تفريط وعليك بعوان بين ذلك: «ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور»<sup>٤</sup> واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن انكر الأصوات لصوت الحمير.<sup>٥</sup> اذا كان التصعير الإمالة تذلاً أو تكبرا فانهما كلاهما تصعير، وكلاهما هنا معنيان.

والمرح هو شدة الفرحة والتوسّع فيه، فليمش الإنسان دون مرح وفرح تصعير وإنما هونا: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا»<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> . (الاسراء ١٧: ١٣ .

<sup>٢</sup> . (فصلت ٤١: ٢٠ .

<sup>٣</sup> . (الاسراء ١٧: ٣٧ .

<sup>٤</sup> . (لقمان ٣١: ١٩ .

<sup>٥</sup> . (البرهان ٣: ٤٢٢ - الكافي بسند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فرض الله على الرجلين الا يمشي بهما الى شيء من معاصي الله وفرض عليهما المشي الى ما يرضي الله فقال: «ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» وقال: واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير.

<sup>٦</sup> . (الجاثية ٤٥: ٦٣ .

لو انك تعرف نفسك الضئيل الفقير امام ربك العلي القدير. وانك دوما في قبضته وأمامه وبحضرته، فطامن من كبريائك وخفف من وطئة خيلائك، وامش على الأرض هونا، لا مرحا في كبرياءك. من انت ايتها الحشرة الصغيرة الفقيرة، الهزيلة الرذيلة حتى تمشي في ارض الله مرحا؟ ألأنك تسامى الله في قدرته وجبروته؟ ويده ملكوت كل شيء! ام تترفع على خلق الله بثراء او سلطان. ام قوة ام ماذا؟ فيا لها من زخرفات هراء «وما بكم من نعمة فمن الله»! أم تمشي في الأرض مرحا منة عليها أنك تمشي فيها، فالأرض التي تحتك هي فوقك اذ لن تخرقها، وجبالها التي أمامك هي فوقك حيث لن تبلغها طولاً، فطوّلك قاصر عن جبال الأرض، وطوّلك في حولك قاصر عن خرق الأرض، إذا فلماذا المرح؟! هذا! وترى ان الإنسان عاجز عن خرق الأرض؟ وهو يخرقها بالوسائل التي اصطنعها فيستخرج منها معادنها! اولن يبلغ الجبال طولاً؟ وهو يحلّق بطائرات وصواريخ وسفن فضائية على الجبال وما فوقها من كرات!.

ولكنما الإنسان ايا كان لن يخرق الأرض ممشيته المرحه، ولن يبلغ الجبال في طوله، وان كان يخرق ويبلغ بطوله وحوله، فلا طول إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ليس لك ان تمن على الأرض انك تمشي فيها، بل الله يمن عليك أنه يمسيك فيها، ولا أن تمن - فيما من الله عليك من طاقات تخرق بها الأرض وتحلق - تمن على الله بل الله يمن عليك، ولا ان تمن على خلق الله بما ابتلاك الله به من نعم استخلفك فيها، فارجع الى أولك تجدك نطفة قدرة والى آخرك تجدك جيفة ننته، والى وسطك حيث انت حامل العذرة، فيا ايتها النطفة القذرة والجيفة العذرة كيف تمشي على الأرض مرحا، وعليك ان تمشي عليها هونا متواضعا لله غير مستكبر على خلق الله!

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.<sup>١</sup>

سيئه: تركا لمفروضاته واقترابا او اقترافا لمحرماته، حرمة سلبية ام ايجابية، محرمات ثابتة عبر الرسالات الإلهية، حيث تضرب «كان» الى اعماق الزمن الرسالي، فيلى الأبد، وكما نرى أنها كلها من المحرمات التي لا تتحول.

و«مكروها» هنا تهدم صرح الاصطلاحه الفقهيّة انه مقابل المحرم ما يرجح تركه، فما من مكروه في سائر القرآن إلا محرما، ومن ثم الحديث حذو النعل بالنعل، إلا بقرينة قاطعة تصرفها إلى غير معناها.

لا نجد مكروها في القرآن إلا محرما او من اشده «وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان»<sup>٢</sup> ولكن كرهه الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعدين\* لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضحوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين\* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا

<sup>١</sup> . (الاسراء ١٧ : ٣٨ .)

<sup>٢</sup> . (الحجرات ٤٩ : ٧ .)



لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.<sup>١</sup> «ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه»<sup>٢٣</sup>

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا.<sup>٤</sup>

تأتي «الحكمة» في القرآن كله عشرين مرة وهي هيئة خاصة من الحكم يحكم ويربط بها علم الإنسان أو خلقه أو عقيدته أو عقليته أو عمليته عن التفسخ والإنحلال والإنفصال عن الحق المرّام وحق المرّام، فمن العملية ذلك الذي ذكر في الآيات المسبقة امرا ونهيا يربطان الإنسان برباط التقوي وينبئانه بنيات التوحيد حكمة عقلية في البداية: «ألا تعبدوا إلا إياه» وفي النهاية: «ولا تجعل مع الله إلها آخر» حكمة عملية مربوطة بحكمة عقيدية كما الحكمة كلها تُربط هكذا: ختام يشبه البداية في هذه الحكمة العملية، محبوكة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى في أضلاع الإسلام: «التوحيد» حيث القرآن يقيم عليها الحياة كل الحياة. توحيدا عمليا ينبع من العلمي والعقائدي: الا تعبدوا الا اياه، لا عقليا ولا عقيديا لا يعدوا الضمير الى الحياة العملية، وفي الحكمة المسبقة في هذه الآيات مجموعة من الحكم: عقلية عقيدية: (٢٣ و ٢٩) واجتماعية: (٢٣ و ٢٥) وسياسية واقتصادية (٢٦ - ٣٠ و ٣٥) وانفسية: (٣١ و ٣٣) وخلقية: (٣٢ و ٣٤ و ٣٧) وعلمية: (٣٦) تجمعها الحكمة العقلية والعملية!

وقد تتوحد خيرا كثيرا: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»<sup>٥</sup> وفي الدعوة: «أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>٦</sup> ولحدّ كأنها القرآن كله: «حكمة بالغة فما تعني

<sup>١</sup> . (التوبة ٩ : ٤٨ .

<sup>٢</sup> . (الحجرات ٤٩ : ١٢ .

<sup>٣</sup> . (فالكراهة بصيغها في احاديث تحمل على الحرمة واذكر حديثا يقول فيه الامام الصادق عليه السلام كان ابي يكره... وكان ابي لا يكره لحلال .  
وكما الكراهة لا تدل على ما اصطالحوا عليه كذلك الاستحباب او هو اعم من الوجوب وسائر الرجحان دون ظهور في رجحان غير ملزم .

<sup>٤</sup> . (الاسراء ١٧ : ٣٩ .

<sup>٥</sup> . (البقرة ٢ : ٢٦٩ .

<sup>٦</sup> . (النحل ١٦ : ١٢٥ .

النُّذر<sup>١</sup> من علمية وخلقية وتربوية عقيدية وعملية، من فردية وجماعية، من سياسية واقتصادية ام ماذا فكلها حكمة.

إن الحكمة هي القاعدة الكبرى في مربع الدعوة: يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم<sup>٢</sup>. وفي مثلث السلطة العادلة: «وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ»<sup>٣</sup> «وَشَدَدْنَا مَلَكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابَ»<sup>٤</sup> وفي مثلث النعمة: «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ»<sup>٥</sup> والرسالة «لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ»<sup>٦</sup> والحكمة كلها فيه.

حجة الكتاب او اثارة من علم:  
وحى الكتاب، والسنة القطعية

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ إِنِّي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ»  
«قل» للذين كفروا، المعرضين عما أنذروا «أرأيتم»: أبصرتم وعرفتم «ما تدعون من دون الله» كانهم

<sup>١</sup> . ( القمر ٥٤ : ٥ .

<sup>٢</sup> . ( البقرة ٢ : ١٢٩ .

<sup>٣</sup> . ( البقرة ٢ : ٥٢ .

<sup>٤</sup> . ( ص ٣٨ : ٢٠ .

<sup>٥</sup> . ( البقرة ٢ : ٢٣١ .

<sup>٦</sup> . ( آل عمران ٣ : ٨١ .

آلهة إلا الله، فلو أنهم آلهة في رأيكم فليكونوا خالقين كما الله ف «أروني ماذا خلقوا من الأرض» فقط غمضا عن السماوات. فإذا لا خلق لهم في الأرض فكيف بالسماوات؟ «أم لهم شرك» مع الله «في السماوات»؟ وليس في الأرض وهو أهون، فإذا لا تجدون لهم خلقا في الأرض أو شركا في السماوات، ولعلّه خفي عنكم ف «اثتوني بكتاب من قبل هذا»: الكتاب الأخير المهيم على ما قبله من كتاب، يدل على هذا الشرك بلسان الوحي «أو» - ولا أقل - «أثارة من علم»: بقية منه تروى وتؤثر، أو علامة منه عليها أثر من علم، علم مسنود إلى حس أو نقل أو عقل أو أي كان، ما كان من علم، أو أثره منه أثركم الله به فائتوني.. إن كنتم صادقين: أن لما تدعون شك في الأرض أو السماوات - ولئن سألتكم من خلق السماوات والأرض «من خلقهم» «ليقولن الله»: «ليقولن خلقهن العزيز العليم» - فأني يؤفكون.<sup>١</sup> وهذه الأدلة المطلوبة لإثبات ما يزعمون، بدءاً من الحسية وختاماً لأثارة من علم، يتوسطها كتاب من الله الشامل لكل دليل، إنها فقط هي التي يمكن الحجاج بها لاثبات ما يُرام، وإذ لا يجدون منها أثراً أو أثارة فأني يؤفكون!.

«كتاب: أو أثارة من علم»؟:

هنا الثقلان: الكتاب - والسنة: العترة - يحصران الأدلة في أنفسهما: كتاب وحي، أو اثارة من علم منه، والأثارة كما سبق هي البقية من علم، التي عليها اثر العلم، بقية ذات علامة تروى وتؤثر عن مصدر العلم: الكتاب، فإما هو الكتاب، المحور الأول والاخير لاثبات الحق المرام، إذ يجمع أدلة الحس والعقل والعلم بوحي خالص يخطئ أخطاءها، ويزيد في أضواءها، ويزودها بعلم الله الذي لا نقص فيه ولا خطأ.

لذلك إن الأدلة الحسية المسبقة قبل الكتاب لا تتكرر هنا، لأنها مطوية في الكتاب، وما أحسنه وأجمله تفسيراً لأثارة من علم ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله انه، «حسن خط»<sup>٢</sup> وما الخط إلا تعبيرا عن الواقع، وما حسنه وجماله إلا فيما يحمل من معنى قبل زبره وصورته، وأنه فقط حملة علامة العلم الكتاب وأثره، مهما لم يصل إلى درجة العلم.

فالعلم المستفاد من كتاب الوحي هو الأساس، ثم أثارة منه، تحمل علامة العلم، ويحملها أولوا العلم، فكما أن متن الأثارة يُطمئن بملائمة الكتاب، كذلك سندها الناقل لها يُطمئن، ومرافقة المتن هي أهم عند أولي العلم، والحاجة إلى السند لغيرهم في الأكثر، والجمع امتن وأمكن لإثبات العلم.

فإذ يقول الرسول صلى الله عليه وآله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي - مرة - وعترتي - أخرى، فهو ينظر إلى أثارة العلم من زاويتين: المتن (سنتي) والسند (عترتي) فالعترة هم السنة المحمدية القاطعة التي لا ريب فيها، لأنهم يحملونها دون جهل أو غفلة أو خطأ، فما تسمعه منهم سليما دون تقية فهو علم

<sup>١</sup> . لقمان ٣١: ٢٥ و الزخرف ٤٣: ٨٧ و الزخرف ٤٣: ٩ و الزخرف ٤٣: ٨٧.

<sup>٢</sup> . الدر المنثور ٦: ٣٨ - اخرج ابن مردويه عن ابي سعيد عن النبي في الأثارة.

أو أثاره قطعية من علم، وما يؤثر لك من غيرهم عنهم أو عن النبي صلى الله عليه وآله فلا حجة فيه إلا إذا كانت أثاره من علم الكتاب، تحمل أثر الكتاب حيث يتصادقان.

وهنا يأتي دور المروي متواترا عن النبي صلى الله عليه وآله «ما وافق كتاب الله أو سنتي فخذوه وما خالف كتاب الله أو سنتي فاتركوه»<sup>١</sup> فإن السنة هنا هي القاطعة، مسموعة عنه صلى الله عليه وآله أو مأثورة عن أهل بيته المعصومين عليهم السلام، فالذي يعرض على الكتاب والسنة هي الأثارة: المأثور غير القاطع، فلو حملت علامة العلم بما وافقت الكتاب أو السنة القاطعة، فهي أثاره من علم، وإلا فهي أثاره لا من علم، مهما كان ظنا أو سواه. إن الظن لا يغني من الحق شيئا..

وبما أن الأثارة من الأثرة فقد تعني فيما عنت أثره من علم: أن آثرهم الله بشيء من علم لم يوح إلى نبي في كتاب أو سواه، ولم يلهم إلى عقل!.

فاتوني بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم: بقية تحمل اثرا من علم الكتاب كدليل حيث لا دليل، أو ما آثركم الله به من علم يفوق كل دليل، «أئتوني... إن كنتم صادقين»!.

فيا لله عطفًا بهؤلاء الحماقى الجهال أن يطالبهم بدليل على ما يدعون، وإن كان أثره كما قد يزعمون، وأنى لهم أن يأتوا به إلا أهواء وظنونا عليها يكفون!.

ترى وما هو موقف «من» في «من علم»؟ علها جنسية تعني كون الأثارة من جنس العلم: عاليا كالأثرة، أو نازلًا كما تحمل علامة منه، أو نشوية تعني كون الأثارة البقية صادرة عن مصدر العلم، أثاره كائنة من علم، صادرة عن علم، وعلهما هنا معنيان وما أجمل جمعهما وأكمله! وما أحسن الأثارة التي هي علم وتحمل علامة العلم، دليلاً ثانياً بعد الكتاب؟! فالظن غير المسنود إلى علم، الذي لا يحمل علامة العلم، إنه لا يغني من الحق شيئا.<sup>٢</sup>

ومن ثم أخيرا وبصيغة أخرى «أثارة من علم» قد تعني فيما تعني شيئا يستخرج من العلم بالكشف والبحث والطلب والفحص فتثور حقيقته، وتظهر خبيثته، كما تستثار الأرض بالمحافر فيخرج نباتها وتظهر نائلها، أو كما يستثار القنص من مجائمه ويستطلع من مكامنه.

ثم اذ لا شرك لها في الخلق، فلا شرك إذا في التقدير والتدبير ولا العبادة - واهرى! - فأنى تصرفون! ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين».

اللهم إنه لا أضل منهم، فالمدعو في مثلث الخيبة لهم منذ الدنيا ليوم الدين، اثنان يوم الدنيا: «من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعاءهم غافلون» وواحد يوم الدين يحمل استجابة عليهم

<sup>١</sup> . (ومن أهمها ما رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله انه قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر فمن كذب علي متعمدا فليتبؤ مقعده من النار، فما جاءكم من حديث يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جائكم من حديث يخالف كتاب الله فلم أقله.

<sup>٢</sup> . (راجع سورة النجم، تفسير الآية «وان الظن لا يغني من الحق شيئا» من تفسير الفرقان.

واستجاشة لشعورهم بأشد تأنيب: «وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين».

### وجوب تبين الأخبار

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»<sup>١</sup>.

ادب جماعي تحمله آية النبأ، يقرر للجماعة المؤمنة كيف يتلقون الأنباء، فانهم لا يشاهدون جمعاء حضور المباشرة، اللهم الا قلة قليلة، ومن ثم تبقى الكثرة الكثيرة غائبة عن الادراك المباشرة، ومن المستحيلات في الحياة الجماعية الاستقلال بما يشاهده الانسان، دون استغلال لما يشاهده غيره فيشهد به، وهذه الآفة كعدد امثالها، تنهى عن الركون الى انباء الفاسقين الا اذا تبين فيها صدق يجعله علما كسائر العلم، الذي يعتمد عليه المؤمنون العقلاء، والعقلاء المؤمنون.

ان الأخذ والرفض في الأنباء ليسا فوضيَّ دون حساب، وانما لكل ميزان عادل، فلا يؤخذ خبر الفاسق الا ان يتبين صدقه، ولا يرفض خبر العادل الا ان يتبين خطاه، ثم لنا بين الأخذ والرفض وقفة إن لم يتبين لا صدق ولا كذب، وليس ذكر الفاسق هنا الا لانه أظهر مظان الكذب، فليشمل الجاهل والناسي والساهي واضرابهم ممن يتطرق الى انباءهم خلاف الصدق وان كانوا غير عامدين، او ان الفاسق يشملهم كلهم لانه خروج عما يحق من طاعة الله، علما أو عملاً، نقلاً للأنباء او تنقلاً ام ماذا، فمن يجهل صحة النبأ ثم ينقله كنبأ صادق، انه فاسق علمياً ولو كان زاهداً، بل وعملياً اذ لا يجوز هكذا نقل مغرٍ لمن يتقي الله، وكذلك من ينسى أو يسهو، او يتقبل الأنباء دون تبين، فانه فاسق في نقله الا ان يبين حقيقة الحال، فيتبين للمنقول له انه ينقله مراعيًا شرائط الوثوق مجانبا كل جوانب الفسوق في نقله هذا النبأ، والا فتبينوا بغية حصول العلم الاطمئنان، مخافة: «ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»!

وكما يروى عن الامام الصادق عليه السلام قوله للمنصور: «لا تقبل في اذى رحمك واهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرّم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فان المنام شاهد الزور وشريك ابليس في الإغواء بين الناس»<sup>٢</sup> - ثم أستشهد بالآية».

<sup>١</sup> . ( الحجرات ٦: ٤٩ .

<sup>٢</sup> . ( امالي الصدوق باسناده الى الامام الصادق عليه السلام .

وترى هل يختص وجوب تبين النبأ بالخبر العظيم الشأن، الذي جاء به فاسق، اذا كان في اتباعه دون تبين اصابة قوم بجهالة فندم على هذه الإصابة كما تلمح من هذه الآية، فلا يجب - اذا - تبين في الأخبار غير العظيمة، أو في العظيمة التي يجيء بها المجهول فسقه او عدله، او التي يجيء بها فاسق وليست فيها اصابة قوم بجهالة ام ماذا!!

في الحق إن آية النبأ لا تنبئ الا عما انبأت، لكنما الآيات في حرمة اتباع الظن واقتفاء ما ليس لك به علم تعمم وجوب التبين حتى يحصل العلم الاطمئنان ايا كان الخبر ومن أي كان، الا اذا كان الاطمئنان - او النوعي منه - حاصلًا بالإخبار ووجوب التبين في آيتنا في مورد لا ينفي عدمه في سواه، لنزول الآية في مورد خاص بالغ الأهمية، ثم الآيات الاخرى تعم فلا تناحر في البين.

وخطاب الآية هذه لا يشمل الرسول صلى الله عليه وآله لمكان «الذين آمنوا» المختصة بالمؤمنين بالله والرسول، وأن الاصابة بجهالة والندامة عليها ليست من شيم الرسول صلى الله عليه وآله الذي «ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى»، فلا تصدق عليه الروايتان في الوليد وعائشة، وقد تصدقنا الآية التالية لها،

١ . لقد رويت في شأن نزول هذه الآية روايتان، احدهما عن طريق الفريقين في الوليد بن عقبة ان النبي صلى الله عليه وآله بعثه الى الحارث بن ضرار الخزاعي ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فرجع قبل ان يصل اليه فقال: ان الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله البعث الى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقبهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشبهم قال لهم: الى من بعثتم؟ قالوا: اليك، قال: ولم؟ قالوا: ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعتك الزكاة وأردت قتله - قال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته وما رأيته - فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته وما رأيته وما اقبلت الا حين احتبس علي رسول الله صلى الله عليه وآله خشيت ان يكون كانت سخطة من الله ورسوله - فنزل «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق...» (الدر المنثور) أخرجه احمد وابن ابي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد عن الحارث بن ضرار قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاني الى الاسلام فدخلت فيه واقررت به ودعاني الى الزكاة فأقررت بها - قلت: يا رسول الله! ارجع الى قومي فادعهم الى الاسلام واداء الزكاة فمن استجاب لي وترسل الي يا رسول الله إبان كذا وكذا لتأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث انه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله فدعا بسرورات قوله فقال لهم: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد وقت لي وقتا يرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وآله الخلف ولا أرى حيس رسول الله صلى الله عليه وآله فأنطلقوا فنأتي رسول الله صلى الله عليه وآله... وبعث... اقول: لا يمكن قبول هذا الحديث هكذا - ان يعتمد رسول الله صلى الله عليه وآله على قول فاسق فيبعث اليه بعثة تقتله، اللهم الا ان «فزعك انك منعتك...» تلمح الى عدم ركون الرسول الى قول عقبة - وان البعثة كانت للتبين - والآية لا تشمل النبي فانه تبين هنا - ولأن الذين آمنوا لا تشمل النبي على أية حال - اضافة الى براءته عن الجهالة فانه لا يصدر إلا عن وحي الله، والثانية ما رواها القمي في تفسيره - ان الآية نزلت في مارية القبطية ام ابراهيم وكان سبب ذلك ان عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله ان ابراهيم ليس هو منك وانما هو من جريح القبطي فانه يدخل اليها في كل يوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لأمير المؤمنين عليه السلام خذ السيف واتتني برأس جريح فأخذ امير المؤمنين

الناكرة لاتباع الرسول في هكذا امور:

«واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون»<sup>١</sup>.  
وي! كأنهم لا يعلمون ان فيهم رسول الله، الصادر عن الله لاعن آرائهم، السائر إلى الله لا إلى أهوائهم، ف «فيكم رسول الله» لا: محمد بن عبدالله، ولا رسول الله والهوى، ولا بشر مثلكم في الجهل والخطا، وانما رسول الله صلى الله عليه وآله لا يصدر الا عن الله، ولا يدعو إلا إلى الله، فمن المحال ان يطيعكم في كثير من الامر، ف «لو يطيعكم في كثير من الأمر» امر الشرع وحكمه «لعنتم» أمتهم وهلكتم فعجزتم انتم عن إمرار الحياة الراحة، واستمرار الحياة السعيدة، واخلدتم إلى حياة جهنمية فوضى، فترى لو ان الرسول اطاع الوليد بن عقبة في فريته على الحارث البريء، او اطاع زوجته عائشة في جريح القبطي البريء، كم كان العنت الحاصل عن طوعهما هوى وجهلاً «ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» ولكنه رسول الله لا يطيع في الأمر الا الله، فاعلموا النصح لكم بلسانه: «يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا... لاله وهو النزيه عن اتباع هواه أو سواها، الا وحيا يوحى، فضلاً عن أهوية سواها ولا سيما الفاسقين!».

عليه السلام السيف ثم قال: بأبي انت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله انك اذا بعثتني في امرك اكون فيه كالسفود المحمي في الوبر فكيف تأمرني اثبت فيه او امضي على ذلك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بل تثبت - فجاء امير المؤمنين الى مشربة ام ابراهيم فتسلق عليها فلما نظر اليه جريح هرب منه وصعد النخلة فدنا منه امير المؤمنين عليه السلام وقال له: انزل - فقال له: يا علي! اتق الله ما ههنا أناس اني محبوب ثم كشف عن عورته فاذا هو محبوب، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما شأنك يا جريح؟ فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله! ان القبط يحبون حشمتهم ومن يدخل الى اهلهم والقبطيون لا يأمنون إلا بالقبطيين، فبعثني ابوها لأدخل اليها وأخدمها وأونسها - فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا.

اقول: والحديث مضطرب حسب الظاهر - اذ ينسب الى الرسول صلى الله عليه وآله انه امر بقتل برىء بمجرد شهادة امرأة بظنة وتهمة - الا ان في رواية عبدالله بن موسى عن احمد بن راشد عن مروان بن مسلم عن عبدالله بن بكير قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام جعلت فداك كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد امر بقتل القبطي وقد علم أنها كذبت ام لم يعلم؟ وانما دفع الله عن القبطي القتل بثبت علي عليه السلام؟ فقال: قد كان والله اعلم - ولو كانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ما رجع علي حتى يقتله ولكنه انما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لترجع من ذنبها فما رجعت ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها.

اقول: ولكن يبقى هنا ان رجوع امرأة عن ذنبها - وما رجعت - لا يبرر ارهاق واهانة رجل مسلم برىء - وان «الذين آمنوا» ليست لتشتم الرسول صلى الله عليه وآله كما في قصة عقبة وان الجهالة لا تنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يمضي الا بأمر الله.

<sup>١</sup> . (الحجرات ٤٩ : ٧).

فلا ترغبوا في اتباعه صلى الله عليه وآله لكم، ولا ترقبوا أن يتابعكم: «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن»<sup>١</sup> «فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم»<sup>٢</sup> اللهم الا في قليل ممن الامر الذي لا بد ويوافق الحق، حيث الكثير فقط في العادة هو الخاطيء لانهم يتبعون الظن وما تهوى الانفس: «وان تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون»<sup>٣</sup> ومن ثم القليل هو المصيب: «وقليل من عبادي الشكور»<sup>٤</sup>. فاعلموا انه الرسول، جاء ليزيل عنكم وصمات العنت، ويبعدكم عن خطوات الغلط، فكيف يزيدكم عنتا على عنت وغلطا على غلط؟: «لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم»<sup>٥</sup>.

فُلْ فَلَّه الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ:°

إنها ليست حجة الظن كما تزعمون، فإن الظن لا يغني عن الحق شيئا، إنما هي علم أو إثارة من علم آفاقيا وأنفسيا<sup>٦</sup> «قل فله الحجة البالغة، تبلغ الجاهل كما العالم مهما اختلفت حجة عن حجة<sup>٧</sup> ولكنما

<sup>١</sup> . ( المؤمنون ٢٣ : ٧١ .

<sup>٢</sup> . ( الشورى ٤٢ : ١٥ .

<sup>٣</sup> . ( الانعام ٦ : ١١٦ .

<sup>٤</sup> . ( التوبة ٩ : ١٢٨ .

<sup>٥</sup> . ( الانعام ٦ : ١٤٩ .

<sup>٦</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٧٧٥ عن اصول الكافي بعض اصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يا هشام ان لله على الناس حجتين ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام واما الباطنة فالعقول .

<sup>٧</sup> . ( نور الثقلين المصدر في امالي الشيخ الطوسي باسناده الى مسعدة بن صدقة قال سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام وقد سئل عن قول الله «فله الحجة البالغة» فقال: ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي اكنت عالما؟ فان قال: نعم قال له: افلا عملت بما علمت وان قال: كنت جاهلا قال له: افلا تعلمت حتى تعمل فيخصمه فتلك الحجة البالغة .



«الحجة البالغة» تبلغ إلى كافة المكلفين بالمبلغين الرساليين رسلاً وأئمة معصومين عليهم السلام<sup>١</sup> والذين يحملون عنهم.

ذلك، وأبلغ حجج الله الطاهرة الظاهرة هو القرآن العظيم، فإنه الأكبر في الثقلين، وهو الظاهر لا يغيب والباقي مر الدهور مهما غاب الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل الرسول عليهم السلام أم ماتوا، ولأن الرسول صلى الله عليه وآله وذويه حجة مع القرآن، فالسنة هي حجة هامشية مبينة للقرآن: «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً»<sup>٢</sup>.

فالرسول بجنب الكتاب حجة علمية وعملية، فهو أسوة فيهما كيلا يقال: لم نفهم الكتاب كله، أم لا نستطيع أن نعمل بالكتاب كله، والرسول أمثلة للكتاب كله، حجة تقطع كل الأعذار.

ذلك - وفاء التفريع الأول فيه «فلله» تقلب حجتهم عليهم إذ لا حجة لهم على دعواهم فليس عندهم عليها من علم فيخرجوه، والتفريع الثاني في «فلو شاء» حجة أخرى على غرقهم في لجّتهم أنه لا يشاء تسييرا على الهدى بل هو تخير اختياراً للهدى أو للردى «فلو شاء لهداكم أجمعين» وليس إختيارهم الشرك تحقيق مشيئة تشريعية أم وتكوينية مسيرة لهم على الشرك، ومن الحجّة البالغة لله الفطر والعقول الحاكمة بتوحيد الله وهم تاركوهما إلى ظنون وتخيلات وتخيلات تعارض كافة الحجج الآفاقية والأنفسية!

فلأن «لله الحجّة البالغة» دوّما تقصير أو قصور، وهو يشاء تشريعياً تحقيقها واقعياً، «فلو شاء» ذلك تكويناً وتسييراً «لهداكم أجمعين» ولكنه على حجته البالغة في كل الحلقات يبتليكم بما تختارون. فليس عدم صدّه عن الإشراك به لرضاه به أو عجزه عن ذلك الصد، إنما هو حكمة بالغة تكليفاً حنيفاً عطيفاً في دار البلية والإختبار بالإختيار.

وهذه الآية هي من تلك التي تدلنا على واقع الأمر بين أمرين دون جبر ولا تفويض من جهات عدة: فإن «كذلك كذب» تنديد بالقول «لو شاء الله ما أشركنا» في خرافة الجبر، ثم ومديده «حتى ذاقوا بأسنا» ومن ثم التجهيل بفارغ الحجّة «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا».

<sup>١</sup> (نور الثقلين ١: ٧٧٦ في اصول الكافي عن سدير عن أبي جعفر عليهما السلام قال قلت له ما انتم؟ قال: نحن خزان علم الله ونحن تراجمة وحي الله ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض. وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الهدى الذي لا يؤتى الا منه وسبيله الذي من سلكه بغيره هلك وكذلك يجري ائمة الهدى واحدا بعد واحد جعلهم الله اركان الأرض ان تميد باهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

<sup>٢</sup> (النساء ٤: ١٦٥).

## التكليف على ضوء بلاغ الرسالة

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا  
شَهَدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ: ١  
آية وحيدة في صراح التعبير عن كيان الرسالة بين معشر الجن والإنس، يتساءلون فيها يوم الحساب  
عن إتيان رسل منهم.

ولأن معشر الجن والإنس هما صفتان اثنتان فقضية «ألم يأتكم رسلٌ منكم» أن يكون رسلهم صنفين  
اثنين<sup>٢</sup> مهما كان أصل الرسالة في الإنس، اللهم إلا عند اختتام الوحي بالرسول إلى العالمين أجمعين  
محمد صلى الله عليه وآله حيث انقطع به الوحي<sup>٣</sup> فرسل الجن عنده لا يحملون وحيا من الله، إنما هم ممثلون  
للرسول صلى الله عليه وآله بين قبيلهم كما تدل عليه آيات الجن والأحقاف: «قل أوحى إلي أنه استمع نفر من  
الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا\* يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا\* وأنا لمسننا السماء  
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا\* وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له  
شهابا رصدا»<sup>٤</sup> - «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي-  
ولوا إلى قومهم منذرين\* قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي  
إلى الحق وإلى طريق مستقيم\* يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم  
من عذاب أليم\* ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في

<sup>١</sup> .( الانعام ٦ : ١٣٠ .

<sup>٢</sup> .( نور الثقلين ١ : ٧٦٨ في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه امير  
المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة حديث طويل وفيه سألته هل بعث الله تعالى نبيا الى الجن؟ فقال: نعم بعث إليهم  
نبيا يقال له يوسف فدعاهم إلى الله فقتلوه.

<sup>٣</sup> .( المصدر عن ابي جعفر عليهما السلام قال في حديث طويل: ان الله عزَّ وجلَّ ارسل محمدا صلى الله عليه وآله الى الجن  
والانس.

<sup>٤</sup> .( الجن ٧٢ : ٩ .

ضلال مبين<sup>١</sup>

ولقد تكفي العصمة في الداعية لكي يكون أسوة للمدعوين دون إشتراط عصمة الرسالة، مهما كان لدعاة الجن قبل الرسالة الأخيرة عصمة الرسالة، فالعصمة للداعية على أية حال هي قاطعة الأعدار. ف «هو الذي أسكن الدنيا خلقه وبعث إلى الجن والإنس رسله ليكشفوا لهم عن غطاءها وليحذروهم من ضراءها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم عيوبها، ولينهجوا عليهم بمعتبر من تصرف مصائبها وأسقامها وحلالها وحرامها وما أعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان»<sup>٢</sup>.

وهنا «معشر الجن والانس» المندد بهم في الخطاب العتاب ليسوا هم كلهم، بل هم شياطين الجن والانس لمكان «شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» وسابق الخطاب العتاب «يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس» وان المعشر هم كل جماعة أمرهم واحد عشرية واحدة في أمرهم كفارا أو مسلمين، فجوابا عما قاله «أولياءهم من الإنس» يخاطبون تساءلاً «ألم يأتكم..» والجواب «قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» فلا عذر لهم في شيطنتهم بتمتعاتهم المتبادلة المحظورة ودعاياتهم الضالة المضلة.

هنا «منكم» تقتسم الرسالة بين معشر الجن والانس إلى رسل من الجن ورسل من الإنس، إذ لو اختصت الرسالة برسول الإنس ف «منكم» في قبيل الجن مسلوقة، كما واختصت برسول الجن كانت

<sup>١</sup> . الاحقاف ٤٦ : ٣٢ .

<sup>٢</sup> . نور الثقلين ١ : ٧٦٨ عن نهج البلاغة عن علي امير المؤمنين عليه السلام، وفيه . . واصطفى سبحانه من ولده (آدم) أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لَمَّا بَدَّلَ أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويؤروهم الآيات المقدرة، من سقي فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وأجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليه، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسل لا تقصّر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سُمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء. الخطبة ٣١/١

ذلك «وليقيم الحجة به (آدم) على عبادته، ولم يُخلهم بعد ان قبضه، مما يؤكد حجة ربوبيته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من انبيائه، ومتحملي ودائع رسالاته، قرنا فقرنا، حتى تمت بنينا محمد صلى الله عليه وآله حجته، وبلغ المقطع عذره ونذره» (الخطبة ١٧٤/٣/٨٩) «فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الأضلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خَلَفَ، حتى أفضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله . . أرسله على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم» (١٨٥/٩٢).

«منكم» في قبيل الإنس مسلوقة.

والقول إن «منكم» لا تدل على أزيد من كون الرسل من جنس المخاطبين وهم مجموع الجن والإنس لا من غيرهم كالملائكة حتى يستوحشوا منهم ولا يستأنسوا بهم ولا يفقهوا قولهم.. إنه غريب في موقفه، فإن مجانسة الرسول مع مجموع المخاطبين تتطلب إما كون الرسول إليهم من الجن كما هو من الإنس، رسولاً ذا بعدين! أم إن لكل رسولاً منهم.

كما وأن مجانسة الرسول مع المرسل إليهم من قواطع الأعذار إستصلاً لها عن بكرتها حتى لا يقول جني لو أن رسولنا منا لكننا نعرف المسؤولية الكبرى فإنه أسوة لنا، وكذلك الإنس، فليكن لكل معشر- عشيره من جنسه اجتناباً لجذور الأعذار.

ذلك، وقد تلمح لاختلاف الرسل بين مختلف الجن والانس آيات ك «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير»<sup>١</sup> ولكل أمة رسول...<sup>٢</sup> ومن البين إختلاف أمتي الجن والإنس.

وكذلك «لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون»<sup>٣</sup> حيث المسانحة المؤنسة القاطعة للعدر، هي مما يكمل بالغ الحجة الربانية.

ولا تدل آيات اصطفاء الرسل من الناس ك : «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ»<sup>٤</sup> وإن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين<sup>٥</sup> إنها لا تدل على إختصاص الإصطفاء الرسالي بالإنس والملائكة، فإمّا تدل على أن الرسل الملائكي والإنساني أصفى من سائر الرسل، فرسل الجن هم على ضوء رسل الملائكة والإنس قضية هذه الآيات وآية المعشر هذه.

ولأن رسل الرسل رسل من الله تعالى كما في رسل المسيح عليه السلام فرسل الجن - ولا سيما قبل الرسالة الأخيرة - هم رسل الله مما يحملون رسالة الله مهما كانت فرعاً لرسول البشر، وأما بعد ختم الرسالة فقد تعني رسالة الجن رسالة العصمة دون وحي مهما كان فرعاً على وحي القرآن إلى محمد صلى الله عليه وآله ثم لا عصمة حاضرة زمن الغيبة، إذا فرسالة الجن قبل ختم الرسالة هي رسالة فرعية بوحى على ضوء رسول الإنس وهي عند ختم الرسالة هي دون وحي، فإمّا هي عصمة كافلة لأداء أمانة الوحي، أم إن ربانيي الجن في زمن الغيبة الكبرى هم النواب العامون بين الجن، للإمام الغائب كربانيي الإنس بين

<sup>١</sup> . ( فاطر ٣٥ : ٢٤ .

<sup>٢</sup> . ( يونس ١٠ : ٤٧ .

<sup>٣</sup> . ( الانعام ٦ : ٩ .

<sup>٤</sup> . ( الحج ٢٢ : ٧٥ .

<sup>٥</sup> . ( آل عمران ٣ : ٣٣ .

الإنس.

وهنا «شهدنا على أنفسنا» في استجوابهم عن إتيان الرسل، شهادة على أنفسهم أنهم أتتهم رسل منهم بكامل القصص لآيات الله وإنذارهم لقاء يومهم هذا.

ثم «وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين» شهادة ثانية بعد معترضة الجملة: «وغرتهم..» أنهم تركوا دعوة الرسل وغرتهم الحياة الدنيا فهم أولاء كافرون غير معذورين.

ولا تغر الحياة الدنيا إلا من ينغر بها ويغتر، فلأنهم اغتروا بها حسن أن يقال إنهم غرتهم، كما وغركم بالله الغرور.<sup>١</sup>

والقول إن ضرورة المجانسة منقطعة في الرسول الملك إلى رسل الإنس والجن فلا ضرورة مطلقاً؟ مردود بأن المجانسة مفروضة بين الرسول والمرسل إليهم، وليست الرسل هم من المرسل إليهم لملائكة الوحي بل هم حملة الوحي إليهم، رسالة منهم أولاء كوسطاء إلى سائر المرسل إليهم، ثم ولا عاذرة لهؤلاء الرسل ولو كانوا مرسلين إليهم في رسالة الملائكة إليهم.

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ.<sup>٢</sup>

فالغفلة القاصرة هي العاذرة لأهلها دون المقصرة، وهي غفلة التغافل في جو الرسالة الربانية، ف «ذلك» الإرسال المتواتر لرسل الجن والإنس يعني فيما عناه أن يكون إهلاك القرى بظلمهم دون غفلة قاصرة، بل على تقصير منها بغفلة مقصرة، إذا ف «وأهلها غافلون» تعني الغفلة القاصرة.

وقد تُخرج «وأهلها غافلون» غير الغافلين عما يتوجب عليهم أو يحرم عند الله وإن لم تصلهم دعوات الرسل، حيث الفطرة والعقلية الإنسانية مبصرة لأهلها، ولكن الغفلة المقصرة في غير ما دعوة رسالية لا تتطلب الإهلاك مهما تطلبت حساباً يوم الحساب كما في كل الأحياء.

ذلك، لأن الإهلاك يوم الدنيا ليس إلا لعظيم العصيان حيث يعمد في جو البلاغات الرسالية: «... وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً\* وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً.<sup>٣</sup> وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون.<sup>٤</sup> ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولاً،<sup>٥</sup> إذا فالغفلة المغفورة بالنسبة لذلك الإهلاك تجمع المقصرة إلى القاصرة

<sup>١</sup> . ( الحديد ٥٧ : ١٤ .

<sup>٢</sup> . ( الانعام ٦ : ١٣١ .

<sup>٣</sup> . ( الاسراء ١٧ : ١٦ .

<sup>٤</sup> . ( الشعراء ٢٦ : ٢٠٨ .

<sup>٥</sup> . ( طه ٢٠ : ١٣٤ .

عند عدم البلاغ الرسالي «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»<sup>١</sup>. ذلك، ولا يخص إهلاك القرى بتدميرها بأهلها، بل وبإضلاله إياه أن يجعل صدورهم ضيقة حرجة، إهلاكاً في الأولى وآخران في الأخرى، في البرزخ والقيامة الكبرى، جزاءً وفاقاً.

ثم «بظلم» قد تعني إلى ظلمه سبحانه ظلمهم عن غفلة دون رسالة هادية، فإهلاكهم وهم غافلون بظلم ظلم في غير جو الرسالة الربانية، مهما كان لظلمهم جزاءً وفاقاً، ولكنه ليس ذلك الإهلاك: فكأين من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها<sup>٢</sup>. «ما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»<sup>٣</sup>.

وَكُلُّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ<sup>٤</sup>:

«ولكل» من الصالحين والطالحين من الجن والإنس، «درجات» مهما كانت درجات الطالحين درجات: أفمن اتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير. هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون<sup>٥</sup>.

فكما الإيمان والعمل الطالح درجات، كذلك لأصحابها درجات حسبها، وكما للكفر والعمل الصالح درجات فكذلك لأصحابها درجات تجمعها في صيغة واحدة درجات إما إلى الجنة وإما إلى النار. «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ»<sup>٦</sup>:

«وربك» أنت يا أفضل المربوبيين وأول العارفين والعابدين «الغني» - فقط - دون من سواه، فلو كان غني سواه لكان النص «غني» قضية تنكير الخبر، ثم هو على غناه «ذو الرحمة» على عباده دون مقابل، لا رحيم سواه، وليست العبادة إلا لصالح العابدين ف «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» أنتم المتخلفين عن شرعته «ويستخلف من بعدكم ما يشاء» إنساناً وغير إنسان - كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين-

<sup>١</sup> . (الأنفال ٨ : ٤٢ .

<sup>٢</sup> . (الحج ٢٢ : ٤٥ .

<sup>٣</sup> . (هود ١١ : ١١٧ .

<sup>٤</sup> . (الأنعام ٦ : ١٣٢ .

<sup>٥</sup> . (آل عمران ٣ : ١٦٣ .

<sup>٦</sup> . (الأنعام ٦ : ١٣٣ .

و«ذرية قوم» قد تعني من نطفة قوم آخرين أذهبهم ربهم بموت أو إهلاك. وهنا «ما يشاء» دون «من يشاء» لمحة إلى واسعة رحمته ومنطلقته في إنشاءه، فليس يختص خلقه بكم أنتم الناس، أو أنكم القمة التي لا بديل عنها ف «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد\* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد\* وما ذلك على الله بعزيز.<sup>١</sup> إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين»<sup>٢</sup>.

هنا «ربك الغني» ك «يا أيها الناس أنتم الفقراء» وتعريف «الغني» يعرفه انه هو فقط «الغني» حيث «غني» لا يحصر فيه الغنى، كما الناس محصورون في الفقر ليس لهم إلا الفقر. ف «ربك الغني ذو الرحمة» تحصر الغنى والرحمة فيه، فكل غني ورحمة لأي غني ذي رحمة إنما تنشأ من رحمته وغناه لا سواه.

فالغني الطليق في غناه لا يحتاج إلى عبادة أم أية فاعلية ممن سواه، ولا يحتاج إلى ظلم من سواه، فإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف في غناه قدرة وعلما ورحمة أماهيه من قضايا غناه.

ولو كان بعض الأغنياء أغبياء يظلمون لا حاجة وإنما لشقوة وقساوة، ف «ربك الغني ذو الرحمة» فطليق الغني والرحمة يقتضيان كامل العدل والفضيلة، فلا يفعل أو يقول ما يفعله أو يقول إلا عن غنى ورحمة، رحمة لا يطلب بها جزاءً لغناه، وغنى يفيض بها لرحمته، فما هكذا الرب بحاجة إلى مربوبيه أم بحاجة إلى ظلمهم، إلا رحمة أو عذابا هو في الحق رحمة تأديبا للمتخلفين وتعديلاً في العدل بين المخلوقين.

ذلك، ومن رحمته أن يكلف عباده بما يكلفهم، ومن رحمته إثابة من أطاعه وعقاب من عصاه، كما من رحمته مزيد الثواب للمطيعين وأقل العذاب للعاصين وقبول التوبة وسائر التكفير للعصاة ما هو عدل وفضل خارجا عن أية ظلامة بحقهم وبحق الآخرين.

«جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ»<sup>٣</sup>.

علّ حق الفاعل في «يدخلونها يحلون» هو الوارثون للكتاب المصطفون، فانهم سابق الكلام ومحوره وانهم «سابق بالخيرات»!

ثم المقتصد الحزين بما قصر او قصر: «وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن» ثم «ظالم لنفسه: إن ربنا لغفور شكور».

<sup>١</sup> .( فاطر ٣٥ : ١٧ .

<sup>٢</sup> .( النساء ٤ : ١٣٣ .

<sup>٣</sup> .( فاطر ٣٥ : ٣٣ - ٣٥ .

ف «قالوا - الى - شكور» لا تناسب ساحة السابقين بالخيرات فلا ذنب لهم حتى يغفر، ولا حزن حتى يذهب فانهم من افضل من «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»!. ثم «الذي احلنا.» يناسب الطوائف الثلاث اجمع، حيث الجنة - فقط - هي من فضل الله كما النار هي من عدل الله.

ويحلون من التحلية: التزيين، «من اساور» اعجمية من دستواره وهي زينة الايدي، واللؤلؤ معروف كما الحرير، و«دار المقامة» هي دار الخلود التي لا حول عنها ولا خروج، والنصب: التعب في جوها، واللغوب هي التعب في طلب الحاجة فيها، خلاف الحياة الدنيا التي هي تعب على تعب، ولغّب على نصّب.

ويا له من مشهد حنون، فالجو كله يسر وراحة، حتى الجو الموسيقى لجرس الالفاظ كله هادىء ناعم رتيب حتى الحزن بدل الحزن، فضلاً عن «دار المقامة».. والى صفحة اخرى من مسرح الحساب: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ»

«والذين كفروا» هنا هم الخالدون المؤبدون في النار اذ «لا يخفف عنهم» والخروج عن النار من التخفيف ثم لو خرجوا من النار وليس لهم جنة، اذا فلا جنة لهم ولا نار، فاين هم خارجها؟! «لهم نار جهنم» تحصر حظهم فيها، فلا خروج لهم عنها، اذا فهم اصول الكفر متبوعين وتابعين كما يلحم له «كل كفور»: غليظ الكفر وحضيضه، دون المزيج الكفر بايمان، فان له نصيباً من الرحمة. «لا يقضى عليهم فيموتوا» في النار، دون اصل الموت ولو مع النار، فان قضية العدل نهاية العذاب كنهاية الاستحقاق، وأنهى النهاية للعذاب ان يموت المؤبدون مع النار، فلا نار - اذا - ولا اهل النار! ونادوا يا مالِك ليقتض علينا ربك قال انكم ماكنون<sup>1</sup> في النار - طبعاً - ما دامت النار.

«ولا يخفف عنهم من عذابها» تخفيفاً في زمن العذاب ان يموتوا قبل تمامه ام يخرجوا، ام تخفيفاً في قدره وهم في النار، ان يتعودوا العذاب، فانه أشكال متلاحقة فلا تعود فيه يخفف به، وكذلك نجزي كل كفور» بالغ في الكفر نهايته، فهو بالغ في العذاب نهايته جزاءً وفاقاً.

«وهم يصطرخون فيها» بصوت غليظ مختلط الأصداء، متناوح من شتى الدركات «ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل» وترى ان «صالحاً» لا يصلح تصريحاً ل «غير الذي كنا نعمل»؟ اجل! فلكي يزيحوا كل شبهة عن امرهم يفسرون «صالحاً» بـ «غير الذي كنا نعمل» لكي لا يفسر- صالحهم هذا بما كانوا يرونه صالحاً «ويحسبون انهم يحسنون صنعا»!.

لا! وانما صالحاً في الحق، يختلف عن كل صالح في زعمنا وكل طالح في واقعنا فنصبح من الصالحين حقاً!.

«رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم

<sup>1</sup> ( . الزخرف ٤٣ : ٧٧ .



يبعثون<sup>١</sup> وهنا الجواب الحاسم يحمل تنديدا صارما صارخا بالمصطرخين في الجحيم «اولم نعمركم..؟» وهنا الواو تقتضي معطوفا عليه محذوفا مثل: لم نذكركم بكل حجة صارخة وبينه صارحة، «اولم نعمركم..؟» فقاطع العذر ليس إلا امران اثنان: «نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر - وجاءكم النذير» فان جاء النذير ولم يفسح مجال للتفكير كمن عاش حين النذارة ساعات أو أياما لا تكفي للتذكير، فقد اعذر.

ام عاش حياة الذكر ولم يأتته نذير فقد اعذر فضلا عما نذر فقد النذير وفسحة التذكير فهو اعذر واعذر!. وعلى هذا الاساس فكلما كانت النذارة اقوى وفرصة التذكر اكثر واندى، فالعذاب اوفر واشجى، وكلما كان قاطع العذر اضعف فالعذاب أخف ام يعفى عنه كما في المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

فمن عاش جو الغفلة والتغافل، بمظاهر الشهوات وجواذب النزوات يخفف عنه حسب خفة الحجة، ومن عاش جو الذكرى مديد العمر ولم يتذكر فلا يخفف عنه العذاب.

«اولم نعمركم ما يتذكر فيه» المكلف العاقل ك «من تذكر» من المؤمنين «وجاءكم النذير» زيادة للتذكير «فذوقوا» عذاب السعير «فما للظالمين» بحق الله وخلقهم «من نصير»<sup>٢</sup>.

## البلوغ

### ودرجاته

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ<sup>٣</sup>.  
«أي شيء أكبر شهادة» على صادق الوحي إليك؟ طبعاً هو الله لأنه الأكبر على الإطلاق، وان شهادة الوحي راجعة إليه، فلا شاهد أكبر وأحق شهادة له منه: «قل كفى بالله» ولأن الجواب هنا بيّن

<sup>١</sup> . (المؤمنون ٢٣ : ١٠٠).

<sup>٢</sup> . (تفسير البرهان ٣ : ٣٦٦ - ابن بابويه عن ابيه عن سعد بن عبدالله عن احمد بن ابي عبدالله البرقي باسناده رفعه الى ابي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل «اولم...»).

<sup>٣</sup> . (الانعام ٦ : ١٩).

للمشركين حيث يعتقدون في ألوهيته وربوبيته الكبرى، لذلك طوى عن ذكره بقولهم وقوله، أم إن  
«قل الله» جواب وهو مع الوصف مبتدأ خبره «شاهد...»<sup>١</sup>  
«قل الله شهيد بيني وبينكم» وبماذا يشهد؟ «لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة  
يشهدون وكفى بالله شهيدا»<sup>٢</sup>  
فالقرآن بنفسه شهيد وبينه من ربه وكما هو بنفسه بينة ويتلوه شاهد منه:  
«أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به  
ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا  
يؤمنون»<sup>٣</sup>  
وهنا «أوحى إليّ هذا القرآن» تجعل القرآن المحور الأصيل للشهادة الإلهية على وحيه «لأنذركم به»  
عن عذاب الله في يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.  
«ومن بلغ»: من بلغ مبلغا منذرا كالأئمة المعصومين،<sup>٤</sup> ومن بلغ مبلغ الإنذار بعدي وبعدهم من

<sup>١</sup> ( . نور الثقلين ١ : ٧٠٦ عن التوحيد باسناده إلى محمد بن عيسى بن عبيد قال قال لي ابو الحسن عليه السلام  
تقول إذا قيل لك أخبرني عن الله شيء هو أم لا شيء؟ قال: فقلت له: قد اثبت الله نفسه شيئا يقول: قل أي  
شيء أكبر شهادة قل الله... » فأقول: إنه شيء لا كالأشياء إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه، قال لي عليه السلام:  
صدقت وأصبت.

<sup>٢</sup> ( . النساء ٤ : ١٦٦ .

<sup>٣</sup> ( . الدر المنثور ٣ : ٧ عن ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا يا  
ما تعلم مع الله إلها غيره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا إله إلا الله» بذلك بعثت وإلى ذلك ادعوا فانزل الله في  
قولهم «قل أي شيء أكبر شهادة...»  
وفي نور الثقلين ١ : ٧٠٦ في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في الآية وذلك ان مشركي  
اهل مكة قالوا يا محمد ما وجد الله رسولا يرسله غيرك؟ ما نرى أحدا يصدقك بالذي تقول، وذلك في أول ما دعاهم  
وهو يومئذ بمكة، قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فرعموا انه ليس لك ذكر عندهم فأتنا من يشهد أنك رسول  
الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الله شهيد بيني وبينكم...»<sup>٤</sup>

<sup>٤</sup> ( . هود ١١ : ١٧ .

<sup>٥</sup> ( . نور الثقلين ١ : ٧٠٧ في أصول الكافي بسند متصل عن مالك الجهني قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله  
عز وجل: الآية، قال: من بلغ أن يكون إماما من آل محمد عليهم السلام فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله  
صلى الله عليه وآله، ورواه مثله العياشي عن الصادقين عليهما السلام، وفي تفسير البرهان ١ : ٥٢٠ عن تفسير العياشي عن أبي

العلماء الربانيين،<sup>١</sup> فلا بد - إذا - للمنذر بالقرآن من بلوغ هو بلوغ العقلية القرآنية تلقياً وتطبيقاً وإلقاءً، وذلك مثلث لهندسة الإبلاغ والإنذار بالقرآن، عطفاً ل «من بلغ» بفاعل «أنذركم». ثم «من بلغ» من المنذرين، بلغ عقلياً إذ لا تكليف للصغار والمجانين، ومن بلغه منهم طول الزمان وعرض المكان منذ بزوغه إلى يوم الدين، ومن بلغ به<sup>٢</sup> عطفاً له بمفعوله «كم». إذا - «من بلغ» دون تقييد أدبي بالمنذر والمنذر، أو كونه لازماً أو متعدياً، إنَّه تعبير قاصد إلى مسدس المعاني: لأنذركم به وينذركم من بلغ في مثله، ومن بلغ في نفسه منذراً، وبلغه هذا الوحي، وذلك من ميّزات القرآن أن يجمع معاني عدة بلفظ واحد يتحملها.<sup>٣</sup>

---

خالد الكابلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام «واوحي إليّ هذا القرآن..» حقيقة أي شيء عنى بقوله: «ومن بلغ» قال: فقال من بلغ أن يكون إماماً من ذرية الأوصياء فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنه عليه السلام قال: علي عليه السلام ممن بلغ.

<sup>١</sup> . تفسير البرهان ١: ٥١٩ - العياشي عن زرارة وحمزان عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في الآية «يعني من بعده وهم ينذرون به الناس».

<sup>٢</sup> . الدر المنثور ٣: ٧ عن ابن عباس وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ يعني من بلغه هذا القرآن فهو له نذير، وفيه أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكل جبار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وليس بالنجاشي الذي صلى عليه، وفيه أخرج أبو الشيخ عن أبي بن كعب قال أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بأسارى فقال لهم هل دعيتم إلى الإسلام قالوا لا فخلى سبيلهم ثم قرأ: «واوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ» ثم قال خلوا سبيلهم حتى يأتوا مأمئتهم من أجل أنهم لم يدعوا وفيه أخرج ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من بلغه القرآن فكأنما شافهته به ثم قرأ هذه الآية» وفيه عن قتادة في الآية ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله.

وفي نور الثقلين ١: ٧٠٧ في كتاب علل الشرايع بسند متصل عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله عزّ وجلّ: «واوحي.. ومن بلغ» قال: «لكل إنسان».

أقول: وفي نسخة أخرى «بكل لسان» رواه هكذا في تفسير البرهان ١: ٥٢٠.

<sup>٣</sup> . و«بلغ» فاعلاً ومفعولاً لازماً ومتعدياً تعني المعاني التالية: من بلغ مثلي، أم تلى تلوي، من بلغ مبلغ العقل وبلغه القرآن ثم بلغ بالقرآن، فشرط الانذار بالقرآن هو البلوغ به مبلغ الرسول صلى الله عليه وآله قدر المستطاع، وشرط المنذر بلوغ حد التكليف، فهنا احتمالات في جملة هذه الجملة، الصالحة منها معنية وغيرها غيرها. ف «كم» قد تعني خطاب الحاضرين من أم القرى، أم كافة المكلفين ممن حولها، و«بلغ» عطفاً على المفعول قد تعني بلوغ المعرفة وجاه قوم لد في الوجه الأول من الخطاب، فهم البالغون مختلف مدارج العقل والعلم والمعرفة، ما

إذا فالبالغ بالقرآن يندّر به وذلك بعد بلوغه وبلوغ القرآن إليه، والبالغ عقل التكليف يندّر به، والبالغ إليه القرآن وهو بالغ مندّر به فمندّر به، فلا بد من حمل القرآن لحد البلوغ به، ثم إبلاغه إلى كل من يعقل عنه.

صحيح أن الرسول صلى الله عليه وآله هو الصادع الأول لهذا البلاغ المبين، ولكن الانذار بالقرآن لا ينحصر فيه وفي المعصومين من أهل بيته الكرام عليهم السلام، لأنه يحمل دعوة عالمية تشمل الطول التاريخي والعرض الجغرافي.

ذلك و«كم» في «لأنذركم» تعني - مع الحاضرين زمن الخطاب - كلّ المكلفين في وجهي الخطاب، فإن «من بلغ» في وجه الفاعلية تجعل «كم» هم المندّرين ككل، وهي في وجه المفعولية تخص الحاضرين، فانها من بلغه القرآن وهو بالغ لحمل التكليف بالقرآن.

كما وان «بلغ» تعني وجهي اللزوم والتعدي، «من بلغ» في نفسه و«من بلغه» وحي القرآن، ووجه اللزوم أزم فانه أعم فهو أتم.

والدعوة الإسلامية تتمحور القرآن لمكان آيات التذكير والإنذار بالقرآن وإن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم<sup>١</sup>، وأمّرت أن أكون من المسلمين. وأن أتلو القرآن<sup>٢</sup>، فذكر

---

بلغوا، لمحة إلى أن القرآن لا يفتن المجاهيل لأنهم يقبلونه بجهلهم، بل من بلغ ما بلغ. و«بلغ» اللازمة في هذا الاحتمال قد تعني معه بلوغ عقل التكليف، وبلوغ حالة التقبل للحق، ثم هي المتعدية «بلغه» بين بلوغ نبي القرآن إليه، أو بلوغه نفسه إليه، أو بلوغه - إذا - بذلك البلوغ، وهذه احتمالات ست في الأولين تصبح اثني عشر.

ثم «بلغ» عطفًا على الفاعل قد تعني نفس الاحتمالات الست فهي مضروبة على الأولين اثني عشر آخر فالمجموع أربعة عشرون.

وفي تقسيم آخر «من بلغ» فاعل أو مفعول والمفعول اما مفعول له أو بواسطة الجار بلغ إليه - فيه - به - واما بلوغ الفطرة أو العقل أو العلم أو المعرفة أو بالقرآن وهي مضروبة على وجهي «كم» خمسون، وقد تعني «كم» في «لأنذركم» هؤلاء القوم اللد المجاهيل، ولكيلا يظن اختصاص الدعوة القرآنية بهؤلاء المنحطين ثنائهم ب «من بلغ» عقليا وعلميا مهما كان عليا غالبا ولأعلى قمم العصمة البشرية فطرية وعقلية وعلمية. ف «من بلغ» في احتمالات كثيرة على وجهي الفاعلية والمفعولية وعلى وجهي اللزوم والتعدية، بلوغا في نفسه في أية مرحلة من درجاته وبلوغا إليه وبلوغا به.

<sup>١</sup> . (الاسراء ١٧ : ٩ .

<sup>٢</sup> . (النمل ٢٧ : ٩٢ .

بالقرآن من يخاف وعيد<sup>١</sup> «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله<sup>٢</sup>». والذين  
يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنَّنا لا نضيع أجر المصلحين<sup>٣</sup> «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من  
الظلمات إلى النور<sup>٤</sup>». ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة...<sup>٥</sup> «أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك  
الكتاب يتلى عليهم»<sup>٦</sup>

ذلك، ولا نجد حتى لمحة في القرآن لسماح الدعوة بغير القرآن إلا طاعة للرسول وأولي الأمر لتفهّم  
القرآن فيما عضل من تأويل وتطبيق القرآن.

وهكذا نسمع آيات الإنذار أنها تخصه بالقرآن أو بالوحي الشامل للسنة كهامش «قل إنما انذركم  
بالوحي»<sup>٧</sup>.

ومن لطيف الوفاق بين القرآن والاسلام والوحي والملائكة ويوم القيامة أن ذكر كل (٧٠) مرة مما يلمح  
كأن القرآن هو الوحي كله والاسلام كله، الذي يحمله الملائكة، ثم يظهر يوم القيامة كما لمحت آية  
الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى  
وعيسى أن أقيموا الدين»<sup>٨</sup> حيث اختص الوحي من بين الخمس بوحي القرآن.

فعدم البلوغ بالقرآن ذنب، وعدم إبلاغه ذنب على ذنب، فان كتاب الدعوة لا ينتشر- إلا بحملته  
البالغين به وكما أمر الرسول صلى الله عليه وآله «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»<sup>٩</sup> «وذكر به أن تبسل نفس بما

<sup>١</sup> .( ق ٥٠ : ٤٥ .

<sup>٢</sup> .( النساء ٤ : ١٠٥ .

<sup>٣</sup> .( الاعراف ٧ : ١٧٠ .

<sup>٤</sup> .( ابراهيم ١٤ : ١ .

<sup>٥</sup> .( النحل ١٦ : ٨٩ .

<sup>٦</sup> .( العنكبوت ٢٩ : ٥١ .

<sup>٧</sup> .( الانبياء ٢١ : ٤٥ .

<sup>٨</sup> .( الشورى ٤٢ : ١٣ .

<sup>٩</sup> .( ق ٥٠ : ٤٥ .

كسبت»<sup>١</sup>.

وترى كيف يبلغ القرآن العربي إلى من لا يعرف لغته؟ والجواب أن التبليغ بكل لغة واجب حملته البالغين به ترجمة له صالحة وترجمانا صالحا.

وليس من المفروض في كتاب الوحي الداعي أن ينزل بكل لسان، وإنما الدعوة والبلاغ بكل لسان هو واجب المنذرين به، كما وأن تفهمه بكل لغة هو واجب المنذرين به.

وهنا نتأكد واجب السيادة القرآنية في لغته كما في أصله، فعلى المسلمين به ككل أن يحملوا لغته جاداً صالحا، ثم يحملوه بكل لغة بلاغا لأهلها ككل.

ف «من بلغ» في كل حقوله لا يخلوا عن منذر به ومنذر به، فمن لم يبلغه القرآن بلغته غير العربي فانما إثمه على حملة القرآن الذين لم يبلغوه بلغته، كما أن من بلغه بلغة عربية وسواه ولم تبلغه معانيه الحققة ومغازيه فإنمّه على من لم يبينه، ثم الذين لم يبلغهم وهم عارفون بحجته أم عله من الله هم شركاء مع سائر المقصرين في الإثم.

إذا مسؤولية بلوغ القرآن ليس فقط على عواتق حملته، بل والذين يعرفون وحيه أو يحتملون ثم لا يفحصون عن بالغة حجته وحالقة محجته.

فالمتحري عن الحق أيا كان عليه التحري عن بالغ حجة القرآن بكل الإمكانيات المستطاعة له، كما على حملة القرآن أن يبلغوه إلى كل من بلغ «قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين».

«أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى» شهادة أنفسية: بالوجدان فطرة أو عقلية أو علمية، أو آفاقية، أم بوحى من الله؟ وكل هذه منفية تدل الآيات الآفاقية والأنفسية على خلاف هذه الشهادة الكاذبة، إضافة إلى شهادة الله بذاته وبكتابه على وحدته.

«قل لا أشهد» بأية شهادة «ان مع الله آلهة أخرى» «قل إنما هو إله واحد. على ضوء كافة الشهادات الصالحة الصادقة. وإنني بريء مما تشركون».

هنا «لا أشهد» دليل عدم الشريك لله وحيا، إضافة إلى سائر الأدلة، لأن الموحى إليه شاهد قبل كل شيء كيان الربوبية للموحي، وإلا فكيف يُرسل من عنده، فكما «لا يعلم» هي من الله دليل عدم المعلوم عن بكرته لأنه يحيط علمه بكل شيء: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون»<sup>٢</sup> كذلك «لا أشهد» هي من رسول الله صلى الله عليه وآله دليل على عدم وجود المشهود عن بكرته، وأعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ورأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ٧٠ .

<sup>٢</sup> . ( يونس ١٠ : ١٨ .

ولكنه إلهٌ واحد كما وصف نفسه لا يضافه في ملكه أحدٌ ولا يزول أبداً<sup>١</sup>.  
ثم من يقول: «إني أقول إن صانع العالم إثنان فما الدليل على أنه واحد - يقال له: - قولك إنه إثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدعُ الثاني إلا بعد إثباتك الواحد فالواحد مجتمع عليه والثاني مختلف فيه»<sup>٢</sup>.  
ذلك طرف طريف عَرِيف من شهادة الله لهذه الرسالة السامية، ومن ثم «الذين آتيناهم الكتاب» مدى معرفتهم بوحى الكتاب، حيث الوحي نمط واحد مهما تفاضلت الدرجات، كما الرسل والرسالات درجات، كما وان هذه الكتب تحمل له شهادات:  
«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»<sup>٣</sup>:  
هذه والتي في البقرة: «... وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»<sup>٤</sup> شهادة كتابية ذات بعدين على هذه الرسالة السامية، فصلناها هناك فلا نعيد.  
فكما أن الله شهيد للرسول بنفس الرسول وقرآنه المبين و«ويتلوه شاهد منه» كذلك هو شاهد بسائر كتاباته بطبيعة وحيها والبشائر التي تضمها.  
إذا فهو مشحون بمثلث الشهادة الصادقة القاطعة القاصعة في هندسة الرسالة الختمية ولا ينبئك مثل خبير<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> . ( نهج البلاغة عن الامام علي امير المؤمنين عليه السلام .

<sup>٢</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٧٠٧ في كتاب التوحيد باسناده الى الفضل بن شاذان قال: سألت رجل من الثنوية ابا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وأنا حاضر قال: «اني أقول: ... فقال: قولك: ...».

<sup>٣</sup> . ( الانعام ٦ : ٢٠ .

<sup>٤</sup> . ( البقرة ٢ : ١٤٦ .

<sup>٥</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٧٠٨ عن تفسير القمي عن حريز عن ابي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «كما يعرفون أبناءهم» لأن الله عز وجل قد أنزل عليهم في التوراة والانجيل والزبور صفة محمد صلى الله عليه وآله وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجره وهو قوله تعالى: «محمد رسول الله... ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل...» فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة والانجيل وصفة أصحابه فلما بعثه الله عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به».

وفي تفسير البرهان ١ : ٥٢٠ قال علي بن إبراهيم ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام هل تعرفون محمدا صلى الله عليه وآله في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعمة الذي نعتة الله لنا إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذ رآه مع

ف «الذين خسروا أنفسهم» فقداناً لنفسياتها العاقلة وفطرياتها الكاملة، ومعرفتها الشاملة، فلم يفتقدوها لمّا فقدوها «فهم لا يؤمنون» بهذا الرسول صلّى الله عليه وآله قضية المتاركة لأثافيّ الإيمان ودلالاته. «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»<sup>١</sup> أجل إنه لا أظلم ممن افترى على الله كذباً كما افترى من أهل الكتاب على الله أنه ختم بكتبهم الوحي وما أشبه «أو كذب بآياته» رسالية ورسولية كما كذبوا بآيات الرسالة المحمدية في كتبهم وفيه نفسه وفي كتابه الذي كله آيات رسالته فإنه آيته الخالدة.

«إنه لا يفلح الظالمون» مهما أبرقوا وعربدوا وحاولوا كل المحاولات لكل الحيل الحائلة بين آيات الله وبيناته ورسالته المدلول عليها بها.

وهنا «من أظلم» يعرف البعض ممن لا أظلم منهم، ومنهم: «ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله»<sup>٢</sup>. «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها»<sup>٣</sup>. «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها»<sup>٤</sup>.

ذلك، وهذه الثلاث أيضاً راجعة إلى افتراء الكذب على الله والتكذيب بآيات الله، وهذه من محادة الله ومشاقته تعالى مهما كانت دركات كما الإيمان به درجات.

والظلم - في ثالوثه وحالته للظالم ومحتدا للمظلوم - دركات أسفلها ظلم المفترى على الله كذباً أو تكديباً بآياته، وليس هنا الله هو المظلوم المنتقص، إمّا الحق وآيات الحق هي المظلومة، حيث الظلم هو الإنتقاص ولا ينتقص عن الله شيء، فقد ظلموا أنفسهم بما ظلموا آيات الحق المبين!

ذلك ومن إفتراءهم الكذب على الله أنه اتخذ لنفسه شريكاً أو شركاء، وأمرهم أن يعبدوها من دون الله، ويتخذوها شفعاء عند الله، وأنه لم يوحّ بشيء إلى أحد، وأن الملائكة بنات الله، وأنه أحلّ ما أحلوه وحرّم ما حرّمه إفتراء الكذب على الله، وأنه امر بالفاحشة، ثم ولا يعذب اليهود والنصارى لأنهم أبناء الله وأحباءه!.

ومن تكذبيهم بآيات الله تكذيب الآيات الرسولية والرسالية، وتكذيب الآيات التي تحمل بشارات بحق

---

الغلمان والذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد هذا اشد معرفة مني بابني قال الله: «الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون».

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ٢١ .

<sup>٢</sup> . ( البقرة ٢ : ١٤٠ .

<sup>٣</sup> . ( الكهف ١٨ : ٥٧ .

<sup>٤</sup> . ( البقرة ٢ : ١١٤ .



محمد صلى الله عليه وآله وما أشير من سائر الآيات.

فقد ظلموا آيات الله وظلموا ناصح الحق حين افتروا الكذب على الله، فحين يعذبهم الله بما ظلموا. فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون. لأن ظلمهم - أيا كان - راجع إلى أنفسهم وهم لا يفلحون. ثم البلوغ اللازم نفسيا درجات، أولاها الصلاة وما أشبهه في العاشر من العمر لكلي الذكران والانات، ثم البلوغ للزواج والانات هنا اقدم من الذكران، ومن ثم بلوغ الصيام لهما، فبلوغه للانات في التاسعة وللذكران في الخامسة عشر ظلم بهن، اذ هما لاقل تقدير سيان في الطاقة الجسمية. إن لم تكن الأنثى اضعف من الذكر، ثم بلوغ جماعي من الدعوة الى الله أمرا ونهيا وجهادا وما اشبهه، وهذه ضابطة قد تستثنى في موارد خاصة.

«لانذركم به» في التكاليف «ومن بلغ»، مبلغ التكليف، له درجات تلو بعض البعض، فلكل مبلغه عقليا ومعرفيا وجسميا وجنسيا، فرديا واجتماعيا كضابطة او استثنائيا.

### التقليد الاعمى

«اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ»<sup>١</sup>.

إتخاذ الربوبية في هذا المثلث لا يعني فقط أنهم رببوههم كما الله، بل وهو معاملتهم معهم كما يعامل الرب في البعض من اختصاصات الربوبية، فقد اتخذوا المسيح ربا في خرافة الأقانيم واتحاده بذات الله، وعبادتهم له كما الله، وذلك يختلف عن سائر الاتخاذ في أحبارهم ورهبانهم، حيث أطاعوهم كما يطاع الله مشرعا، فاتخذوهم أربابا في حقل التشريع، فأصغوا إليهم كامل الصغي فيما أحلوا أو حرموا<sup>٢</sup>، وفي الفصل بين «أحبارهم ورهبانهم» وبين «المسيح ابن مريم» تلميح لاختلاف

<sup>١</sup> . (التوبة ٩ : ٣١).

<sup>٢</sup> . (في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: «اتخذوا أحبارهم...» أما المسيح فعصوه وعظموه في أنفسهم حتى زعموا أنه الله وأنه ابن الله وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة منهم قالوا: هو الله، وأما أحبارهم ورهبانهم فإنهم اطاعوا وأخذوا بقولهم واتبعوا به ما أمرهم به ودانوا بما دعوهم إليه فاتخذوهم أربابا بطاعتهم لهم وتركهم أمر الله وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم وما أمرهم به الأحبار والرهبان اتبعوه وأطاعوهم وعصوا الله ورسوله، وإنما ذكر هذا في كتابنا لكي نتعظ بهم فعير الله تبارك وتعالى بني إسرائيل بما صنعوا يقول الله تبارك وتعالى: «وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا سبحانه وتعالى عما يشركون».

الإتخاذين، كما أن «ابن مريم» تستأصل الأخير، ذلك ومن أحبارهم ورهبانهم من يخيل إليهم أنهم نواب المسيح عليه السلام في البنية الإلهية أو الإلهية نفسها نسخة طبق الأصل، بما يشربون الخمر ويأكلون الفطير، بان الخمر دم المسيح والفطير لحمه، فهم يصبحون - إذا - نفس المسيح عليه السلام وقد ندد بهم المسيح عليه السلام في نقل الإنجيل بقوله: «أفلا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي - إلى الجوف ويندفع إلى المخرج»<sup>١</sup>.

ذلك، وكل اتخاذة لغير الله كما الله في ربوبية من ربوبياته، ذلك إشراك بالله فيما يختص به الله، فكما التوحيد درجات كذلك الإشراك درجات «سبحانه عما يشركون» بالله في ذات أم أفعال أم صفات، تسوية لخلق الله بالله، وهي ككل ضلال مبين: «تالله إن كنا لفي ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين»<sup>٢</sup>.

فهنا مشركون راسميون وهم عبّاد الأوثان بصورة رسمية، وهناك مشركون دُخلاء قد يعبدون غير الله زعم أنه الله كما المسيح، أو يطيعون غير الله كأنه الرب في التشريع، كما أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، أو يميلون إلى غير الله مع الله كالذين يراءون في عباداتهم، ثالث من الإشراك بالله بما لكل من دركات، والقسم الأول هو المصطلح المتعود المقصود فيما يطلق الإشراك، ثم الأوسط مرحلة ثانية هي مع المنحرفين عن التوحيد من أهل الكتاب، ثم الأخير يخلق على كل هؤلاء المرأئين. ولقد يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله تفسيراً للآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»<sup>٣</sup> ولا يعني التحليل والتحرير الإفتاء، بل هو تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله قاصرين أو مقصرين أو مقصرين وقاصرين. فلا يحل التقليد الطليق بل ولا أصل التقليد ممن هذه صفته بتقصير أم قصور.

١ . (متى ٥١ : ١٧ .

٢ . (الشعراء ٢٦ : ٩٨ .

٣ . ( الدر المنثور ٣ : ٢٣٠ - أخرج جماعة عن عدي بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وهو يقرأ في سورة البراءة: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال: .. وفي المجمع روي الثعلبي بإسناده عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب فقال: يا عدي إطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقرأ من سورة براءة هذه الآية.. فقلت له: انا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قال: فقلت بلى فقال: فتلك عبادتهم، وفي أصول الكافي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون، وعنه عليه السلام من أطاع رجلاً في معصية الله فقد عبده، وعنه في الآية: أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ولكنهم...

ذلك، فاتباع غير الله كما الله اتخذ له ربا كما الله، وأما الرسل وسائر المعصومين فاتباعهم هو اتباع الله ف من يطع الرسول فقد أطاع الله<sup>١</sup> ولكن غير المعصومين الذين يجوز عليهم الخطأ قصورا أو تقصيرا فليس إتباعهم طليقا مطبقا، إنما يُتبعون فيما يعلم أنهم صادرون فيه عن الله أم لا يهتمون، وأما المشكوك فضلا عن المعلوم تخلفهم عن حكم الله، فليس إتباعهم فيهما إلا اعتبارا لألوهتهم أو رسالتهم عن الله، أما الرسالة، فكيف يكذب الرسول على الله أو يعارضه في حكمه، وأما الألوهة فهي هي في هذه الطاعة الطليقة الخاطئة.

فلذلك، كما الإجتهد في الدين تفصيليا فرض على المستطيعين، كذلك الإجتهد إجماليا فرض على القاصرين، أن يتأكدوا ممن يقلدونه أنه صادر حسب مكنته عن الله فأما المشكوك فيه، فضلا عن المتأكد كونه صادرا عن هواه، فليس إتباعه إلا تأليها له كما الله، فإن الله هو الذي يحلل أو يحرم دون سواه ولا رسول الله.

هذا، وفي تعديل صيغة الربوبية هناك: «أربابا من دون الله» بالألوهية هنا: «إلها واحدا» ملححة لامعة أن الربوبية هي من لزامات الألوهية، فاختصاص العبادة بالله هو إختصاص للربوبية بالله، ومنها الطاعة الطليقة حيث تختص بالله.

فلما أطاعوا أحبارهم ورهبانهم طليقة وهم يعلمون تخلفهم عن شرعة الله، فقد عبدوهم كأرباب، فقد ألوهوهم - إذا - كما الله في حقل التشريع، ومثلث: الألوهية العبودية: الطاعة المطلقة، هذه خاصة بالله.

فحتى الرسول صلى الله عليه وآله لا يُعبد، ولا يطاع لنفسه، إنما كرسول: «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله» وليس هكذا غير الرسول، ولا سيما إذا خالف حكم الله الذي ليس للرسول فضلا عن سواه!.  
وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا. أمرا شرعيا في كتاباتهم إلى أمر فطري وعقلي في فطرهم وعقولهم، فكل الآيات الربانية، تكوينية وتشريعية، آفاقية وأنفسية، معسكرة لحق كلمة التوحيد دون إبقاء.  
فلا يختص الإشراف بالله بالإعتقاد بألوهية غير الله، ولا تقديم الشعائر التعبدية لغير الله، بل والإشراف به في كل اختصاص له كالتشريع، فهؤلاء الذين أعطوا حق التشريع لأحبارهم ورهبانهم، فقد اعتبروهم شركاء الله في التشريع، بل ورجحوهم فيه على الله حيث اتبعوهم من دون الله، وذلك أنحس دركات الإشراف بالله.

«سبحانه وتعالى عما يشركون» به في طاعة كما في الأحبار والرهبان، أم في عبادة كما في المسيح عليه السلام، أم في ألوهة كما الخالق مثلما يقوله الثنوية القائلة بمبدئين اثنين، والأهم هنا في هذا البين هو الطاعة الطليقة الناتجة عن العبادة الطليقة والألوهية الوحيدة الطليقة.

ذلك «فإنما ذكر ذلك في كتابنا لكي نتعظ بهم» فلا نتبع علماءنا أيا كانوا دون تثبت، فحين نجد فقهاءنا قد لا يعتمدون القرآن أصلا في فتياهم، أم يخالفون تقصيرا أو قصورا نوصا أم ظواهر مستقرة من القرآن، دونما حجة إلا شهرات أو إجماعات أم روايات غير مأخوذة بعين الإعتبار، فكيف نتبعهم في سائر فتياهم، اللهم إلا من هدى الله جعلنا الله منهم.

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٨٠).

فحين يقول الله «لا تقف ما ليس لك به علم. فكيف - إذا - نقفوا ما نعلم تخلفه عن القرآن، وكما هكذا «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله...! اتخذنا نحن المسلمين أيضا علماءنا أربابا من دون الله، نطيعهم كما يطاع الله، رغم أخطائهم القاصرة أو المقصرة أمام شرعة الله، وهكذا: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»<sup>١</sup>. «بأفواههم» القائلة هذه القولات المائلة، المضاهية قول الذين كفروا من قبل، وإطفاء نور الله وهو توحيده الحق بصفاته الحقّة، وهو شرعته الصالحة غير الدخيلة، فهو كلما أراد الله من عباده معرفة وعملاً صالحاً، يريدون ليطفئوا كل ذلك بنقاب شرعة الله، خلقا لجو التضاد بين الدين ونفسه، «ويأبى الله إلا أن يتم نوره» المسرودة في كتابات وحيه، بالقرآن، ونوره المرسل برسول القرآن «ولو كره الكافرون».

إن الشيطنة الكتابية المدروسة ضد كتابات الوحي ورسله<sup>٢</sup> هي كتقدمة لإطفاء نور القرآن ونبيه، ولكن الله يريد «أن يتم نوره» بهذه الشرعة الأخيرة المهيمنة رسولاً ورسالة على كافة الرسل برسالاتهم. وشاهداً على خصوص ذلك القصد اللعين اللئيم بين عموم آيات الصف:

«وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن إفتري على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»<sup>٣</sup>.

### حول الاستنباط

<sup>١</sup> . (التوبة ٩ : ٣٢).

<sup>٢</sup> . (نور الثقلين ٢ : ٢١٠ في كتاب الإحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: وقد بين الله تعالى قصص المغيرين بقوله «يريدون ليطفئوا نور الله...» يعني أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه وحرفوا منه.

<sup>٣</sup> . (الانعام ٦ : ٩).

«وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْأَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»<sup>١</sup>.

تنديدة أخرى بالمجاهيل من المسلمين وجاه التكتيكات الحربية أنهم إذاعة إفضاعاً بالنسبة لأمر من الأمن أو الخوف، من الأسرار التي لا تذاغ إلا بأمر من الرسول كقيادة عليا، وأولي الأمر منهم كقيادات جزئية مقررة من القائد الأعلى.

ذلك وبصورة عامة إذاعة الأسرار فردية وجماعية محظورة في شرعة الله<sup>٢</sup> اللهم إلا باستنباط الصالح أو الأصلح في أية إذاعة، هما راجعان الى أولي أمرها المخصوصين بها.

صحيح أن مورد الآية هو إذاعة أمر من الأمن أو الخوف، ولكنها بصورة عامة تحذيرة عن أية إذاعة، وإرجاع في الأمور المشتبه فيها الى الرسول والى أولي الأمر الذين افترض الله طاعتهم، وهم - ككل - الذين ولوا الأمر أو أمرا من أمور الشرعة من ناحية الرسول وأفضلهم المعصومون من خلفاءه

صلى الله عليه وآله<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٨٣ .

<sup>٢</sup> . (نور الثقلين ١ : ٥٢٢ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل عيّر أقواما بالإذاعة في قوله «وإذا جاءهم..» فيياكم والإذاعة.

<sup>٣</sup> . (نور الثقلين ١ : ٥٢٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده الى محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام حديث طويل يقول فيه: ومن وضع ولاية الله وأهل الإستنباط علم الله في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر الله عز وجل وجعل الجهال ولاة أمر الله والمتكلمين بغير هدى وزعموا أنهم أهل الإستنباط علم الله فقد فضلوا وأضلوا أتباعهم فلا يكون لهم يوم القيامة حجة، وقال أيضا - بعد ان قرأ: فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين، «فإن يكفر بها أمتك فقد وكلنا أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلا يكفرون بها أبدا ولا أضيع الإيمان الذي أرسلتك به وجعلت أهل بيتك بعدك علما على أمتك وولاية من بعدك وإستنباط علمي الذي ليس فيه كذب ولا إثم ولا زور ولا بطر ولا رياء.

وفيه في تفسير العياشي عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام كتابا يذكر فيه: اقرأ ما سنح لهم الشيطان اغترهم بالشبهة وليس عليهم أمر دينهم، وفيه: بل كان الفرض عليهم والواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير ورد ما جهلوه من ذلك الى عالمه ومستنبطه لأن الله يقول في محكم كتابه «ولو ردوه الى الرسول والى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» يعني آل محمد صلى الله عليه وآله وهم الذين يستنبطون منهم القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم الحجة لله على خلقه.

وفي ملحقات احقاق الحق ٣ : ٥٤٢ في الآية عن الشعبي عن ابن عباس في تفسير مجاهد إن الآية نزلت في علي

وهنا «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» قد تعني الرادين الى الرسول والى أولي الأمر فإنهم هم المستنبطون الأمر المختلف فيه من إذاعة أمر وسواها، ولا يحصل لهم علم إلا بذلك الرد. وقد تعني معهم الرسول وأولي الأمر، ولكن «منهم» المبعضة تجعل البعض منهم غير عالم بالإستنباط، وهم مع الرسول صلى الله عليه وآله - أخرى بالإستنباط، بل والمعصومون لا يستنبطون فإنهم على علم بما علمهم الله، و«لعلمه» لمحة الى الجهل قبل الإستنباط، اللهم إلا أن يعم الإستنباط بالوحي والإلهام. أو تعني كل مستنبط للأمر المختلف فيه رادا ومردودا إليه، حيث «منهم» تشملهما، فمن المسلمين من لا يعني أي إستنباط، ومنهم من يستنبط بالوحي كما الرسول صلى الله عليه وآله أو بالالهام كالأئمة من آل الرسول عليهم السلام أو بالكتاب والسنة كأولي الأمر غير المعصومين، وهؤلاء الثلاث هم المرادون إليهم.

ثم الرادون الى الرسول وأولي الأمر منهم يستنبطون الأمر بواسطتهم أولاء الأكارم. فإستنباط الأمر المجهول في شرعة الله واجب المؤمن قضية المعرفة الإيمانية وتطبيق الواجب، وهو في الدرجة الأولى على الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين من عترته عليهم السلام، ثم على الرعييل الأعلى من العلماء المؤمنين زمن غيبة المعصومين عليهم السلام.

وعلى من لا يستطيع على الإستنباط الرد إليهم، وهو الرد الى الكتاب والسنة بوسيط أولي أمر الشرعة ومُدرء الشريعة: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب»<sup>١</sup>.

وإستنباط أولي الأمر المعصومين هو استنباط معصوم بما أراهم الله كما الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثم يأتي إستنباط غير المعصومين من أولي أمر الشرعة بدرجاتهم ودرجاته، وذلك في زمن الغيبة ليس إلا «أمرهم شورى بينهم» فلا أمر في القيادة الزمنية والروحية إلا بشورى بين أولي الأمر. والإستنباط هو طلب النبط وهو الماء المستنبط في الأرض، محاولة للحصول عليه، وكذلك الأمر في كل الأمور الإسلامية التي هي حياة الأمة الإسلامية، لا بد لأولى الأمر استنباطها من الثقلين: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالأمر الظاهرة لا تُستنبط، فإما الخفية هي التي تُستنبط بمصادرهما الآهله لها، ف«ما من أمر تحتاج إليه الأمة إلا وقد بينه في كتابه وسنة رسوله»، وعقلية الكتاب والسنة على مدار الشورى بين الرعييل الأعلى من الأمة الإسلامية زمن الغيبة، هي المرجع لكل وارد وشارد وكما تنطق بذلك متواتر الكتاب والسنة.

ف «أولي الأمر» هنا غير أولي الأمر في آية الطاعة المثلثة الطليقة، فهم هنا أعم من المعصومين عليهم السلام في زمنهم، ومن الرعييل الأعلى زمن الغيبة حيث «أمرهم شورى بينهم»، وذكر الرسول صلى الله عليه وآله هنا دون الله تذكير بأن الرد إليه هو الرد إلى الله، وأن الرد إلى الله وهو الرد إلى كتابه، ثم بيان كثير من

---

حين استخلفه في مدينة النبي صلى الله عليه وآله، وفي ابانة الفلكي أنها نزلت حين شكأ أبو بردة من علي كما في غاية المرام

. ٤٣٣

<sup>١</sup> . ( العنكبوت ٢٩ : ١٨ .

جزئيات الأمور المختلف فيها، فإنما بيانه إلى الرسول الشارح لكتاب الله، المستنبط إياه ولا سيما في تأويلات الأحكام.

ومن الفوارق بين الفريقين من أولي الأمر واجب إنتصاب الأولين بنص خاص، والآخرون هم المنطبق عليهم نصوص ولاية الأمر لزمن الغيبة.

«ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً. منكم وقليلاً من الإِتباع، ففضل الله ورحمته هما الفاصلان عنكم إتباع الشيطان عن بكرته.

ومما جاءهم من أمر إنهزام المشركين في أحد في بداية الأمر فأذاعوه فسبب تحلل الرماة عن قواعدهم المقررة، ومن أمر الخوف إذاعة قتل الرسول صلى الله عليه وآله حيث أضعتهم جموع، وكذلك الداعية المضادة الضالة في بدر الصغرى من قبل أبي سفيان حيث بسطت الخوف والدهشة بين الناس كيلا يخرجوا إلى الحرب، ولم يسلم منها إلا النبي صلى الله عليه وآله وقليل معه كالإمام علي عليه السلام ومن نحى نحوهما، وهكذا الأمر في كل إذاعة فيها إضاعة دوماً استنباط صالح.<sup>١</sup>

ف «قليلاً» هنا هو الرسول صلى الله عليه وآله والذين ظلوا معه محاربين، وما أثرت فيهم دعاية مضادة إلا إيماناً:

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءً واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين».<sup>٢</sup>

كلام فذُّ حول الإستنباط:

تفريع «لعلمه» على «يستنبطونه» دليل حجية العلم الحاصل بالإستنباط، شرطاً ألا يتخطى مصدره الكتاب والسنة القطعية، وهنا يتأيد عدم حجية الظن بصورة طليقة، فظاهر الكتاب - المستقر - فضلاً عن نصح، يفيد العلم، وكذلك السنة القطعية وهي الملازمة للكتاب أم - ولأقل تقدير - غير المخالفة له لا نصاً ولا ظاهراً مستقراً.

ذلك، فحتى إذا تردد المستنبط من الكتاب والسنة فالإحتياط الذي هو دوماً طريق النجاة علمٌ يحافظ على حكم الله.

ذلك ولأن تطبيق أحكام الله فرضٌ على المكلفين، فالعلم بها فرضٌ عليهم تمييزاً للمفروض عن المفروض، فالأحكام الضرورية معلومة بالضرورة دون إستنباط، ولكن غير الضرورية المختلف فيها بين

<sup>١</sup> . ( الدر المنثور ٢: ١٨٦ عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي صلى الله عليه وآله نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتنون بالحصا ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وآله نساءه فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية في «وإذا جاءهم..» فكنت أنا استنبطت هذا الأمر

<sup>٢</sup> . ( النساء ٤: ١٧٥ .

الأنظار يجب الإستنباط فيها ما استطاع إليه سبيلاً سليماً.  
 وإلاً فتقليد المستنبطين الصالحين حسب المستفاد من آيتي «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»  
 و«فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»  
 «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ  
 أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكُّيًّا»<sup>١</sup>  
 «فقاتل» يا رسول الهدى «في سبيل الله» «لا تكلف» بواقع القتال إلا نفسك، ثم من سواك، فإنما لهم  
 منك بلاغ الأمر «وحرّض المؤمنين» وأما أن تكلفهم تحميلاً لواقع القتال فلا عليك، «فإنما أنت مذكر»  
 لست عليهم بمسيطر..  
 «قاتل وحرّض.. عسى الله أن يكف» بمواصلة القتال والنضال «بأس الذين كفروا» ولا دور ل «عسى»  
 الترجي في ذلك الكف إذا كان كفاح.

#### التقليد الصحيح

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ\* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ  
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ..<sup>٢</sup>  
 «أهل الذكر» هنا وفي الأنبياء «وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا  
 تعلمون\* وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين»<sup>٣</sup>  
 إنهم هم المسؤول عنهم في كيان الرسل والرسالات من قبل، أهم ملائكة لا يأكلون الطعام ولا يمشون  
 في الأسواق، ام هم البشر جسد لا يأكلون الطعام وهم خالدون لا يموتون؟  
 «من قبلك» هنا تضرب الى اعماق الماضي منذ خُلِقَ رجالٌ ونساء من إنس او جان أو أيا كان، قبل هذا  
 النسل الموجود من القبيلين وبعده.

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٨٤ .

<sup>٢</sup> . (النحل ١٦ : ٤٣ و ٤٤ .

<sup>٣</sup> . (الانبياء ٢١ : ٨ .



«ما أرسلنا.. إلا رجالاً» رسالة دون وسيط الى العالمين، حيث إن رسل الوحي الملائكية مرسلون إلى هؤلاء الرجال، ثم هم إلى العالمين، والأولون لا رجال ولا نساء، فالحصر- حقيقي يستغرق كافة الرسائل المتصلة بالمرسل اليهم طول التاريخ الرسالي دونما استثناء، لانهم هم المعروفون عند أهل الذكر بالرسالات، عرفانا شهوديا بالرسل الذين هم لصقهم في الدعوة دون وسيط، دون الملائكة الذين هم مادة المشكلة عند المرسلين: لماذا ما أرسلوا، هم إليهم؟.

«رجالاً نوحى إليهم» وحي الرسالة الشرعية التكليفية، مما يؤكد انحصار هذه الرسائل في الرجال دون النساء او الخنثى، ام صنف آخر هو سنخ واحد بلا ذكور واناث كالملائكة، فذلك الوحي - اذا - منحصر فيهم منحصر عن سواهم، وهذه قضية الحكمة العالية الربانية ان يرسل الى كل صنف من صنفه ومن أفضله: «يا معشر الجن والانس لم يأتكم رسل منكم...»<sup>١</sup> - «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من اهل القرى»<sup>٢</sup> ولا ريب ان قبيل الرجال اقوى واقوم من قبيل النساء فانهم قوامون على النساء، وهم أصلح دعوة وأحرى منهن في الواجهة الجماهيرية دعاية سليمة عن النزعات المعرفلة عن مسير الرسالات ومصيرها.

وانتم معشر المشركين الشاكين في نوعية الرسل والرسالات، عليكم ان تسألوا في ذلك اهل الذكر حتى يعلموكم ما لا تعلمون، ف «لا ينبغي للعالم ان يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله وقد قال الله: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. فينبغي للمؤمن ان يعرف عمله على هدى ام على خلافه»<sup>٣</sup> فلولا واجب الجواب عن السؤال لم يكن مجال لواجب السؤال، اذا فواجب الجواب مستفاد من الأمر بالسؤال، ومهما كان الجواب مشروطا بشروط، فكذلك السؤال دونما فوضى هنا او هناك.

وهذه ضابطة قائمة دائمة لقبيلي العلماء والجهال، ضابطة التردى في هوات الجهالات، فالعلم مطلوب لكل ذي مسكة وإدراك، والجهل مرفوض، والبقاء على الجهل مع إمكانية التعلم جهل على جهل لا يرتضيه اي عاقل، ولا سيما بالنسبة للامور التي هي محور الحياة الإنسانية وفي قمتها قصة الوحي الرسالي حيث يتبنى الحياة جديدة جادة في كافة الحقول الحيوية.

والإنسان ايا كان له إحدى حالات أنفسية أربع بالنسبة لأي أمر كان، علما او ظنا او شكا او احتمالا، ولا بد لكل من حجة تثبته، فاي ادعاء في هذه الأربع سلبا أو إيجابا لا يحتمل القبول عند اصحاب العقول إلا بدليل.

والمشركون لا برهان لهم لسلب الوحي مادة وكيفية وحملة، اللهم إلا ادعاءات جوفاء، أم أحلاف هي

<sup>١</sup> . ( الانعام ٦ : ١٣٠ .

<sup>٢</sup> . ( يوسف ١٢ : ١٠٩ .

<sup>٣</sup> . ( الدر المنتور ٤ : ١١٩ - اخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ...

لا تنفع في امور الشريعة الأصلية، إلا في الدعاوي الشخصية عند فقدان الدليل، فهم لا يستطيعون سلب الوحي بدليل، وإذا هم لا يصدقونه بالبينات وبالزبر، فهل لهم البقاء على ما لا يعلمون؟ كلاً! فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. فالذين عاشوا جو الرسائل على مدار الزمن ولا سيما علماءهم، هم المسؤول عنهم للمشركين الشاكين في نوعية الرسائل.

فاتم المتشككون في كيان الرسل والرسالات عليكم لزاماً فطرياً وعقلياً ان تسألوا اهل الذكر، المحشورين بهذه الرسائل، فاهل البيت ادري بما في البيت، واهل الوحي - رسلاً وأئمة ومؤمنين به - هم ادري بكيانات الوحي والموحى اليهم «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» فأهل الذكر «بالبينات والزبر» حيث يتذكرون بهما طبيعة الرسائل هم ادري بها وأحرى ان يسألوا ممن لا ذكر له بهما إذ ليس من اهلها كالمشركين والملحدين.

«فاسألوا.. ان كنتم لا تعلمون» فحين يكون الانسان ممن يعلم، او بإمكانه ان يعلم دون مراجعة الى من يعلم، فلا سؤال اذا ممن يعلم، فانتم الناكرون لرجولة الرسائل لو تعلمون شريطة الرجولة والمسانحة بين الرسل والمرسل اليهم فهو الحجة عليكم، واذا لا تعلمون فاسألوا الذين هم يعلمون، ولا حجة لكم الثالثة في ذلك الحقل انكم تعلمون شريطة اختلاف الجنس بين الرسل والمرسل اليهم، فان كانت ولن! فأتونا بسلطان مبين او علم يقين!.

هنا مورد الآية هو السؤال عن نوعية الرسائل، وقد يكفي للجواب عن هذا السؤال «اهل الذكر بالبينات والزبر» وهم كافة اهل الكتاب ولا سيما علماءهم ايا كانوا، فان الشريعة الكتابية ذكر لهم بالغ دون ريب ان طبيعة الرسائل الإلهية بشرية في رجال كسائر البشر، إلا أنه يوحى اليهم. ثم السؤال عن المهام الحيوية والجواب عنها لا يفرضها - فقط - وحي الله، حيث الفطرة والعقلية المتكاملة الانسانية فطرياً، هما الحاكمان بفرضهما قبل حاكم الوحي.

ومن ثم «فاسألوا» وفي نطاق عام يتخطى ذلك السؤال من هؤلاء المشركين، الى كل سؤال في اي زمان او مكان، من اي انس او جان او ايا كان، لكل من يجهل ما يتوجب عليه علمه، وليس ليعلم بمحاولته نفسه حيث الجملة المستقلة في آية، ولا سيما كضابطة لمقدمتها، ليست لتختص بمورد نزولها، او المذكور قبلها، ولا سيما اذا كانت مبرهنة، وهنا «فاسألوا» تفريضة على «ان كنتم لا تعلمون» والمسلمون أحرى بذلك.

وهنا المعنيون من «اهل الذكر» هم الرعيلى الاعلى الذين لا يجهلون، وهم محمد صلى الله عليه وآله والمحمديون من عترته المعصومون عليهم السلام، ومن ثم العلماء الربانيون الحاملون علومهم. فحين يجب السؤال عن اهل الكتاب وليسوا هم في عصمة علمية ولا عملية، فهلا يجب السؤال عن المعصومين عليهم السلام؟ وهم اصدق مصاديق اهل الذكر! فالذكر هو محور المسؤولية - ايا كان - و«ان كنتم لا تعلمون» هو محور السائلية، وهما درجات حسب درجات العلم فرضاً ونفلاً. ف «الذكر» هو كل كتاب سماوي<sup>1</sup> وهو بالأحرى القرآن<sup>1</sup> وهو رسول القرآن<sup>2</sup>، فأهله هم في مثلث من

<sup>1</sup> .) كما في قوله تعالى: «وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا استمعوه وهم يلعبون».

الدرجات كما الذكر درجات، ولكل سائل حال، ولكل سؤال مجال. وأحرى بأئمة المؤمنين، الاثني عشر المعصومين والصديقة الزهراء عليها السلام، ان يُعَنُوا كقمة عليا من أهل الذكر بعد الذكر نفسه قرآنا ورسول القرآن، فهم اهل الذكر: الرسول، وهم اهل الذكر: القرآن، أهلوه بأهلية ذات بعدين، نَسَبياً، وأحرى منه روحياً وأحرى منهم من هم به «اهل الذكر» كالرسول

١ . «وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون» (٤٣: ٤٤) وفي نور الثقلين ٣: ٥٥ عن بصائر الدرجات عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال: الذكر القرآن وآل الرسول اهل الذكر وهم المسؤولون.

٢ . «فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا. رسولاً يتلوا عليكم آياتنا» وفي نور الثقلين ٣: ٥٤ عن اصول الكافي عن ابي جعفر عليه السلام في الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله الذكر انا والائمة عليهم السلام اهل الذكر وفيه عن عبد الرحمن بن كثير قال قلت لابي عبدالله عليه السلام فاسألوا اهل الذكر... قال: اهل الذكر محمد صلى الله عليه وآله ونحن المسؤولون.

٣ . المصدر عن الوشاء قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت جعلت فداك: «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» فقال: نحن اهل الذكر ونحن المسؤولون، فقلت، فانتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم - قلت: حقا علينا ان نسألکم؟ قال: نعم - قلت: حقا عليكم ان تجيبونا؟ قال: لا - ذلك الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل اما تسمع قول الله تبارك وتعالى: «هذا عطاءنا فامنن او امسك بغير حساب». وفيه عن اصول الكافي عن حمزة بن الطيار انه عرض على ابي عبدالله عليه السلام بعض خطب ابيه حتى اذا بلغ موضعا منها فقال له: كف واسكت ثم قال عليه السلام: «لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبت والرد على أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى: «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون».

وفيه عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان من عندنا يزعمون ان قول الله عز وجل: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون - انهم اليهود والنصارى؟ قال: إذا يدعونكم الى دينهم ثم قال بيده الى صدره: ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

أقول: هذا رد على اختصاص اهل الذكر باهل الكتاب والآية مطلقة في السائلين والمسؤول عنهم، فالسائل المسلم لو سأل اهل الكتاب عما يحتاج اليه لدعاه الى دينه - ولكن الآية مطلقة واصدق مصاديق المسؤول عنهم هم الرسول وعترته المعصومون، واصدق مصاديق السائلين هم المسلمون، ومن الشاهد على ان المقصود نفي الانحصار، ما رواه في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأئمة حديث طويل وفيه قالت العلماء: فاخبرنا هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعا فاول ذلك قوله عز وجل - الى ان قال - واما التاسعة فنحن اهل الذكر الذين قال الله تعالى: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون - فقالت العلماء: انما عنى بذلك اليهود والنصارى - فقال ابو الحسن عليه السلام سبحان الله وهل يجوز ذلك اذا يدعوننا الى دينهم ويقولون انه افضل من دين الاسلام؟ فقال المأمون: فهل

هذه هي سنة الرسالة الإلهية كعادة مستمرة طول الخط الرسالي: «قل ما كنت بدعا من الرسل»<sup>١</sup> ولا رسالتي بدعة بين الرسالات، فإنها سلسلة موصولة بين الله وبين العالمين، ولا نفرق بين احد من رسله.<sup>٢</sup> رسالة واتجاهها.

فلا هم حاملون مشيئة الله تكوينيا حتى يحملوا عباد الله على طاعته، كيف! والله هو نفسه لا يحمل خلقه هكذا على طاعته او يزجرهم عن معصيته «ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا»<sup>٣</sup> ولا انهم ملائكة، ام جسد لا يأكلون الطعام او هم خالدون، فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون»<sup>٤</sup> فانما هم يحملون بلاغا لمشيئة الله التشريعية الى المكلفين، ومن ذلك ابطال القالة الجاهلة القاحلة، «لو شاء الله ما عبدناهم ولا حرمننا»<sup>٥</sup>.

وترى بماذا تتعلق «بالبينات والزبر»؟ إنها صالحة تتعلق ادبيا ومعنويا بكل من «ارسلنا - نوحى اليهم - فاسألوا - الذكر - ان كنتم لا تعلمون» وخماسية العلاقات تجعل الارسال والوحي والسؤال والذكر ولا تعلمون، مربوطة بالبينات والزبر.<sup>٤</sup>

---

عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا ابا الحسن عليه السلام فقال: نعم - الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن اهله وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: «فاتقوا الله يا اولي الابواب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات» فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أهله فهذه التاسعة، ولقد أخرج تفسير أهل الذكر بالرسول وبالعترة الطاهرة عليهم السلام جماعة من الحفاظ والمؤلفين والمفسرين من اخواننا منهم الطبري في تفسيره (١٤ : ٦٩) عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في الآية قال: نحن اهل الذكر والتعليبي كما في العمدة لابن بطريق ص ١٥٠ عن جابر الجعفي لما نزلت هذه الآية قال علي عليه السلام نحن اهل الذكر، وابن كثير في التفسير ٢ : ٥٧٠ عن ابي جعفر عليه السلام مثله والقطنان في تفسيره كما في كفاية الخصام ٣٣٨ روى نزول الآية في علي عليه السلام والحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في المستخرج من التفاسير الاثني عشر كما في الكفاية في الآية أي فاسألوا عن اهل البيت والله ما سمى المؤمن مؤمنا الا بسبب حب علي بن ابي طالب عليه السلام وابو الثناء الالوسي في روح المعاني (١٤ : ١٣٤). اورد اختصاصهم بائمة اهل البيت عليهم السلام والقندوزي في ينابيع المودة عن الثعلبي عن جابر عن علي عليه السلام نحن اهل الذكر (تعليقات احقاق الحق لسماحة الحجة المرعشي النجفي) (٣ : ٤٨٢ - ٤٨٣).

<sup>١</sup> . (الدخان ٤٤ : ٩).

<sup>٢</sup> . (البقرة ٢ : ٢٨٥).

<sup>٣</sup> . (يونس ١٠ : ٩٩).

<sup>٤</sup> . (الباء في الاول معية سببية وفي الثاني مصاحبة وفي الثلاثة الباقية سببية).

فلا تخلو أية رسالة إلهية عن البيئات والزبر: «لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان...»<sup>١</sup> حيث يوحى اليهم بالبينات المعجزات كما بالزبر، وليسأل اهل الذكر بهذه البيئات والزبر، سؤالاً بهما لانهما خير مادة لسؤال الإستعلام، وذلك «ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر» واما الذي يعلم طبيعة الرسالات بنفس البيئات والزبر فلماذا يسأل وليس المسؤول بأحرى من السائل. ثم «فسألوا» لا تختص بالمشركين الناكرين للرسالات الإلهية مهما كانوا هم مورد نزول الآية حيث المورد لا يخص، بل هو عام لكل من هو داخل في نطاق «ان كنتم لا تعلمون» أيا كان اللا علم، في الشرعيات: عقليات او تعبديات، وسواها من العلوم المرغوبة لامور الدنيا المباحة وامور الآخرة. فان كان العلم واجبا فالسؤال واجب، وان كان راجحا فراجح، و«ان كنتم لا تعلمون» هو الحد النهائي لسماح السؤال ام وجوبه، فان لا تعلم الآن ولا تفوت الأوان وتستطيع ان تعلم قبل فوات الأوان، دون عسر ولا حرج، ولا فوت لواجب العلم عملاً، فلا تشملك «ان كنتم لا تعلمون» فإنها تنفي الكينونة الممكنة للعلم، دون كل جهل وإن بالإمكان إزالته دون سؤال، ففرقاً بين «ان لا تعلموا» و«ان كنتم لا تعلمون» ف «فإن كنتم» تضرب الى عمق الكينونة في «لا تعلمون» كما هو المقرر ولو فرض السؤال ام سُمح له مع امكانية العلم بمحاولة غير محرجة ولا معسرة، لكان في ذلك إهمال الطاقات النفسية، بئلة وبطلة لما منح الله الإنسان من التعقل والتفكير، والآيات الأمرة بالتدبر والتفكير والتذكر بالتدبير تؤصل العلوم النفسية الناضجة من ذوات الانفس الناضجة، على ضوء المزيد من التدبر الناضج.

وهذه طبيعة الحال في كافة الحاجيات الحيوية أن للسعي الذاتي أصالة فائقة حسب الإمكانيات الميسرة الميسرة، لمن لا تُحرجه، ثم إذا كُت فسعي وراء الذات ممن له هذه الفعليات أو الامكانيات، ام اذا قلت فعوان بينهما جمعا بين سعيك ومساعي الآخرين، فالسؤال وكذلك الجواب عنه بين واجب وراجح، فأصل العلم اصليا وفرعيا واجب على كل مكلف في ابعاده الثلاثة الحيوية، ثم المزيد راجح، وعلى الجملة ف «اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه»<sup>٢</sup>. فما دامت الأصالة كائنة او ممكنة فالوكالة غير صالحة، اللهم إلا تكملة للأصالة، واهم الحاجيات الحيوية هو العلم الواجب ثم الراجح، أنك إن كنت لا تعلم، ولا تكفي فعليتك ولا قابليتك ولا فاعليتك لان تعلم دون حرج منفي في الشريعة، فلا تكفي للعلم الكافي، اذا فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. سؤالاً «بالبينات والزبر» بعلم أو أثارة من علم، مسنودا الى عقل ضروري ام كتاب

<sup>١</sup> . ( الحديد ٥٧ : ٣٥ .

<sup>٢</sup> . ( فإن تلحق الماضي بالمضارع هكذا نفي باتّ يخلق على أكثر مما مضى .

<sup>٣</sup> . ( النخصال للصدوق عن الامام امير المؤمنين علي عليه السلام .

وحي.

وان كنت عالماً ام كنت تعلم بمحاولات ذاتية فلا عليك سؤال ولا لك ذلك، اللهم الا تكلمة لما علمت، لا تسطع لها حيلة دون سؤال.

وكما العلم الذاتي يجب كونه باستدلال دون خيال او ظن غير مسنود الى برهان: «البيئات والزبر» كذلك فليكن السؤال بالبيئات والزبر دون تقليد اعمى، ف «البيئات» وهي البراهين العقلية المجردة والحسية «والزبر» وهي كتابات الوحي، هما المحور الاصيل في كل سؤال وجواب جملة وتفصيلاً. فبيئات الرسل تصدق زبرهم، وزبرهم تجاوب بيناتهم، اذا فهم المحور الاصيل لكل دليل، وقد يعبر عنهما بـ «علم أو إثارة من علم» وعلى أية حال لا يُعني غير العلم عن الحق شيئاً، والاجتهاد والتقليد كلاهما يتبنيان «البيئات والزبر» هنا جملة وهناك تفصيلاً.

ولان القصد من السؤال في اصول الدين حصول العلم ثم التصديق والعمل، فالعلم هنا موضوعي وطريقي، فاذا سأل واقتنع ببرهانه فهو مصيب اخطأ أو أصاب، واذا لم يسأل فلم يقتنع وبقي على ظنه، فهو مخطيء وافق الواقع ام خالف، والاوّل اقل خطأً.

واما الفروع، فان اجتهد او قلّد او جمع بينهما تجزئة للإجتهد والتقليد او احتاط، وكان متبعاً في كل ذلك واجبه الشرعي، فهو مصيب اخطأ ام أصاب، مهما كان للمصيب اجران وللمخطيء اجر واحد، وان ترك الكل فان وافق عمله الواقع صح، وان خالف بطل مهما وافق رأي الأعم، فان صحة العمل محصورة في إصابة الواقع، ام تطرق إحدى هذه الطرق الأربع العاذرة، فالتارك للكل، غير المصيب للواقع، لا إصابة له ولا عذر، ولا تفيده الموافقة الواقعية لرأي الأعم، فان العذر ليس في واقعه، وانما هو في تقليد وهو غير واقع.

ولان القصد من السؤال هو معرفة الحق وهي ذريعة العمل وفقها، فان وافق العمل الواقع دون سؤال صح، ام وافق من يحق عنه السؤال فكذلك، ام وافق رأي البعض من المجتهدين الجامعي شرائط التقليد ولكنه غير الاعلم الاتقى ففي الصحة تردد اصحه البطلان، لوجوب تقليد الاعلم، وان خالف الاجماع او الضرورة بطل بالاجماع او الضرورة.

والعلم بالاحكام مرحلي ابتداءً بالاجتهاد المطلق، ثم المستطاع، ثم الاحتياط، ثم التقليد، وان لم يجد الأعم ولا رأيه ويفوت اوان العمل فالاقرب الى الاعلم والاقرب، ثم اذا وجده سأله، فان وافق السابق فهو الحق، وان خالف صح ما سبق فان للضرورات احكامها في مجالها.

فليس التقليد تقبلاً لقول الغير دون أي دليل، ولا فارق بين الاجتهاد والتقليد إلا اجمالاً هنا وهناك التفصيل، فاذا تأكدت من صلاحية أهل الذكر للسؤال، ويجيبك «بالبيئات والزبر» وهما في الإسلام الكتاب والسنة القاطعة، وتعرفت قدر المستطاع الى مستند الجواب، عندئذ سُمح لك ان تسأل أهل الذكر، تقليداً عاقلاً عالماً عن العالم العاقل، ومادة لجواب في السؤال على أية حال هي «البيئات والزبر» فالأولى هي البراهين القاطعة العقلية كما المعجزات، دون ان تحتل أي شك وريبة، والثانية هي البراهين النقلية من كتاب الوحي وسنة قاطعة، وهما مجموعان في القرآن بل هو افضل البيئات والزبر، وكضابطة عامة فيما يُسئل عنه آية الزمر: «فبشر- عباد\* الذين يستمعون القول فيتبعون

أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب»<sup>١</sup>.

ف «اهل الذكر» هنا هم الأحسن قولاً في الزمر، دون اي عالم وهناك من هو اعلم، اللهم إلا اذا لم تجد سبيلاً إلى الأعلّم، ام تتخرج في الفحص عنه. ف «ما جعل عليكم في الدين من حرج» وقد يروى التعميم عن الرسول صلى الله عليه وآله انه «لا ينبغي للعالم ان يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله، وقد قال الله: «فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وينبغي للمؤمن ان يعرف عمله على هدى أم على خلافه» ولكن ذلك العموم لا يطارد الخصوص، إذ لا عسر ولا حرج، وكما تُخصّصه وآية الذكر آية الزمر، وكما إذا تمكنت من سؤال الإمام المعصوم لا يحل لك ولا يكفي سؤال مَنْ سواه، كذلك السؤال عن أي كتاب وعندك كتاب الله وعلى هامشه سنة رسول الله، وقد يروى عن الامام الصادق عليه السلام: «العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا ادري» فليس وراء الكتاب والسنة، وأما يصدقانه، إلا «لا أدري» فانه - إذا - علمٌ و«أدري» جهل، لأنه غير مسنود إلى علم أو آثارة من علم.

وكما ان افضل الذكر هو القرآن، كذلك اعلم اهل الذكر هو رسول القرآن، ثم اهله المعصومون وهم اهل الذكر: القرآن، واهل الذكر: رسول القرآن<sup>٢</sup> ومن ثم سائر العلماء الربانيين الأمثل منهم فالأمثل علما وتقوى وعقلية أمأهيه من شروطات الذكر الحجة.

... وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم. فان القرآن هو اصل الذكر وفصله، بيانا وافيا لما نزل الى انبياء الله من قبل، وافضل اهله هو الرسول فاسألوه «ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبير» - «لتبين.. ولعلمهم يتفكرون» في معانيه ومغازيه.

هنا «لتبين» تلمح صراحة ان رسول القرآن بيان للقرآن بالقرآن: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد. وكيف لا وهو افضل مفسر للقرآن بالقرآن بعد الله وبيان الله.

ثم «لتبين» كما هو بالقرآن كذلك بالسنة قولية وعملية وتقريرية، فالتفكر في رسول القرآن كما القرآن ينتج صراحة صراحة أنه: «ما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم. فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون». وهو نفسه أفضل أهل لهذا الذكر.

ومن ثم «لتبين» كغاية قصوى راجعة اليه في «وانزلنا اليك الذكر» نزولاً إلى معلم القرآن وسائر الوحي «لتبين» دون ان ينزل بلا وسيط على الناس اذ لا تبين لهم تماما دون بيانه، ولا انهم يصلحون لنزول

١. (الزمر ٣٩: ١٨).

٢. (في غاية المرام نقلاً عن الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في كتابه المستخرج من تفاسير الاثني عشر في تفسير هذه الآية يعني فاسألوا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة، فوالله لا يسمى المؤمن مؤمناً الا بمحبة علي بن ابي طالب، وفي تفسير الثعلبي عن جابر لما نزلت هذه الآية قال علي عليه السلام نحن اهل الذكر، وفي تفسير يوسف القطان عن وكيع عن الثوري عن السدي قال كنت عند عمر بن الخطاب فاذا بكعب بن الاشرف ومالك بن سيف وحي بن اخطب - وساق سؤالهم عمرا عن عرض السماوات والارض وعيّه عن الجواب فاذا بعلي عليه السلام دخل فأجابهم ثم ذهب علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله ونقل له ما حصل فنزلت هذه الآية.

الوحي عليهم، و«ما نزل اليهم» يعم القرآن وسائر الذكر، اذا فالقرآن ببيان نبي القرآن بيان لكافة كتابات الوحي طول الخط الرسالي، وبيان لنفسه وبيان للسنة الرسالية، ولما يروى عن الرسول كسنة، حيث يقاسان على القرآن وبيئان به.

ثم «نزل اليهم» هو تنزيل اليهم بواسطة رجال الوحي، ونسبته اليهم اعتبارا انهم هم المعنيون بهذه الكتب كما الرسل، دون الرسل فحسب حيث انزل اليهم، فهم - اذا - حملة امانات الوحي الى المرسل اليهم، مهما كانوا هم رؤوس الزاوية في كتابات الوحي.

لذلك فهم الغاية الثانية ل «انزلنا اليك الذكر»: «ولعلمهم يتفكرون» في النازل ومنزله، وليعلموا انه «ما ارسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم...» كما «ولعلمهم يتفكرون» في كل ما يحويه من حقائق ناصحة ناصحة جملة، فالقرآن هو كتاب التفكير والتذكير، كتاب الحياة الرسالية والرسولية لنبي القرآن.

اذا فلنا حجتان شرعيتان لا ثالثة لهما ولا: القرآن ونبي القرآن، فما كان من القرآن او من السنة القدسية المحمدية صلى الله عليه وآله فمفروض وإلا فلا حجة فيه فمفروض، ولا حجة في المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله إلا ما وافق القرآن، ام لا يخالفه، ام تواتر نقله عنه دون شك وريية فيما لا يوافق القرآن ولا يخالفه، وكما يروى عن الامام الصادق عليه السلام: «العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا ادري» ثم ولا نجد حجة قاطعة على حجة ما سواهما من ادلة مذهبية شيعية او سنية هي أعله، كالاجماع والعقل والقياس والاستحسان والاستصلاح.

وحصيلة البحث عن آية الذكر أنها تعم كل سؤال وسائل ومسؤول، وللسائل المسلم والمسؤول الرسول والائمة من آل الرسول أولويتان اثنتان، وحدة العقيدة، وشرافة السائل والمسؤول، ومورد نزول الآية منحط سائلاً ومنحط مسؤولاً مع اختلاف العقيدة بينهما، فشمول الآية بالنسبة للمسلمين وأمتهم أولى منهم، إضافة إلى أن «فاسألوا» تفريعا للفرع على اصله دليل أنه ضابطة عامة كل سائل ومسؤول في كافة الحقوق.

«أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ»<sup>١</sup>.  
الفاء هنا تفريع تفريع بناكري الرسالات وماكري الصد عنها، على حجة الله القارعة في الرسالات المتواصلة البارعة، سلسلة موصولة برسولة على طول خط التكليف الى العالمين اجمعين، فلا تقلت عنها أم عن العذاب القارع على المتخلفين عنها.  
وماكروا السيئات هم امكر الماكرين واسوء المسيئين حيث يُظهرون السيئات بمظاهر الحسنات، سيئات منافقة، ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب.

<sup>١</sup> . (النحل ١٦ : ٤٥).



## شروط الاجتهاد والتقليد المفروضين

«وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ\* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ»<sup>١</sup>.

الطغيان هو تجاوز الحد في العصيان، والطاغوت مبالغة الطاعي فهو المبالغ في الطغيان، فهو الطاعي على عباد الله وعلى الله، حيث يستضعف عباد الله، ويستكبر على الله إحدادا في الله أو إشراكا بالله، أو مساماةً وسواوةً لله، أم ترفعا على الله إذ يدعي أنه إله من دون الله: «أنا ربكم الأعلى» فكل طاغوت على دركاتهم، ولأن الطاغوت صيغة مبالغة فاللام فيه تعني الموصول وهو صلته فيشترك فيه المفرد والجمع: الذي يطغى والذين يطغون، وقد استعمل هنا جمعا لمكان «ها» وكما في غيرها: «والذين كفروا أوليائهم الطاغوت..» كما استعمل مفردا: «يريدون يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به»<sup>٢</sup>.

ومن الغريب القريب تساوي العدد بين الطاغوت والمستضعف، ثمانية بثمانية، مما يلمح بأن لكل مستضعف طاغوتا، ولماذا طاغوت الجمع يرجع إليه هنا ضمير المفرد الأنثى؟ لأنها - فقط - الأصنام والأوثان التي لا تعقل؟ والطاغوت هو العاقل الذي يدعوا إلى نفسه بديلا عن الله، فلا طغيان فضلا عن الطاغوت لغير العاقل!.

أم لان الطاغوت وهو عاقل، يكون من لا يعقل وأرذل منه حيث لا يعقل: «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون»<sup>٣</sup>. «إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون» (٥٥) وهذا هو الحق في أنوثة الطاغوت، وما أطفه تعبيرا عن كيانهم الضئيل، وذكر الطاغوت هنا من واجب الإجتنب ذكر لأنحس ما يُعبد من دون الله، فغيره مطوي معه، ولا سيما أن الإنابة إلى الله تقتضي - رفض كل الآلهة من دون الله.

«والذين اجتنبوا الطاغوت..» مواصفات ثلاث لمن يعبد الله مخلصا له الدين مهما اختلف الدرجات، ابتداءً بالسلب: «اجتنبوا الطاغوت..» وتوسطا في الإيجاب «وأنابوا إلى الله» وانتهاءً إلى مسك الختام: «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» وهكذا يكون دور الحياة لمن يؤمن بالله: «اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب» ثم من دونهم دركات وجاه الدرجات، وبين عليا الدرجات ودنيا الدرجات متوسطات.

<sup>١</sup> . (الزمر ٣٩: ١٧ و ١٨).

<sup>٢</sup> . (النساء ٤: ٦٠).

<sup>٣</sup> . (الأنفال ٨: ٢٢).

ليست الهدى واللب - فقط - السلب: «اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها. ما لم يلحقه الإيجاب: «وأنابوا إلى الله» كما ليست هي الإيجاب ما لم يسبقه السلب، فلا ينفك «لا إله» إلا أن يلحقها «إلا الله» ولا «إلا الله» إلا أن يسبقها «لا إله» إيجاباً موحداً مخلصاً بعد سلب مطلق.

فقد تسلب ثم لا إيجاب كمن لا يعبد إلهاً ولا يعبد الله، أم قد توجب ولا تسلب كمن يشرك بالله، إذا فكلمة الحق الهدى هي «لا إله إلا الله».

وعبادة الطاغوت دركات، كما الإنابة إلى الله درجات، فقد يُعبد الطاغوت كما الله، طاعة مطلقة، لعبادة التأليه من دون الله هي أنحس دركات العبادة للطاغوت، وقد يُطاع دون تأليه ولا طاعة مطلقة فهي أيضاً عبادة للطاغوت مهما كنت مسلماً «ومن أطاع جباراً فقد عبده»<sup>١</sup> وبينهما متوسطات.

فإذا تركت عبادة الطاغوت وطاعته عقائدياً وعملياً فهناك الإنابة إلى الله، رجوعاً إليه بعد فِصال، حيث الفطرة ومعها العقل تحكم بعبادة الله لا سواه، فإذا تُرك الطاغوت فإنابةً إلى الله.

وهناك بشارتان إثنتان، أولاهما للذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله، أن «لهم البشرى» والثانية لهم حين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أترى ما هو القول الذي يستمعون وما هو أحسنه؟ هل إنه مطلق القول سيئاً وحسناً وأحسن؟ ولا حَسَنٌ للسيء حتى تعمه «يتبعون أحسنه»! ولماذا يستمعون عبادة الله الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا إلى الله، يستمعون سيء القول وهو ألغى اللغو. وإذا مروا باللغو مروا كراماً.<sup>٢</sup> لا يرونه ولا يسمعونه ولا يتبعون! حتى «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه»<sup>٣</sup> فكيف إذا يستمعون؟! اللهم إلا سماعاً أو إستماعاً للرد والنقض، وله أهله الخصوص دون عامة المؤمنين، والآية تتحدث عن كُتلة الإيمان ككل دون خصوص أهل النقض الحافظين لشرعة الله.

إنَّ استماع القول لأولي الألباب لا بد أن يعني معنا إيمانياً، بين تكامل باتباع أحسن القول وهو يعمهم، وبين نقض لسيء القول وهو يخص العلماء منهم، فإذا لا يعني لا هذا ولا ذاك فلُغية الوقت وتهدّره، أم ضلالٌ عن الهدى وتكدره، وهما بعيدان عن أولي الألباب، اللهم إلا أن يعني من استماع سيء القول استحكام حسنه وأحسنه عنده إن كان من أهله.

ولا يختص «يستمعون القول» بتلقي السمع الأذن، إذ يعني تلقي القول والرأي وأكثره بسمع الأذن،

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ٤٨١ عن المجمع روى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام في الآية انه قال: انتم هم ومن اطاع جباراً فقد عبده، وفي اصول الكافي بسند آخر عن أبي عبيدة الحذاء عنه عليه السلام في حديث طويل حول الآية «والعبادة طاعة الناس لهم».

<sup>٢</sup> . ( الفرقان ٢٥ : ٧٢ .

<sup>٣</sup> . ( القصص ٢٨ : ٥٥ .

فقد يُتلقى القول بكتابة أو إشارة أماذا، فالمقصود تفتيش الآراء الحسنة، بغية الحصول إلى أحسنها فاتّباعها علميا وعقائديا وعمليا أماذا؟ ولا يتأتى إتباع الأحسن إلا بعد تمييزه باجتهاد في تفصيل أو إجمال، فالإجتهاد - إذا - فرض على أية حال! فمن لا يستمع القول، حاصرا إتباعه بما يعقله في نفسه، - او يسمعه دون استماع، وهو تكلف السمع نفوذا تاما الى القول الأحسن بأدلتها المقنعة - فكثيرة أخطاءه، وعظيمة بلاءه، فما هو من أولي الالباب، ويقول الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»<sup>١</sup> فلا تكفي رؤية الآيات الأنفسية لتبين الحق، ومن الآيات الأفاقية آيات الرسالات التي هي لزام الهدى لأولي الالباب.

والإنسان أيّا كان - سوى المسدد بالعصمة الإلهية - هو في معرض الأخطاء حين يستقل برأيه، فعليه استماع مختلف الأقوال كشورى بينه وبين أصحاب الأقوال، ثم يتبع الأحسن، فإن في تفتيش الآراء تنبيهات على موارد الخطأ والصواب، بل قد ينتبه الإنسان للأحسن حينما يسمع غير الأحسن بل والسيئ، فحينما يفيد استماع القول السيئ إتباع الأحسن، يُعتبر السيئ من الحسن طريقا إلى إنتباه الأحسن.

ومن يستمع إلى كل قول سيئا وسواه، دون أن يعني نقضا أو يقدر عليه، فمتهدرة أوقاته وهو على أشرف الضلال، وحين عناية النقض فخارج عن نطاق الآية لمكان «فيتبعون». ومن يستمع إلى حسنة الأقوال ولا يتبع أحسنها فما هو من أولي الألباب، ولا يتبغى الحسن لحسنه، وإلا فلماذا ترك الأحسن إلى الحسن وهو جنة وسوءة الإلتباع أو صدفة لهوى ومصلحة. وأما من «يستمعون القول» إتباعا للحق «فيتبعون أحسنه» ف «أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب».

وحسن القول هو حقه الصواب، أم حكاية عن الحق الصواب، أو قريبا إلى واقع الحق الصواب. فأحسنه في هذا المثلث هو أحقه وأحكاه وأقربه إلى الحق، والأخير هو محور البحث عن كيفية التقليد وشروطه، وكيان الإجتهد بشروطه.

قد تكون لك القدرة على استنباط الأحكام باتّباع أحسن الأقوال تمييزا علميا بمحور الكتاب والسنة فعليك إتباع أحسنها وإن كان خلاف الشهرة أو الإجماع، حيث الميزان الأول والأخير في شريعة الله هو كتاب الله ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وكما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام: «العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا أدري»<sup>٢</sup> فهما أحسن القول واقعا، والأقرب إليهما والأشبه بهما هو الأحسن تقديرا وهو الأوفق لهما تفسيرا.

وقد لا تسطع على استنباط الأحكام بتفصيل، فهناك إستنباط الإجمال أن تتعرف إلى الأعلام الأتقى، فإن قوله أحسن القول لأنه أقرب إلى الحق الصواب، فعليك تقليده.

<sup>١</sup> .( فصلت ٤١ : ٥٣ .

<sup>٢</sup> .( المحجة البيضاء للفيض الكاشاني بسند عنه عليه السلام .

وقد تقتسم الأحكام إلى اجتهاد وتقليد إن لم تسطع على الإجتهد المطلق، فالقول عن إجتهاد هو أحسن من القول بتقليد، إضافة إلى ما تحمله آية الذكر «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»<sup>١</sup> فلا سؤال تقليدا إن كنت تعلم إجتهادا.

وقد تقتسم التقليد - حيث الأعلمية نسبية - بين المسائل، فتقلد مثلاً في أبواب العبادات الأعلّم فيها والأتقى، وفي أبواب المعاملات والسياسات أمّا هي من أبواب أو مسائل تقلد الأعلّم فيها والأتقى. فعلى المؤمن على أية حال إتباع الشريعة عن إجتهاد بتفصيله أم إجماله مهما يسمى إجماله تقليداً، فإنه اجتهاد في الحصول على الأعلّم الأتقى.

وعليه التحري الدائب في المسائل غير الضرورية ليحصل على الواقع أو الأقرب إليه والأحرى بالإتباع، حركة دائمة نحو التكامل علمياً كما هو نحوه عملياً، فيجرح بجناحي العلم والعمل المتكاملين إلى الأجواء الأحرى والأرقى من الكمال الذي تعنيه الشريعة الإلهية.

والقول المستمّع أعم من الإخبارات والإنشآت، ومن أصول الدين وفروعه، ومن كتابات الوحي وسواها، فعلى غير المتشرع أن يستمع إلى مختلف الوحي فيتبع أحسنه في ميزان الفطرة والعقل، ألا ذلك هو القرآن العظيم، وعلى المتشرع أن يستمع إلى مختلف المذاهب للشريعة فيتبع أحسنه في ميزان الكتاب والسنة.

وعلى المتمذهب المذهب الأحق الأحسن أن يستمع إلى مختلف القول في أصول الدين وفروعه فيتبع أحسنه، وفي كلّ الفرض هو المستطاع من الإستماع وإتباع الأحسن.

ومن إتباع أحسن القول فيما يرتأيه أصحاب الشورانات فيما تحقق فيه الشورى من أمور فردية أو جماعية، شورى فتوائية ام سياسية أماذا، وليس الأحسن فيها الأكثر قائلاً إلاّ فيما تدل الأكترية على الأقربىة إلى الحق، فقد يكون الأحسن رأي الأقل بمن فيهم الأعلّم الأورع، اللهم إلا إذا تساوا ولم تُعرف راحة لرأي الأقل، ولم يبق في البين مرجحٌ إلا كثرة العدد، فهنا الأحسن رأي الأكثر بنفس السند الدائر السائر للترجيح وهو كونه الأوفق والأشبه بالواقع حين لم يبق مرجح إلا هو.

فليست الشهرة والأكترية لها دورٌ في الإتباع إلاّ أن تحملا برهاناً على أنهما أقرب إلى الحق، إلاّ فيما استأصلت البراهين إلاّ الأكترية لأهل الشورى وهم أهل الرأي، المتوفر فيهم صلاحيات الشورى كما فصلناها في آية الشورى كما يأتي.

إلى هنا إتباع الأحسن من المفروض الذي لا محيد عنه، وقد يجري دون فرض في الواجبات والمندوبات التخيرية، فاتّباع الأحسن فيها أحسن وليس لزاماً يؤثم بتركه «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

ومن إتباع أحسن القول - بعد العلم والعمل والعقيدة - نشره كما استمع «فيحدث به كما سمعه ولا

<sup>١</sup> .( الانبياء ٢١ : ٧ .

يزيد فيه ولا ينقص منه<sup>١</sup> وقد تعنيه «أحسنه» فيما عنت، أنه أحسن الإتيان بعد أحسن القول<sup>٢</sup>. هؤلاء «لهم البشرى» وهم «عباد» - المخصوصين بالله - بشارة بعد الأولى و«أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب» بُشريان بعدهما سمة العبودية «لهم البشرى فبشر- عباد» ثم الهداية الإلهية: «هداهم الله» ثم «أولئك هم أولوا الأبواب».

وهذه الخمس ليست لمن سواهم، إستمعوا القول ولم يتبعوا أحسنه، أم لم يستمعوا آمن ذا من الخارجين عن هذه الشروط الخمس، وإن لم يكونوا سواء في الضلالة وسقوط الأبواب. فهذه الآية هي الوحيدة في سائر القرآن بيانا لفرض الإجتهد والتقليد كل على شروطه، يجمعهما «فيتبعون أحسنه» ولا تدل آية الذكر إلا على مطلق السؤال «إن كنتم لا تعلمون» فلتقيّد بآية الأحسن، ثم لا حاجة إلى تكلفات عقلية ام روائية، ضعيفة الدلالة، متعارضة الادلة، فإنما العلم ثلاثة كتاب وسنة ولا أدري!

والتقليد الأعمى دون حجة شرعية، ولا سيما إذا كان خلاف الكتاب والسنة، هو من زمرة عبادة الطاغوت، وإن لم يكن المقلد طاغوتا، حيث التقسيم الثنائي يخرج عن اللب والهدى، فهو داخل في عبادة الطاغوت مهما اختلفت دركاتها.

أم إنه بين عبادة الطاغوت وبين اتباع أحسن القول، فالتقسيم إذا ثلاثي أماذا؟ وخلاصة القول في الآية أنها تحريض على الإجتهد - أيا كان ومن أي كان - في الحصول على أحسن القول حسب المستطاع، وتحريك للمسلمين بحركة دائبة نحو الحسن في المعارف والعقائد والأعمال! حركة دائبة نحو الكمال والاكمل، علميا وعمليا: فرديا وجماعيا على طول خط الحياة للمكلفين، فعلى المجتهد الحسن ان يتبع الأحسن منه بدليله، دون أن يقلد نفسه دون الأحسن.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ<sup>٣</sup>.

الرسول صلى الله عليه وآله كان حريصا على هدى الضالين والمنحرفين وهم مصررون على ما هم وهو متحسر - وهنا الله يريحه عن عبئه ويسقط عنه تكلف الدعوة حين لا تثمر «أفمن حق عليه كلمة العذاب» - دوغما بداء منه ولا من الله - أنت تتكلف في هداة «أفأنت تنقذ من في النار» حيث يعيش نار الضلالة فإلى نار الجحيم؟

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ٤٨٢ ح ٣٤ علي بن إبراهيم بسند عن أبي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام قول الله جل ثناؤه «الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه» قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدث... وفي نقل آخر زيادة: جاءوا به كما سمعوه - ذيلاً - وهم المسلمون لآل محمد - صدرا.

<sup>٢</sup> . ( ففي احسنه المعنيان - احسن القول وأحسن الاتباع مهما كان الثاني على هامش الأول.

<sup>٣</sup> . ( الزمر ٣٩ : ١٩ .

المِيعَاد<sup>١</sup>.

أهل الطغوى حقت عليهم كلمة العذاب، ولأهل التقوى كلمة الثواب، ومن ذلك «لهم غرف مبنية من فوقها غرف» في جنات الخلود ومن قبلها في جنات البرزخ، والغرفة هي المنزل الرفيع، وما أجملها إذا كانت «من فوقها عُرف» قصورا طباقا عالية «تجري من تحتها الأنهار» ومن فوقها الأشجار، أتراها بماذا بنيت ومن ذا يبنيتها؟ يبنيتها الله برحمته كما تبنانا أهلوا بتقواهم، تُبنى لهم كما يشتهون ولديه مزيد «... وهم في الغرفات آمنون»<sup>٢</sup> «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهمن من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين»<sup>٣</sup> وبماذا يبنيتها الله تعالى، نسمع الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «بناها الله لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضة...»<sup>٤</sup> تجري من تحتها الأنهار في أرض الجنة رحمة فورية وأخرى تحتية خلاف ما لأهل الطغوى: «لهم من فوقهم ظُلل من النار ومن تحتهم ظلل» ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار! ألا فانظروا «وعد الله» ترون «لا يخلف الله الميعاد» لاي من زمر الجنة وزمر النار، كسنة دأبة دون تخلف قيد شعرة، خلاف وعد الشيطان حيث يخلف وعده في الدنيا وفي الآخرة.

<sup>١</sup> . ( الزمر ٣٩ : ٢٠ .

<sup>٢</sup> . ( سبأ ٣٤ : ٣٧ .

<sup>٣</sup> . ( العنكبوت ٢٩ : ٥٨ .

<sup>٤</sup> . ( نور الثقلين ٤ : ٤٨٢ ح ٣٦ القمي في الآية قال حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن محمد بن اسحاق عن ابي جعفر عليه السلام قال: سأل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير هذه الآية بماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي تلك غرف... لكل غرفة منها الف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بالوان مختلفة حشوها المسك والعتبر والكافور وذلك قول الله: «وفرش مرفوعة» فاذا دخل المؤمن الى منزله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة والبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوما في الاكليل تحت التاج والبس سبعين حلة حرير بالوان مختلفة متوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الاحمر وذلك قوله «يُحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير» فاذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحا فاذا استقرت بولي الله منزله في الجنة استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنئه بكرامة الله اياه فيقول له خدام المؤمن ووصفائه مكانك فان ولي الله قد اتكى الى اريكته وزوجته الحوراء العيناء قد ذهبت اليه فاصبر لولي الله حتى يفرغ من شغله قال: «فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها...».

## حول الشورى ومواضيعها وموضوعاتها

«وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ\* وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ»<sup>١</sup>

إنما الأصل هو الفناء «في سبيل الله» قتلاً أو موتاً، فمن يعيش هذه السبيل ويحقق مسؤولياته تجاه الله ف «لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون»، ولا فارق - اذا - بين القتل والموت، إذا كانا في سبيل الله، ولا تقدم لقتل على موت أو لموت على قتل إلا ما يتقدم منهما على صاحبه في سبيل الله فيقدم صاحبه - ميتاً أو قتيلاً - في سبيل الله.

ولكي نعرف تلك المساوات تتقدم - في الآية التالية - «متم» بعدما تأخرت - في الاولى - عن «قتلتهم» تأشيراً إلى أن الأصل فيهما هو سبيل الله، وقضاء النحب موتاً أو قتلاً في هذه السبيل. فاذا الموت كائن لا محالة فموت في سبيل الله أو قتل خير - لو علموا واتقوا - مما يجمعون من الدنيا التي لها فيتأخرون عن الجهاد تخوفاً للموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا ووهيها دون وحيدها: زهادة في الآخرة.

والمجاهد في سبيل الله تشمله مغفرة الله ورحمة الله سواء أ مات على فراشه، ام ضاربا في الأرض لمعاشه، أم قتلاً في ميادين الشرف والكرامة، فمسيرهم كلهم واحد، كما مصيرهم الى الله الواحد: «ولئن متم او قتلتم لآلى الله تحشرون» ولا تظلمون نقيراً..

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ»<sup>٢</sup>

لقد لان الرسول صلى الله عليه وآله لهم أولاء الذين عصوه في حرب أحد بما ألانه الله ورحمه، وهنا عرض موجز عن ذلك اللين المكين المتين مع ضعفاء المؤمنين، دون المنافقين الذين لا يعرفون لنا ولا يُعرف في شرعة الحق لهم لين.

وترى ماذا تعني «ما» في «فبما رحمة»؟ هل هي زائدة كما يتقولون؟ والزائدة بلا فائدة بائدة في

<sup>١</sup> .( آل عمران ٣: ١٥٧ - ١٥٨ .

<sup>٢</sup> .( آل عمران ٣: ١٥٩ .

القرآن العظيم!

أظنها استفهامية في موضع العجب: «فبأي رحمة من الله لنت لهم» حيث الموقف كان يتطلب أعلى قمم الرحمة الربانية، فكما أن «عفا الله عنهم» - وهم من عرفناهم - يقتضي - غاية الرحمة واللين، فكذلك الرحمة الرسالية مع هؤلاء العصاة الذين هزموا صالح المؤمنين في المعركة وجاءوا بالبور والخسار.

وتلك الرحمة العالية كانت لزاماً لتلك الرسالة الغالية، كما ان «ولو» تحيل سلبها عنه إلى الفظاظة وغلظة القلب.

وترى إحالة الفظاظة وغلظة القلب بالنسبة للعصاة المجاهيل لا تحيلهما بالنسبة للمؤمن الضريب الفقير الذي يستقرُّ الرسول صلى الله عليه وآله آيات من الذكر الحكيم، كما افترى عليه صلى الله عليه وآله في «عبس وتولى» وقد فصلنا البحث حولها ذوداً عن ساحة الرسالة القدسية تلك الوصمة الغاشمة في موضعه.<sup>١</sup> فمن الشروط الرئيسية لصالح الرسالة ولا سيما هذه الأخيرة الجامعة العالمية، ان تكون لها جاذبية شاملة تجذب من بالإمكان أن ينجذب إليها فيهندي، فضلاً عن آمن وملاً يكمل إيمانه.

ومن الصعب جدا كمتحيل أن يلين القائد مع جيش يتحمس للخروج في البداية ثم يضطرب ويخالف عن أمره ويضعف أمام إغراء الغنيمة، وأمام إشاعة مقتل القائد وينقلب على عقبيه مهزوما هزيباً ذليلاً، ويتركه صلى الله عليه وآله مع قلة قليلة يثخن بالجراح وهو يدعوهم في أخراهم، وهو مع كل ذلك لا يفتز ولا يفتظ عليهم، ولا بشرط كلمة فظة او عملية رتة بذة، بل «وإنك لعلى خلق عظيم» والعظيم عند الله هو إله العظمة - لو صح التعبير -!

فليس ذلك إلا أن أدركته الرحمة العاصمة الربانية كما أدركته العصمة الرسالية فلان معهم بكل لطف وحنان، فما من احد رآه او عاشه إلا امتلأ قلبه بحبه لِمَا كان يفيض من نفسه الرحيمة الرحبية، رغم كونها رهيبية، وقد تعني «فظا» مقرونة بغليظ القلب، الفظاظة في مظاهر الأقوال والأفعال، وغلظة القلب هي الفظاظة في الجوانح، فما من أحد يغلظ قلبه إلا وقد تفلت منه الفظاظة مهما راقب ودائب، فلا بد للداعية أن يكون لين الجوارح والجوانح.

ذلك! ومع كل هذه يأمره الله تعالى هنا بمزيد اللين والرحمة بمثل من زائد العناية:

١ - «فاعف عنهم» ما عصوك كقائد رسالي، واصفح متجاوزاً عما فعلوا وافتعلوا وفتكوا وهتكوا، ولكنما العفو من جانب الرسول صلى الله عليه وآله ليس ليكفي غفرهم من جانب الله لأنهم عصوا الله في عصيان الرسول، فليس ذلك حقاً شخصياً يعفوا عنه صاحبه فيعفى عنه، بل هو بين المرسل والرسول، ولذلك:

٢ - «واستغفر لهم» الله، أن يغفر لهم ما سلف، ويستر عنهم ما يأتي ويهجم من عصيان، فقد لا يستغفرون الله ظناً منهم أن عفوك عنهم كاف، أم تساهلاً ومآحلاً فيه، ام لان استغفارهم لا يكفيه، إذا «استغفر لهم» ولو أنهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا

<sup>١</sup> . من الفرقان، ومحمد في القرآن والسنة في هذا التفسير الموضوعي.



اللَّهُ تَوَاباً رَحِيماً.<sup>١</sup>

ثم ولا فحسب اللين والعفو والإستغفار، بل:

٣ - «وشاورهم في الأمر» كأنهم اولاء في محبتك في معرفة الأمر، تشويقاً لهم إلى كامل الايمان، حيث تجعلهم - وهم عصاة - في حساب شورى الأمر، و«الأمر» هنا أخص من الأمر في «وأمرهم شورى بينهم» فان أمر الأحكام الشرعية زمن الرسول صلى الله عليه وآله لا يدخل في نطاق الشورى لأن أمرها بوحى الله فانه الشارع لا سواه، فانما هو الأمور الزمنية التي لا نص فيها قطعياً، فان امرها راجع الى ولي الأمر وهو الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه يؤمر هنا ان يشاورهم في هذه الأمور لمصلحة راجعة إلى الامة على مدار الزمن.

ثم وليس أمر انتصاب خلافة الإسلام - مهما كان من أهم الامور الاسلامية - ليس داخلياً في نطاق ذلك الأمر، ومثلث الأمر إمرة وسياسة واحكاما مشمولة ل «امرهم شورى بينهم» لانهم في غياب الوحي الرسالي فلا بد لهم من الشورى في كافة الأمور المشتبهة. كما يأتي على ضوء آية الشورى. ذلك رغم ما سبق قبل قليل من شوره معهم في مرة خطيرة مرة انشأت فتا في عضد الوحدة، إذ رأت مجموعة - من جراء الشورى ومخالفة رأيهم - أن تنسحب عن الحرب كلياً، وتحتمست أخرى للخروج، فكان من حق القيادة الرسالية أن تنبذ الشورى معهم عن بكرتها بعد المعركة، التي اعطت درساً كاملاً أن صالح الرأي - فقط - هو ما يراه الرسول صلى الله عليه وآله. ولكن الاسلام - وهو يُنشئ أمة خالدة ويعدها لقيادة البشرية - عليه أن يجعل مبدأ الشورى أصلاً يُرتكز عليه في كل شاردة وواردة، وكل خالجة وخارجة. وهذه الآية نص قاطع لا مردّ له أن الشورى مبدأ رئيسي- لا يقوم نظام الإسلام في قيادته الزمنية والروحية إلا عليها.

صحيح أن الرسول الملتقي عن الله ليس ليحتاج إلى شورايم، كما وأن «فإذا عزمتم فتوكل على الله» تنهي صالح الرأي فيها إليه نفسه صلى الله عليه وآله، ولكنّما الشورى من القائد قد تشير المقود تدريبا له كما قد تشير القائد إلى ما يغفل عنه، ومشاورة الرسول إياهم لا تعني إلاّ تدريبيهم وإيصالهم بالوحي الرسالي إلى صالح الأمر، «أما إن الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غيا»<sup>٢</sup> ف «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»<sup>٣</sup>. ذلك! فقد علم الله انه مابه اليهم من حاجة ولكن أراد ان يستن به من بعده فيكون «امرهم شورى

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ٦٤ .

<sup>٢</sup> . ( الدر المنتور ٢ : ٩٠ - اخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال: لما نزلت «وشاورهم في الأمر» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما . .

<sup>٣</sup> . ( المصدر اخرج الطبراني في الأوسط عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: . . .

بينهم» كما سنفصله على ضوء آية الشورى مشبعا بعد صفحات.

لقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله أن يشاورهم في الأمر - المختلف فيه - وهو يأتيه وحي السماء، لأنه أطيب لنفوسهم حيث تكبر عند مشاورته، بأنه يهتم بهم كأنهم شاركوه في رسالته.

كما ولم يؤمر هنا بمشاورة العابد من أمته، بل ومشاورة هؤلاء العصاة المجاهيل، مما يبرهن على مغزى تلك المشاورة أنها فقط لصالح الأمة تدريبا وتعرفا إلى هامة الأمور بإعمال العقل والتفكير، دون صالح الرسول صلى الله عليه وآله إلا بلاغا شيقا لرسالته حيث يعد أمته في عداد رسالته وأداتها.

ومما يبرهن على ذلك «وشاورهم» دون «تشاور وياهم» حيث الثاني تشاور وتفاعل بين جانبيين دون فضل لأحدهما على الآخر، ولكن «شاورهم» تجعل المشاور هو البادئ، لا حاجة منه إليهم - دونهم إليه - حيث العقلية الكاملة للرسول صلى الله عليه وآله قبل رسالته كانت أكمل منهم كلهم كما كانوا يعترفون، فضلا عما بعد رسالته، بل لحاجتهم إليه أن يتدربوا في غوامض الأمور كيف يتشاورون.

ثم «فإذا عزمتم» دون «عزم أكثرهم» دليل آخر على أصالته في أمر الشورى دونهم «فتوكل على الله» الذي أوحى إليك صائب الأمر، ولا تخف من يخالفك في الأمر، فإن أمره في إمر وهو يفصح نفسه بخلافه على صاحب الأمر كعبد الله بن ابي سلول حيث خالفه صلى الله عليه وآله في عزم الخروج عن المدينة للحرب، وانقطع بثلاث الجيش عن الخروج.

هنا «فتوكل على الله» لها أبعاد، منها إمضاء العزم بعد المشاورة بما عزمتم بوحى الله، دون أن تخاف أحدا خالفك في الأمر كما حصل في ابن ابي سلول.

ومنها ان لا دور للتوكل على الله إلا بعد تقديم كل المساعي في سبيل التعرف الى صالح الأمر وتحقيقه، تقدما فرديا وجماعيا، ومن ثم «فتوكل على الله».

ومنها ألا يتكل الانسان على ما اهتم وقدم، بل وعليه ان يتوكل على الله في أمضاء ما يُمضي - دون استقلال لنفسه ولا استغلال، بل هو توكل على الله فيما يسعى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».

ولقد كانت هذه رسالة زمن الرسول صلى الله عليه وآله والائمة من آل الرسول عليهم السلام، حيث كانوا يضعون الضائعين على الطريق الواضح على ضوء الشورى، مفيدين غير مستفيدين إلا تدريبا اريبا.<sup>١</sup>

وقد اشار ابن عباس على الامام علي عليه السلام ما لم يوافق رأيه فقال: لك أن تشير علي وأرى فان عصيتك فأطعني.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> . ( نور الثقلين ١ : ٤٠٥ في تفسير العياشي احمد بن محمد عن علي بن مهزيار قال: كتب إلي ابو جعفر عليهما السلام أن سل فلانا أن يشير علي ويتخير لنفسه فهو يعلم ما يجوز في بلده وكيف يعامل السلطين فان المشورة مباركة قال الله لنبيه في محكم كتابه «وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» فان كان ما يقول مما يجوز كنت أصوب رأيه وان كان غير ذلك رجوت ان اضعه على الطريق الواضح انشاء الله «وشاورهم في الأمر» قال: يعني الاستخارة.

<sup>٢</sup> . ( نهج البلاغة باب الحكم ٣٢١ عنه عليه السلام.

فما استشارته صلى الله عليه وآله أمته إلا كما استشاره الله تعالى في امته على حد قوله صلى الله عليه وآله: «ان ربي تبارك وتعالى استشارني في امتي»<sup>١</sup>.

هكذا تربي الأمة بالشورى بينهم وتدريب على حمل التبعة، لتعرف كيف تُصلح آراءها وتصحح أخطاءها، فالإسلام لا يريد من الأمة المسلمة ان تظل كالطفل والقاصر تحت الوصاية، فكما يأمر بمواصلة التعلم والتعقل، كذلك بالشورى بينهم في هامة الأمور وعامتها لصالح الأمة على مر الزمن، ومشاورة الرسول صلى الله عليه وآله إياهم تترك في نفوسهم حبا لهذه الرسالة السامية انه اعتبرهم كأنهم لهم شأن من الشأن في الأمر عند الله وعند رسوله وعند الناس، ثم ليختبر مدى عقولهم في صالحهم، ومن ثم إذا شاورتهم في الأمر فقد حملتهم على اجتهاد جماهيري في صالحهم فإذا أصابوا صدقتهم وفي ذلك بهجة لهم ونهجة في حياتهم العقلية الإسلامية، وان اخطأوا أرشدتهم الى صالح الأمر بما أوحى الله اليك.

وما أحلاه وأحناه عناية بأمرهم في شورى الأمر وهم العصاة، لكيلا يعتبروا انفسهم بعدُ خارجين عن نطاق الأمر، إجتذابا لهم أكثر واجتلابا إلى امر الشرعة الربانية دون مجانية وابتعاد عنها لانهم كانوا عصات.

و«الأمر» هنا في حقل المشاورة هو بطبيعة الحال ليس مما جاء في نص القرآن او السنة، انما هو الأمر الذي لا نص فيه، او فيه اختلاف وشبهة تعتريه كما و«امرهم» في «وامرهم شورى بينهم» ولكنه اوسع دائرة لمكان اختلاف الانظار في الاحكام غير الضرورية، فلتشملها الشورى.

فليأخذ القواد المسلمون، رويون وزمنيون، درسا نابغا من سنة الرسول صلى الله عليه وآله نابغا من منبع الوحي، فلا يستبدوا بأراءهم بسند الطاقات العلمية والعقلية، فضلا عن سيادة القوة الزمنية، وليحسبوا للامة الاسلامية الحساب الذي حوسب به الرسول صلى الله عليه وآله «وشاورهم في الأمر» فالمستبد برأيه مهما كان صائبا هو خائب حيث يخسر عطف الأمة واستصلاحها لمعرفة صالحها عن طالحها، ويخسر نضوج العقلية بينهم فهم كالطفل تحت الولاية في الأمر.

كلأ! وإن على القائد ان يقود المقود الى ما استأهله للقيادة، حتى تسود مختلف القابليات والفاعليات في الامة، ف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» والراعي بحاجة الى صائب الرأي فيمن يراعه. «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>٢</sup>.

«ان ينصركم الله» لا تختص بميادين النضال الخارجية بل وبأحرى بميادين النضال النفسية، فما لم تكن النصر الربانية لم يوفق العبد في أية حقل من الحقول الحيوية الايمانية، فردية كانت او جماعية،

<sup>١</sup> . ( كما في حم ٢٩٢/٥ باخراج المعجم المفهرس عن الفاظ الحديث النبوي، وفيه عن النسائي قسامة (٤٠) ان النبي استشار الناس، وفي حم ٣: ٢٣٤ - استشارة رسول الله صلى الله عليه وآله في الاساري يوم بدر.

<sup>٢</sup> . ( الانعام ٦: ١٦٠.

و«إن ينصركم الله فلا غالب لكم» يتغلب عليكم، فكل طاقة مبدولة امام النصره الربانية مغلوبه مخذولة ومردولة.

ف «إذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان فعله وفقا لأمر الله عز وجل وسمي العبد به موفقا، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فيتركها كان تركه بتوفيق الله تعالى ذكره، ومتى خلى بينه وبين المعصية فلم يخل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه»<sup>١</sup>.

ثم «فلا غالب» إستغراق في سلب أي غالب من دون الله، سواءً أكانت النفس الأماره بالسوء ام سائر شياطين الجن والانس، حيث تنتظم «لا غالب» كل غلبه من اي غالب من بعد الله: «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير»<sup>٢</sup>... وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده»<sup>٣</sup>.

وترى ما هو دور «لكم» بعد سلبية مطلقة لأي غَلَب؟ والغَلَب المحظور هو «عليكم» لا «لكم»؟ «الغلبة» هي متعدية بنفسها دون أية حاجة لها إلى معد: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله»<sup>٤</sup> - «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين»<sup>٥</sup> «غلبت الروم»<sup>٦</sup>. إذا فتلحيقها بجار لا يعني التعدية، سواء في ذلك «على - او - ل - او - في» فانها لإفادة أخرى. تأكيدا لتحليق الغلبة كما في «على»: «والله غالب على امره»<sup>٧</sup> ام لاختصاص النفي بخاص كما في «فلا

<sup>١</sup> .( نور الثقلين ١ : ٤٠٥ في كتاب التوحيد باسناده إلى عبدالله بن الفضل الهاشمي عن ابي عبدالله عليه السلام حديث طويل يقول فيه فقلت قوله عز وجل «وما توفيقى الا بالله» وقوله عز وجل «ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده» فقال: ...

<sup>٢</sup> .( الانعام ٦ : ١٧ .

<sup>٣</sup> .( يونس ١٠ : ١٠٧ .

<sup>٤</sup> .( البقرة ٢ : ٢٤٩ .

<sup>٥</sup> .( الانفال ٨ : ٦٥ .

<sup>٦</sup> .( الروم ٣٠ : ٢ .

<sup>٧</sup> .( يوسف ١٢ : ٢١ .

غالب لكم» حيث اللام تعني الإختصاص لسلب الغلبة بذلك المورد الخاص، صدقا كما هنا وكذبا كما «إذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترآءت الفتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم...»<sup>١</sup>  
 وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ.<sup>٢</sup>  
 بعد الإيمان بالله فالتوكل على الله واجتناب كبائر الإثم والفواحش والغفران إذا ما غضبوا، بعد هذه الخطوات الخمس إلى الله يأتي دور الإستجابة لربهم و.. لأنهم لم يستجيبوا لربهم وحتى الآن؟ إذا فما هذا الإيمان بإيمان بما فيه جانبان إيجابيان وسلبيات ثلاث «آمنوا.. يتوكلون - يجتنبون.. وإذا ما غضبوا..؟!».

إن الإستجابة للرب هنا هي المكيئة المتينة التي لا عوج لها، فكثير هؤلاء الذين يؤمنون وعلى ربهم يتوكلون، وكبائر الإثم والفواحش يجتنبون، وإذا ما غضبوا هم يغفرون، ولكنهم بعد لم يستجيبوا بكيانهم ككل لربهم، إلا أن يستجيبوا حقا تداوما لما استجابوا: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتفقوا أجرٌ عظيم»<sup>٣</sup>. للذين استجابوا لربهم الحسنى..<sup>٤</sup> استجابة لا تقف لحد العقيدة ومظاهر من الأعمال الإيمانية وإنما التي تحيي: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».

هنا على محور الإستجابة لربهم يأتي دور إقام الصلاة أولاً كصلة عريقة بين المستجيب وربه، ثم أمر جماعي لصالح المسلمين: «وأمرهم شورى بينهم» حفاظا على كيانهم، ومن ثم «مما رزقناهم ينفقون» في كلتا الصلتين: الإلهية والبشرية، تكريسا لكافة الإمكانيات.  
 وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..

آية لا ثانية لها في القرآن كله إلا ما تأمر الرسول أن يشاورهم في الأمر: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

<sup>١</sup> . ( الانفال ٨ : ٤٨ .

<sup>٢</sup> . ( الشورى ٤٢ : ٣٨ .

<sup>٣</sup> . ( آل عمران ٣ : ١٧٢ .

<sup>٤</sup> . ( الرعد ١٣ : ١٨ .

<sup>٥</sup> . ( الانفال ٨ : ٢٤ .

عَزَمَتْ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ<sup>١</sup> فهذه في شورى الرسول معهم وتلك في شوراها فيما بينهم وأين شورى من شورى؟! ليست مشاورة الرسول إياهم في الأمر إلا تشجيعا لهم وتدريباً لحاجتهم إليه كمعلم يشاور، لا حاجة منه إليهم فإنه كرسولٍ وحىٍ كله فكيف يشاور غيره فيتبعهم؟ ونص الآية «فإذا عزمتم» يرجع الأمر إليه في النهاية كما البداية<sup>٢</sup> وكما قال صلى الله عليه وآله حين نزلت هذه

<sup>١</sup> . (آل عمران ٣: ١٥٩).

<sup>٢</sup> . (نور الثقلين ١: ٤٥٥ ح ٤١٤ في تفسير العياشي احمد بن محمد عن علي بن مهزيار قال: كتب الي ابو جعفر عليه السلام ان سل فلانا ان يشير علي ويتخير لنفسه فهو يعلم ما يجوز في بلده وكيف يعامل السلاطين فان المشورة مباركة قال الله لنبية في محكم كتابه «.. وشاورهم في الأمر..» فان كان ما يقول مما يجوز كنت أصوب رأيه وان كان غير ذلك رجوت ان اضعه على الطريق الواضح ان شاء الله «وشاورهم في الأمر» يعني الإستشارة. وفي النسائي قسامة ٤٠ «إن النبي استشار الناس» وفي حم ٣ - ٢٤٣ «استشار رسول الله صلى الله عليه وآله في الأساري يوم بدر» أقول: ولا تعني استشارته إياهم إلا ما تعنيه استشارة الله إياه صلى الله عليه وآله كما في حم ٣٩٣/٥: «ان ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي». وفي سنن الترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله إذا كانت امراءكم خياركم واغنياءكم سمحاءكم واموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير من بطنها. وفي الوسائل ٨: ٢٢٤ عنه صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا، وفيه عنه صلى الله عليه وآله لما سئل عن الحزم ما هو؟ قال صلى الله عليه وآله مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم. وفيه ٨: ٤٠٩ عنه صلى الله عليه وآله لا مظاهره أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير.

وفي النهج الخطبة ٢١٤ عن الإمام علي عليه السلام فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل. وفي الوسائل ٨: ٤٢٩ في وصيته عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية: اضم آراء الرجال بعضها الى بعض ثم اختر اقربها من الصواب وابعدها من الارتباب قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء. وعنه عليه السلام واستشر العاقل من الرجال الورع فإنه لا يأمر إلا بخير واياك والخلاف فان في مخالفة الورع العاقل مفسده في الدين والدنيا.

وعن الامام زين العابدين في الحقوق الخمسين: واما حق المستشار فان حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة واشرت عليه بما تعلم انك لو كنت مكانه عملت به وذلك ليكن منك في رحمة ولين فان اللين يؤنس الوحشة وان الغلظة يوحش موضع الانس وان لم يحضرك له رأي عرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه وارشدته اليه فكنت تناله خيرا ولم تدخر نصحا ولا حول ولا قوة الا بالله واما حق المشير عليك فلا تتهمه فيما وافقك عليه من رأيه اذا اشار عليك فانما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم فكن في رأيه بالخيار اذ اتهمت رأيه فاما تهمته فلا تجوز لك اذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن رأيه وحسن

الآية: «أما إن الله ورسوله الغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي من استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً»<sup>١</sup>.  
 إن الرسول يحكم بين الناس بما أراه الله: «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً»<sup>٢</sup> ولا يعني الحكم بينهم - فقط - أحكام العبادات والعلاقات الشخصية وإن كان يشملها، ولكن «بين الناس» تلمح أو تصرح بالأحكام الجماعية، سياسية أمّاداً، إذا فاحكامه بين الناس كلها مما أراه الله، فهل هو بعدُ بحاجة إلى ما أراه الناس؟.  
 كل ما يقوله الرسول أو يفعله وحي يوحى «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى»<sup>٣</sup> وإذا كانت صناعة فلك نوح بأعين الوحي وفيها نجاة الأبدان، «فاوحينا إليه أن يصنع الفلك بأعيننا ووحينا، أفليست إذا صناعة الأمة الإسلامية بقيادة حكيمة بأعين الوحي وفيها نجاة الأبدان والأرواح»<sup>٤</sup>.  
 وكيف يتبع الرسول رأى الشورى تاركاً رأى الوحي «وإن أتبع إلا ما يوحى إلي..»<sup>٥</sup> «قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»<sup>٦</sup>.  
 ثم وكيف يكون للمؤمنين التقدم بين يدي الله ورسوله. يا أيها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يدي الله ورسوله<sup>٧</sup> «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون»<sup>٨</sup> «وما كان

---

وجه مشورته فاذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من اخيك بالشكر والارصاد بالمكافأة في مثلها ان فرع اليك ولا قوة الا بالله، الوسائل ٨: ٤٢٦ وعنه صلى الله عليه وآله ما يستغني رجل من مشورة ومن اراد امرا فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الامور وفي النهج باب الحكم الرقم ٣٢١ قال وقد اشار ابن عباس على الامام علي ما لم يوافق رأيه: لك ان تشير علي وأرى فإن عصيتك فاطعني.

<sup>١</sup> . ( كتاب الشورى بين النظرية والتطبيق ص ٣٠ .

<sup>٢</sup> . ( النساء ٤ : ١٠٥ .

<sup>٣</sup> . ( النجم ٥٣ : ٤ .

<sup>٤</sup> . ( الاسراء ١٧ : ٨٦ .

<sup>٥</sup> . ( يونس ١٠ : ١٥ .

<sup>٦</sup> . ( الاعراف ٧ : ٢٠٣ .

<sup>٧</sup> . ( الحجرات ٤٩ : ١ .

لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.<sup>٢</sup>

ثم وما هي المصلحة في إرجاع أمر المسلمين إلى الشورى وبينهم الرسول والوحي متواتر يقضي كل حاجة، فلماذا يكلف حامل الوحي أن يستوحي المؤمنين في الأمر، هل في أمر الرسالة؟ وهو وحي يوحى! أم أمر المرسل إليهم؟ وكيفهم أمر الرسالة! أو أمر الأحكام ف «إن الحكم إلا لله»<sup>٣</sup> أم أمر القيادة السياسية وهو مما أراه الله!.

فلا شورى يتخذ الرسول رأيها وإنما تشير الشورى لمن بعد الرسول والوحي منقطع كما يروى عن علي عليه السلام: قلت يا رسول الله الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يُسمع منك فيه شيء؟ قال: اجمعوا له العابد من أمتيوا جعلوه بينكم شورى ولا تقضوه برأي واحد فنهنا جمع للعابد من الأمة، أن يجعلوا أمرهم شورى بينهم، شورى جماهيرية تجمع العابد من أمة الإسلام لكي يتشاوروا في المشكوك حكمه، ولا يعني العابد القشري المتقشف، وإنما الذي يعيش عبادة الله وطاعته، ويتبنّى شرعة الله في حياته علمياً وعقائدياً وأخلاقياً وعملياً أم ماذا.

فليس كل مسلم أهلاً للشورى في الأحكام شرعية أو سياسية، وإنما الواجب على الجماعة المسلمة انتخاب النخبة العابدة ولكي يتشاوروا فيما يجتارون من أمر الأمة.

ثم «وأمرهم» يُبحث عنها في أمرين: «هم» و«أمرهم» أما «هم»، فهم المؤمنون أجمع بسند الإيمان، وشورى بينهم هو أوضح سبل الإيمان، فلا يعني إلا أمر الإيمان.

وأما «أمرهم» فهل تعني شيئهم فإنه من معانيه؟ ولا محصل له شيئاً أياً كان! أم «أمرهم» وجه نهيهم؟ وليس إلا لأولي الأمر، ولا يختص أمرهم بالأمر فإنه يعم النهي والأمر! وليس فيه شورى.

أم «أمرهم» في ولاية الأمر؟ وهو تضييق لأمرهم دون دليل، مهما كان من أمرهم وأهمه! أم «أمرهم» هو فعلهم في جانحة وجارحة، شخصية أم جماعية؟ وليس كل فعلهم بحاجة إلى شورى

<sup>١</sup> . (القصص ٢٨ : ٦٧).

<sup>٢</sup> . (المؤمنون ٢٣ : ٣٦).

<sup>٣</sup> . (الأنعام ٦ : ٥٧).

<sup>٤</sup> . (الدر المنثور ٦ : ١٠ - اخرج الخطيب في رواة مالك عن علي عليه السلام قال: ... اقول: هنا الرسول ناظر الى مجموعة المسلمين حيث ليس بينهم واحد من المعصومين، فليس يشمل واجب الشورى بين العابدين من أمة الإسلام زمن الأئمة المعصومين كما لا يشمل زمن الرسول صلى الله عليه وآله.



بينهم! فمنه الواضح الذي لا غبار عليه، ومنه ما يتضح بتأمل دون حاجة إلى شورى، ومنه ما لن يتضح على أية حال، ولا مجال في هذه الثلاث للشورى.

ثم ومنه الغامض المختلّف فيه بينهم، من أمور شخصية أم جماعية، سياسية، وسواها، فلأن المؤمن غير المعصوم - أيا كان - ليس مطلقا في العلم والعرفان فليستعِن بالشورى الصالحة، ومن أهم الأمور الإيمانية انتخاب النخبة الصالحة لقيادة الأمة في كل مجالاتها، ومنها أحكام القيادة المختلف فيها، سواءً السياسية منها والأحكامية، فإنهما من أصدق مصاديق «أمرهم» حيث يتطلبان «شورى بينهم» فلا أمر لهم هكذا إلاّ شورى بينهم، كما هو قضية الحصر في «وأمرهم شورى بينهم» فالأمر الذي يمضي دون شورى ليس الشورى فيه إلاّ إمرا وغيّا!

و«الشورى» من شار العسل: إستخرجه من الوقبة واجتناه، وأشرني على العسل أعني، والمشور: عود يكون مع مستشار العسل، فحُصالة الشورى الإسلامية هي العُسالة المستخرجة من وقبة آراء النخبة الصالحة.

وترى الشورى مصدر الشور، مثل الرجعى؟ أو هو الأمر الذي يُتشار فيه إسما لمادة الشور؟ أم هي فُعل من الأشور صفة للمراجعة أو الحوار، ف «أمرهم - حوار - شورى» يستشيرون بعضُهم البعض ممن له رأي في حوار متواصل شورى كأفضل وأحوط ما يكون، ولكي يتّبع من الأقوال أحسنها: فبشر عباد\* الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. إذا فأمرهم لا يتخطى «شورى بينهم» أن يستبد أحدهم برهانه، أو يستقل برهانه، وإمّا الشورى والشورى فقط هي سبيل المؤمنين في معتركات الآراء الحيوية.

ترى وما هو أمرهم الشورى؟ هل هي الأمور الشخصية، أو الجماعية، أم هما؟ قد تعنيها «أمرهم» حيث تعني الجميع والمجموع، وهي لمكان «هم.. بينهم» نص في المجموع ظاهر في الجميع.

وما هو «أمرهم» حيث يتطلّب إيمانهم أن يكون شورى بينهم؟ إنه ولاية أمر السياسة والديانة! حيث الأمر منه الإمارة، ومنه فعلهم، وطبعا لا كل فعلهم وإمّا المشكوك صوابه ونجاحه، يزيحون شكه بشورى بينهم حيث يتبناها العلم والإيمان على ضوء القرآن والسنة، فليس كل أمرهم شورى، فمنه ضروري الصواب لا يحتاج إلى شورى، وإمّا أمرهم المشكوك صوابه بعد الإياس عن الحصول على صوابه من مصادره، هذا الأمر شورى بينهم.

فالشورى إذا سبيل المؤمنين ومن أفضلها فيما لا سبيل إليه قاطعا لتبين الحق، لا سيما في الأمور الجماعية الإسلامية إلاّ بالشورى الصالحة، سواء أكان أمر الولاية الإسلامية من المرجعية الدينية والسياسية ومن سائر الأمور، ومن أهمها أمر الفتوى في معترك آراء الفقهاء، فعليهم إزالة المفاصلات أو تقليها بالشورى بين الرعيلى الأعلى منهم، ولكي يُحصل على الوحدة بينهم، أو يؤخذ برأى الأكثر منهم، فاتّباعه هو اتباع الأحسن.

هذا النص - على مكيتة - يتبنى حياتا جماعية متراسة في دولة كريمة إسلامية تدير شؤونها الشورات الصالحة بين من لهم آراء صالحة، لكل حقل أهلُه ولكل أهل حقله، أن يجعلوا أمرهم في حوار بالتى

١ . ( الزمر ٣٩ : ١٨ .

هي أحسن لكي يستخرجوا رأياً صائباً ثاقباً ليس فيه خطأ أو يقل.  
ولكي يتأدبوا بأدب الشورى ويتدبروا فيها يؤمر الرسول صلى الله عليه وآله على عصمته «وشاورهم في الأمر»  
تدرياً لهم فيما عليهم كسبيل دائبة لا حَوْلَ عنها والرسول فيهم، فكيف إذا غاب هو وذووه  
المعصومون عنهم، فهم إذا بأمس الحاجة إلى الشورى.  
والروايات القائلة إن الرسول صلى الله عليه وآله شاورهم في بعض الأمور فترك رأيه إلى آراء الاكثية أمأهيه، إنها  
مخالفة لعقلية الوحي الحافلة لكل المصالح الجماهيرية، الكافلة لحاجيات الأمة ومطالبهم كما  
تخالف نصوصاً من الكتاب والسنة.

و«امرهم شورى بينهم» تصبغ الحياة الإسلامية بهذه الصبغة المتكاملة المتكافلة لصالح المسلمين،  
كطابع مبتكر ليس له مثل، حيث المشاركون في الشورى ليسوا في كل أمر كل من يشهد الشهادتين،  
وإنما «العابد من أمتي» على حدّ تعبير الرسول صلى الله عليه وآله لكي يشير فيما يستشار بما عرفه من عقلية  
إسلامية بوحى الله: «لتحكم بينهم بما أراك الله».

فالشورى طابع ذاتي للجماعة المؤمنة، وسمة مميزة لهم، وسبيل إيماني يسلكونها في حياتهم «ومن  
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت  
مصيراً»<sup>١</sup>.

ليس يعني «وأمرهم شورى بينهم» ألا أمر لهم ولا شغل إلا شورى، وإنما الأمر الذي فيه يتحرون،  
ويتخرون لصوابه بعد قصور العقلية الفردية ولا سيما في الأمور الجماعية، يتخرونه «شورى بينهم»  
استخراجاً لصالح الرأي من وقبة الآراء، كما يُستخرج العسل من وقبته فيصبح خالصاً دون خليط،  
كذلك الأمر في الشورى الصالحة.

والشورى في أمور المسلمين درجات، شورى لصالح الجماعة المسلمة، وللدولة الإسلامية، وشورى لصالح  
الأفراد، وتلك ممتازة عن هذه وأهم منها أهمية الجماعة على الفرد، وفي القسمين لا شورى في  
الضروريات المتفق عليها، وإنما فيما تختلف فيه الفتيا لاختلاف الإستنباطات عن أدلتها، أحكاماً شرعية  
أم سياسة، أصلية أم في شاكلة تطبيقها، فليس الشكل الذي تتم به الشورى مصوباً في قوالب حديدية  
لا تتغير، وإنما يُترك للصورة الملائمة لكل زمان وبيئة، كما النظم الإسلامية كلها ليست أشكالاً جامدة.  
في الشورآت الفردية إنما يستشار المؤمن<sup>٢</sup> الأخصائي فيما يستشار، وفي الجماعة إنما يتشاور الجماعة  
المعينة العارفة بما يُشاور فيه، ثم يؤخذ بالأكثر رأياً فإنه أحسن قولاً، ولا تعني الاكثية في الكمية هنا  
إلا دعماً للكثرة الكيفية.

فللشورى ضوابط عدة تجمعها «العابد من أمتي» كما في حديث الرسول صلى الله عليه وآله حيث يتبنّى طاعة

<sup>١</sup> . (النساء ٤ : ١١٥).

<sup>٢</sup> . (في د - ادب ١١٤ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: المستشار مؤتمن وفي المجمع روي عنه صلى الله عليه وآله: ما من  
رجل يشاور أحداً إلا هدي الى الرشده (٥ : ٥٨٤ نور الثقيلين).

الله وعبادته في الشورى، أن تكون على حُبرة وعقلية وعلم واطلاع وأمانة واضطلاع<sup>١</sup> ف «لا ظهير كالمشاورة»<sup>٢</sup> إذا، كما أنها تكسر الظهر إذا لم تتوفر فيها شروطها. وإذا كانت المشورة في أمور شخصية بحاجة إلى هذه الضوابط، ففي الأمور الجماعية أحق وأحرى. فالشورى في الفُتيا الأحكامية تقتضي الرعيلى الأعلى من أهل الفتوى حتى يشاوروا في جد واجتهاد وقوة وسداد للحصول على رأي واحد فأحسن، أو أكثرية فحسن، فاتباعها إذا إتباع للقول الأحسن، فلا يصلح إتباع رأي واحد وإن كان أفضلهم. كما الشورى في الفُتيا السياسية تتطلب ذلك الرعيلى من أهلها على ضوء الكتاب والسنة، وهم نواب المجلس النيابي للشورى الإسلامية.

وبما أن الزمالة بين الدين والسياسة عريقة جوهرية أم هو هي وهي هو، فعلى الرعيلى الأول أن يكونوا ساسة وإن لم يصبحوا بتلك المثابة، وإن كان الإخصائيون في السياسة الإسلامية لهم الأولوية من الأخصائيين في الفُتيا الأحكامية، فيحكم - إذا - الفقهاء فقهيًا والسياسة سياسيًا على رعاية الفقهاء الأحكاميين ف «العلماء حكام على الملوك والملوك حكام على الناس» وكما نرى في طالوت إذ بعثه الله ملكا على بني اسرائيل لقيادة الحرب على رعاية نبي لهم. ترى ومن ذا الذي يعرفهم فيعرفهم للجماعة المسلمة، من أولاء وهؤلاء حيث يجمعها «العابد من أمتي»؟ طبعا إنهم العارفون من المسلمين في كل من الحقلين «اجمعوا له العابد من أمتي» وكيف يجمعون؟ طبعا بالشورى بينهم «واجعلوه»: هذا الجمع «بينكم شورى» والمخاطبون - بطبيعة الحال - هم العارفون ميزانية العلم والتقوى في الرعيلى على اختلاف مراتبهم. إن معرفة التقوى السياسية والتقى السياسي لا تتطلب أكثر من لمس للسياسة الإسلامية وإخلاص

<sup>١</sup> . وفي الدر المنثور ٦ : ١٠ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اراد امرا فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الامور وقال سليمان بن داود عليه السلام لابنه يا بني! عليك بخشية الله فانها اعانة كل شيء يا بني لا تقطع امرا حتى توامر مرشدا فانك اذا فعلت ذلك رشدت عليه يا بني عليك بالأول فان الاخير لا يعدله. وفي سفينة البحار ٧١٨ عن الصادق عليه السلام: لا تستشر السفلة في امرك واياك والخلاف فان خلاف الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم وعن الصادق عليه السلام ما يمنع احدكم اذا ورد عليه ما لا قبل له به ان يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع وقال: ان المشورة لا تكون إلا بحدودها فمن عُرف بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشار اكثر من منفعتها له فاولها أن يكون الذي يشاوره عاقلاً ثانيها ان يكون حرا متدينا ثالثها ان يكون صديقا مواخيا والرابعة ان تُطلع على شرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يستر ذلك ويكنمه فانه اذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته واذا كان حرا متدينا جهد نفسه في النصيحة لك، واذا كان صديقا مواخيا كنم شرك اذا أطلعته عليه واذا أطلعته على شرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة.

<sup>٢</sup> . نهج البلاغة ح ٥٤ وفي ح ١١٣ لا ظهير اوثق من المشاورة.

إيماني ممن ينتخبونه، فنواب المسلمين في مجلس الشورى الإسلامية هم نخبة سياسة إسلامية، يجعل المسلمون ككل أمرهم شورى بينهم، ثم هم يجعلون أمور المسلمين شورى بينهم. ولكن معرفة التقوى العلمية بحاجة إلى مراحل من علم الدين يميز بها الغث عن السمين، فالرعيل الأعلى من أهل الفتوى هم نخبة ينتجها أهلها أم أهل العلم أجمع. هذان من أهم الأمور الإسلامية التي يجب أن تحصل بالشورى الصالحة، حيث يتبنيان الخلافة الإسلامية في حقلي الفتوى والسياسة فتديران أمور الدولة الإسلامية وتدبرانها. ثم المسؤوليات الجماعية الأخرى في هذه الدولة المباركة أيضا تكون «شورى بينهم» لكل حقل أهل، فوزير الصحة لا ينتخبه إلا الأطباء المسلمون العارفون بشؤون الصحة ومتطلبات الوزارة فيها، كما وزير التربية والمالية والدفاع أم من ذا؟ فلكل شورى خاصة تصلح لانتخاب نخبته للحصول على بُلغتها دون هرج ولامرج لا يُدرى أي من أين. ولماذا الشورى والشورى فقط تتبني أمرهم، وفيهم الأعظم من فقهاءهم وهم خلفاء الرسول والأئمة من عترته عليهم السلام، فبايديهم إذا أزمّة الأمور؟

هناك في حل الأمور أبعاد أربعة: ١ - الوحي الرسالي، وهو مختص بالرسول ﷺ، ٢ - العلم الرسالي وهو خاص بأئمة أهل البيت عليهم السلام، ٣ - وحي الشورى في الرعيل الأعلى من الخلفاء العامين للرسول والأئمة، ٤ - الفتاوى الخاصة لكل من هؤلاء.

نحن نعيش زمن انقطاع الوحي وخلافة العصمة، فهل نأخذ بفتوى واحد من ذلك الرعيل: الأعلم الأورع الأنقى الأشجع الأبصر أم من ذا؟ والتعرّف إلى شخصية هكذا غير يسير، وقد يكون من المستحيل، أولا تجتمع عليها الآراء، وبذلك تنفصم عرى الوحدة الإسلامية، وإذا عرفت وتوحدت الكلمة في اتباعها، فلا يخلوا هذا العبقرى من أخطاء، وعلينا أن نزيلها أو نقللها بالشورى، حيث الطاقات المتداخلة المتشاوره أقرب إلى الصواب، وهي أحسن قولاً، كما وتوحد القيادة الروحية السياسية في أهل الشورى، حيث البعد الثاني فيها هو الأخذ بالأكثر، فعلى المسلمين أجمع أتباعه، وإن كانت القلة من أهلها لا يتبعونها إلا في الأحكام الجماعية السياسية أم ماذا؟

فكل أمر ينزل بالمسلمين بعد زمن الوحي وزمن حملة الوحي، ما لم ينزل فيه قرآن في نصه، ولم يُسمع من الرسول بخصوصه، فليجمع المسلمون العابد من أمة الإسلام بشورى عامة، حتى يحلّ العباد المنتخبون مشكلة هذا الأمر بـ «شورى بينهم»: حيث تقرّبهم إلى الحق زلفى، وتنبؤ مناب عقلية العصمة شيئا كثيرا.

ولان ضمير الجمع في «شورى بينهم» راجع إلى «الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة... فإنما الشورى الصالحة لأمرهم بين من يحمل هذه المواصفات الخمس، وهم النخبة الصالحة من شورى الأمة الصالحة، ثم وهؤلاء الأكارم ينتخبون فيما بينهم الرعيل الأعلى من فقهاء الأمة، الأحسن رأيا وقولاً حيث هم افضل فقها وعدلاً وفضلاً. ثم وهؤلاء ينتخبون فيما بينهم رئيس الشورى وقائد الأمة، شورى ثالثة هي سلاله الآخرين، ثم هناك الشورات المتواصلة على رعاية القائد المنتخب لتقرير مسير الأمة ومصيرها أحكاميا وسياسيا دون أن يستبد القائد برهان القيادة لفقدان العصمة. ولا موقع للأكثرية في ميزان الحق، إلا الأكثرية بين الأقلية الصالحة.

فإن «أكثر الناس لا يعلمون»<sup>١</sup> و«لا يشكرون»<sup>٢</sup> و«لا يؤمنون»<sup>٣</sup> و«لا يعقلون»<sup>٤</sup> و«يجهلون»<sup>٥</sup> وما يتبع أكثرهم إلا ظناً<sup>٦</sup> وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون<sup>٧</sup> وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين<sup>٨</sup> ولكن أكثرهم للحق كارهون<sup>٩</sup> فأبى أكثر الناس إلا كفوراً<sup>١٠</sup> وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله<sup>١١</sup> وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين<sup>١٢</sup>.  
إذا فالشورى الصالحة ليست إلا بين الأقلية الصالحة العاملة الشاكرة العاقلة المؤمنة المتبعة علما العادلة المحبة للحق الهادية المتعدهة، ويجمعها الفقيه الزاهد البصير الخبير.

<sup>١</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٨٧ .

<sup>٢</sup> . ( البقرة ٢ : ٢٤٣ .

<sup>٣</sup> . ( هود ١١ : ١٧ .

<sup>٤</sup> . ( الانعام ٦ : ٣٧ .

<sup>٥</sup> . ( الانعام ٦ : ١١١ .

<sup>٦</sup> . ( يونس ١٠ : ٣٦ .

<sup>٧</sup> . ( يوسف ١٢ : ١٠٦ .

<sup>٨</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٠٢ .

<sup>٩</sup> . ( الزخرف ٤٣ : ٨٧ .

<sup>١٠</sup> . ( الاسراء ١٧ : ٨٩ .

<sup>١١</sup> . ( الانعام ٦ : ١١٦ .

<sup>١٢</sup> . ( الاعراف ٧ : ١٠٢ .

«ومما رزقناهم ينفقون» إنفاقاً في هذه السبيل وكل سبل الله، إنفاقاً لعقلياتهم وتجربياتهم، أفكارهم وعلومهم، أموالهم وكل ما يملكون من طاقات ذاتية أو منفصلة، ولكي يحلّوا مشاكلهم التي لا حَوْلَ عنها ولا مرجعٍ معصوما لها.

إن مكية آية الشورى - ولم تكن هناك دولة إسلامية ولم تخلد بخلد أحد الا الرسول صلى الله عليه وآله - وان المسلمين يعيشون الرسول. وحَصُرَ أمرهم في «شورى بينهم» - تدلنا على مدى أهمية الشورى، حيث تعم الحيوية الإسلامية في كل عصر ومصر، ومهما كان في غنى عنها زمن قيادة العصمة، ولكن عليهم التدريب فيها فقد نرى الشورى في شاكلتها ونتاجها في أبعاد أربعة.

١ - يستشير المختار ذا رأي صائب لكي يحصل على الرأي المختار دون خطأٍ كما يُستشار المعصوم،<sup>١</sup> او قليل الخطاء كما يستشار غيره.

٢ - يشاور المعصوم غيره ليدله على خطائه ويرشده الى صوابه، ويبتليه كيف يفكر وكيف يحصل على الحق، ولكي تصبح الشورى سنة دائمة للمسلمين، وعقلية منفصلة لهم تساعد عقلياتهم الذاتية، ولكي تنبع فكرتهم فتنبع بالتقاء الآراء واصطكاكها، كما أَمَرَ الرسول صلى الله عليه وآله: «وشاورهم في الأمر» ولا رأيٍ مطاعاً فيها إلا رأيه وعزمه: «فإذا عزم فتوكل على الله».

٣ - يتشاور من هم على سواء أو كاد، ولكي تجتمع عقلياتهم على ركيزة واحدة، إزالة لأخطاء وخرافات، فتوحيداً للرأي أم تقريبا للآراء، وأخيراً إذا بقي اختلاف أخذاً بأكثرية الآراء، حين تدل على أقربية الرأي إلى الحق، فلا مكانة للعِدَّة إلا إذا دلت على عِدَّةٍ سالحة، ولا نفضل الأكثر عِدَّةً هنا إلا لدلالته على الأكثر عِدَّةً، فإذا تساوى الفريقان عِدَّة نفضل الأقوى رأياً وهو الذي فيه الأقوى رأياً، وحتى إذا اختلفا عِدَّةً قد نفضل الأقل لو كان فيه الأعلَم الأعقل، وهكذا تُتابع القول الأحسن، وفي الأكثر هو مع الأكثر حيث المتشاورون أضراب.

٤ - يتشاور من ليسوا على سواء، ليفيد الأقوى مَن دونه كما ويستفيد ممن دونه. والشورى فيما سوى الأولى بحاجة إلى تحضير قبلها، أن يفكر أهلها قبلها فيما يتشاورون، ثم بالشورى يتفاوضون ويستتجدون.

وحصالة البحث في حقل الشورى أنها سبيل دائمة هي لزام الإيمان فيما لم يتبين رشده بوحى أم سواه، من أحكام شرعية أم سياسية، ومن انتخاب النخبة في كل حقل، يُتَبَّنَى في كل ذلك العقلية الإسلامية في كاملها بكافة الجهات، ولكي يحصل بالشورآت الإسلامية ركامات من العقليات المجتنيات من وقباتها، من عسيلات الآراء حيث تستخلص من مزيجات لا تصلح.

---

<sup>١</sup> .( تفسير البرهان ٤ : ١٢٨ علي بن ابراهيم القمي قال قال في اقامة الإمام «واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم» اي يقبلون ما امروا به ويشاورون الإمام فيما يحتاجون اليه في امر دينهم كما قال الله «ولو رده الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم».

اقول: «بينهم» لو خص بشورى الإمام كان حق التعبير وامرهم ان يشاوروا.. ولكنها لشمولها كافة الشورآت الأربع فالجامع بينها هو «بينهم».

فلا شورى في انتخاب الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة بعد الرسول حيث الإنتصاب بوحى الله يغني عن الإنتخاب، ولا في الأحكام الضرورية شرعية وسياسية، حيث الشورى ضرورة عند الإضطراب، وإنما الشورى في انتخاب النخبة التي تتشاور فيما تحتار فيه الأمة الإسلامية وهم «العابد من أمتي» ثم هم يتشاورون فيما يصلح الأمة ويخرجها عن الحيرة، حيث يوضح الحق جماهيريا ويوحد كلمة المسلمين على القول الأحسن، دون تفرّد واستبداد.

فالشورى تنوب مناب ما نخسره من غياب العصمة، فإنها إجتهد متراصّ دائب يجعل من المسلمين مفكرين متفوضين في أفكارهم، دون أن يظنوا أجسادا بلا ارواح لا يفكرون ولا يتدبرون. فكما العصمة في القيادة صالحة ضرورية لتبني أساس الإسلام، كذلك الشورى النائبة عن العصمة حيث تسد عن كل نائبة، هي أيضا صالحة لاستمرار الحيوية البنائة الإسلامية، غير الجامدة. فحين ما نخسر قيادة العصمة زمن الغيبة، نريح بديلها إستمرارية عصمة الشورى حين تعصمنا عن التمزق والإنزلاق، وتقليلاً من أخطاء القيادة غير المعصومة، ثم لا يضر- الأمة الإسلامية أخطاءها القليلة وجاه عوائدها الكثيرة، ومن أهمها صراع العقليات الإسلامية وسباقها على ضوء الكتاب والسنة والسياسة حيث تصنع أمة صارمة متكاملة غير جامدة.

وكما نرى القرآن المبين - على بيانه النور المتين - يُحَرِّضنا على التدبر في آياته، ولكي نستنبط من خفياته، سبرا لأغواره، ولكي نحصل بكل جد واجتهاد، على ما أسرّه، دون أن يوضح لنا كل شيء وضح النهار، كيلا تبطل عقولنا، أو تجمد أفكارنا، بل نكون دائبين في التدبر والتفكير، ولكي يصنع أمة لها حيويتها البنائة، في استقلاليتها وقوامتها، قائمة على سوقها على ضوء القرآن والسنة المحمدية صلى الله عليه وآله. فعصمة القرآن ثم السنة القاطعة تعصم المسلمين عن التفلّت والإنحراف، إذا عاشوا القرآن في شورى دائبة من النخبة العابدة، دوّما استبداد واستقلال، فاستغلال الكتلة المؤمنة، وإنما الشورى والشورى فقط تكفل تلك الحيوية المجيدة المستغنية عن كل شارد ووارد، حضورا لمختلف شعوب المسلمين في مصالحهم الجماعية، أخذا لأزمّتهم بأيديهم، فلا يحكمهم إلا الله ومن يحكم بحكم الله، ف «إن الحكم إلا لله»!

فلنكرّس طاقاتنا كلها للشورآت المتواصلة عبر زمن غيبة القيادة المعصومة، ولكي نقوم على سوقنا ونحيا حياة طيبة سليمة إسلامية، لا استسلامية تقليدية ذليلة.

وترى إذا كانت الشورى هي المرجع زمن الغيبة الكبرى فما هو موقف ولاية الفقيه؟ أقول: إن ولي الأمر أيضا هو منتخب الشورى يرأسها على ضوء الشورى، وهو يلي أمر المسلمين ولاية محددة بها دون استقلال له فيما يرتأيه، فقد يتفق رأي الشورى أو أكثريتها المطلقة على واحدٍ من أهلها، فهو الذي يرأسها، أم يتفقون أو أكثرهم على أكثر من واحد، إذا فحصيلة الشورى هي شورى الولاية والقيادة.

إنّ ولي الامر - واحدا أو أكثر - هو الذي يحكم، لكننا الحكم ليس إلا بالشورى، حيث تجبّر الأخطاء الطارئة لشخص أو اشخاص يُؤلّون أمور المسلمين، دون استقلال لاحد ولا استبداد برأي. إتباع الأحسن هو سبيل المؤمنين حيث يبشرهم الله ويأمرهم «فبشر عباد\* الذين يستمعون القول

فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.<sup>١</sup>  
أترى أن رأي الواحد غير المعصوم أحسن، مهما كان أعلم ممن سواه، أم الأكثرية من الرعييل الأعلى نتيجة الشورى؟ لا ريب أنها الأحسن فاتباعه قضية اللب والهداية الإلهية.  
أترى إذا تساوى أعضاء الشورى في فريقين اثنين فأى الفريقين أولى بالإتباع؟ هنا الأولوية للفريق الذي فيه القائد مميّزة القيادة، وأنه هو الذي ينظر إلى الأصلح بحال الأمة عند تضارب الآراء، فعلى المؤمنين - ككل - الشورى العامة لانتخاب النخبة الصالحة لانتخاب أعضاء الشورى، وليكونوا الأمثل بين الأمة والأمثال فيما بينهم للحصول على الرأي الأحسن، وليكون في العدد الأكثر عند التضارب دلالة على الاحسن والأقرب إلى الحق.

ثم على هؤلاء انتخاب القائد الرئيسي للشورى، فان اتفقوا على رأي وإلا فالأكثر عددا، وإلا فالفريق الذي فيه القائد لأن فيه الرجاحة عند تساوي العدد، وهكذا تسير الشورى مصيرها إلى انتخاب الأحسن فالأحسن لتقليل الأخطاء فالقيادة الأصلح لصالح الأمة «ومما رزقناهم ينفقون» إنفاقا لكافة الطاقات والإمكانات الصالحة لهذه القيادة المباركة على ضوء الكتاب والسنة.  
وإذا مات منهم واحد أم سقط عن الصلاحية فأمر الانتخاب البديل إلى سائر أعضاء الشورى.  
ثم الشورى القيادية بحذافيرها ليست لها الولاية المطلقة على الأمة، فلهم أن يخطئوها، ولا أولوية إلا ترجيحاً لصالح المجتمع على صالح الأفراد إذا تعارضوا، كما ولا ولاية لهم على الفقهاء.  
وهنا أصلان أصيلان، أصالة الولاية لكل مؤمن بالنسبة للآخرين، بمعنى المحبة والنصرة والمعاضدة، وأصالة عدم الولاية بمعنى الأولوية على النواميس الخمسة إلا في مقام الضرورة، وهي ضرورة الحكم وفرض القرارات الحاكمة لرئيس الدولة الإسلامية على الجماهير المسلمة ترجيحاً لصالح الجماهير على الأشخاص، وأما الأشخاص على الأشخاص فلا ضرورة ولا ولاية ولا سيما على أشخاص الفقهاء، إشخاصاً لهم عمّا هم عائشوه.

<sup>١</sup> . (العنكبوت ٢٩ : ١٨ .